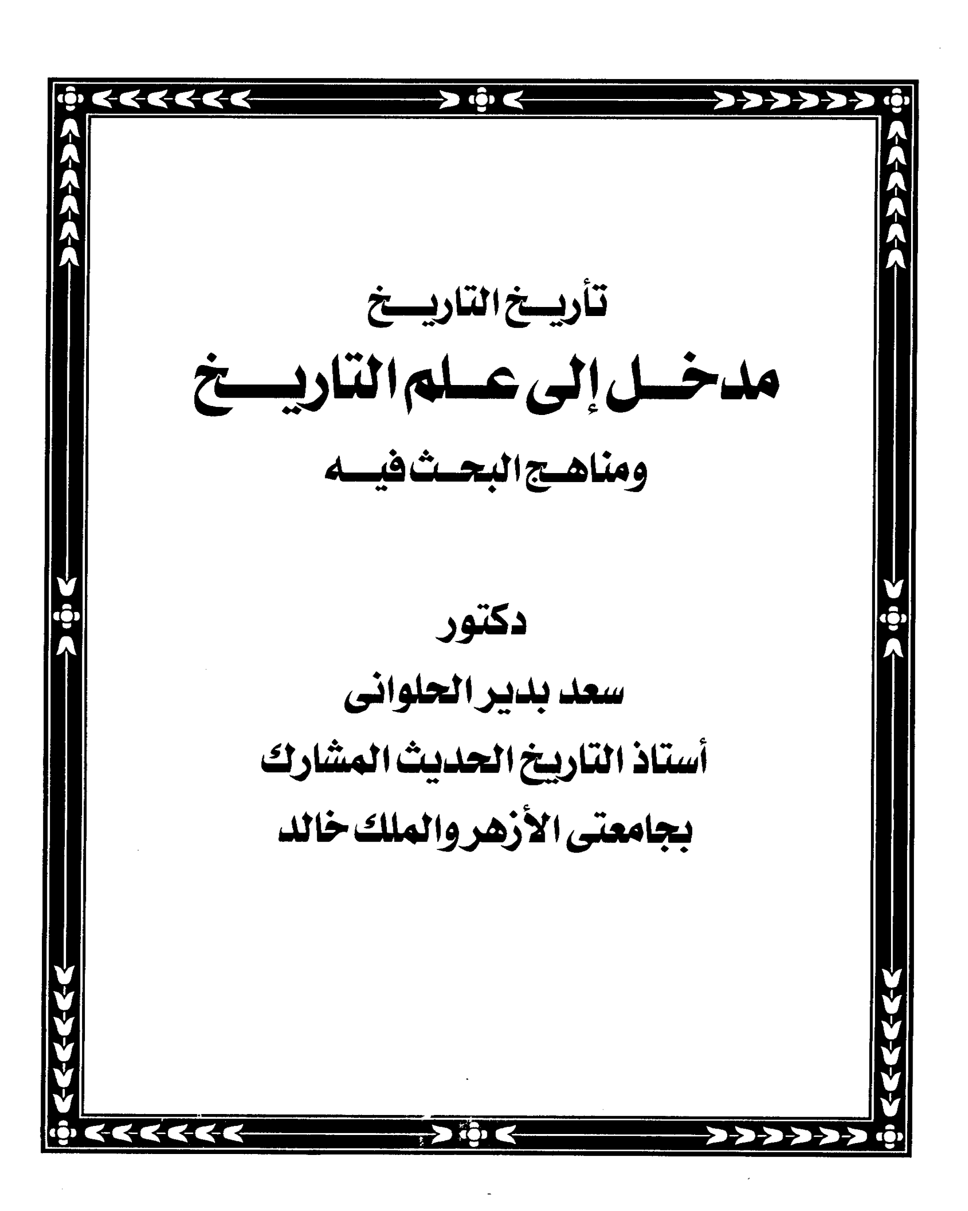


تأريخ التاريخ

مدخل إلى علم التاريخ

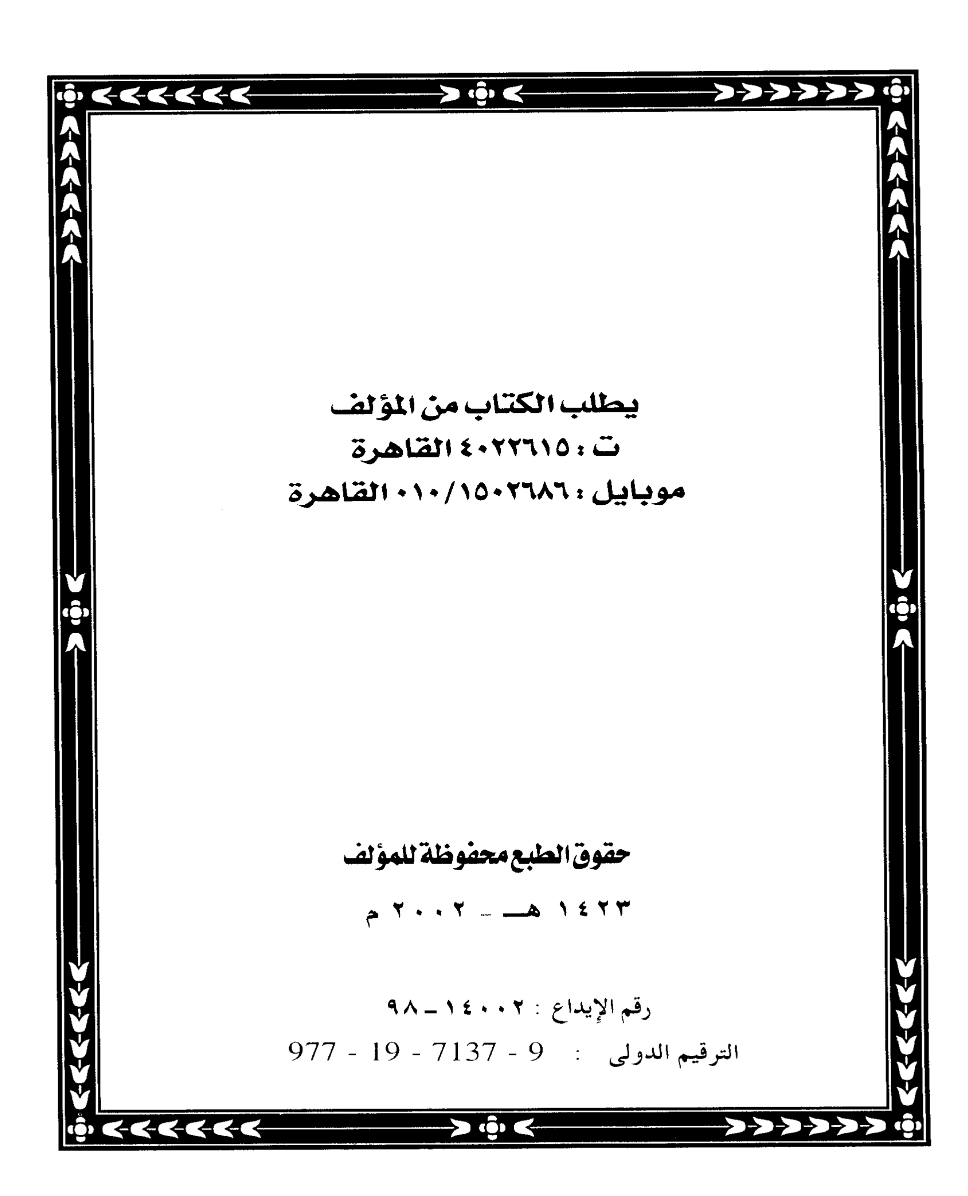
ومناهج البحث فيه

دكتور

سعد بدير الحلوانى

أستاذ التاريخ الحديث المشارك

بجامعتى الأزهر والملك خالد



يطلب الكتاب من المؤلف

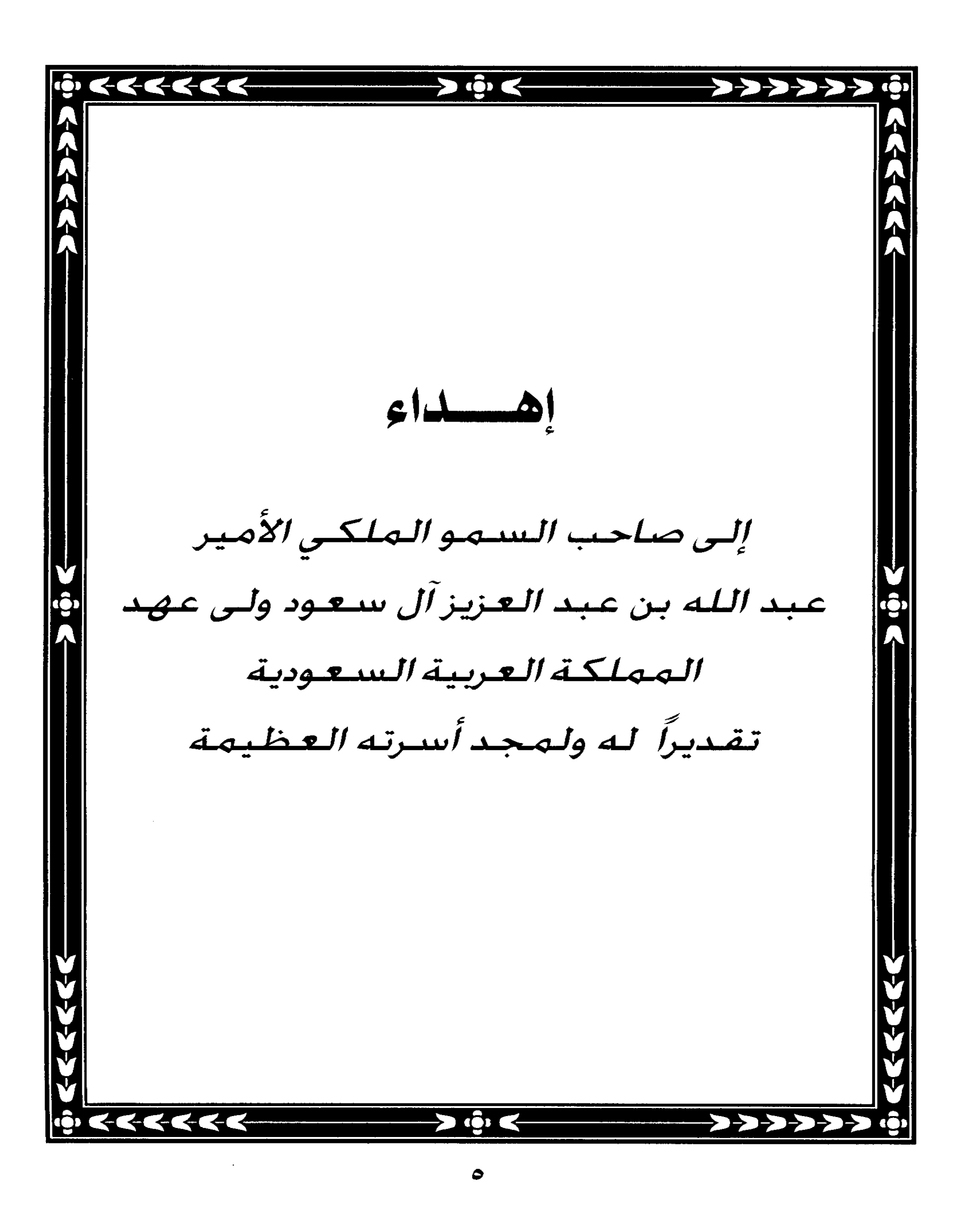
ت: ٤٠٢٢٦١٥ القاهرة

موبايل: ٠١٠/١٥٠٢٦٨٦ القاهرة

رقم الإيداع: ١٤٠٠٢ ـ ٩٨

الترقيم الدولى: 977 - 19 - 7137 - 9


بسم الله الرحمن الرحيم



إهـــــداء

إلى صاحب السمو الملكي الأمير
عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ولى عهد
المملكة العربية السعودية
تقديراً له ولمجد أسرته العظيمة

مُقَـــدِّمة

الحمد لله حمداً يُرضيه ، ويُغنينا عمن سواه، وصلاة وسلاماً على نبي العالمين أرسله ربه رحمة لكل الناس أجمعين ، وعلى آله ، وأصحابه ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعـــد

فقد ظلت الكتابة التاريخية عملاً ضرورياً منذ أن اكتشفت واخترعت الكتابة في بداية العصور القديمة، وأخذت عملية التأريخ تتطور خطوة بخطوة بطيئة حتى وصلنا إلى العصور الوسطى الإسلامية، وحينئذ ساهم مؤرخونا العرب المسلمون بقسط وافر في نمو وتطور الكتابة التاريخية بما أبدعوه من محاولات وجهود بشرية أثرت مجال الثقافة والفكر والعلم في العالم أجمع حيث نهل من جهودهم الأوربيون، والأمم الأخرى، وبنوا على هذه الجهود نهضتهم وتطورهم في شتى المجالات من بينها التأريخ.

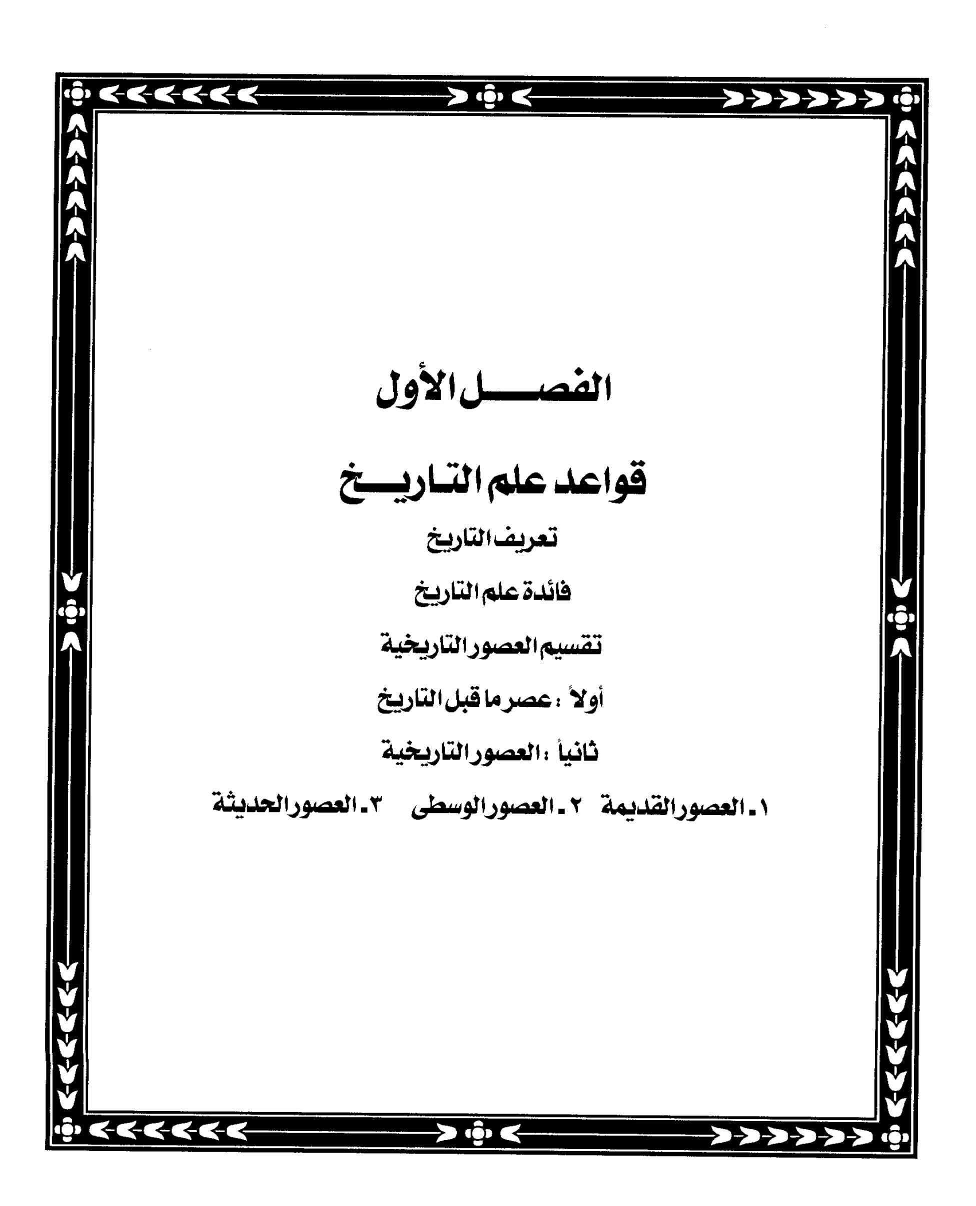
وقد حاولت في هذا الكتاب معالجة ودراسة البدايات الأولى لنشأة علم التأريخ من عصور ما قبل التاريخ إلى العصور القديمة فالعصور الوسطى فالحديثة ، وعالجت قبل ذلك وفي أثنائه التقسيمات التاريخية للعصور، والشروط الواجب توافرها في المؤرخ ، وفائدة علم التاريخ، وبعد أن انتهيت من دراسة التاريخ في

العصور المختلفة ، ولاسيما الوسطى الإسلامية والحديثة عرجت على الفصل الأخير الذى حرصت فيه على توضيح الصنعة التاريخية ، وكيفية إعداد البحوث للباحث المبتدئ ، والباحث المتخصص بدءاً من دارسى الدراسات العليا ، وانتهاء بكتابات الرسائل العلمية المتخصصة (ماجستير ودكتوراه) ، وحاولت جاهداً أن يكون ذلك لابساً ثوب اليُسر والسهولة التى تناسب فهم واستيعاب طالب الجامعة في مرحلتى التعليم الجامعى ، وبعدها .

ولا يسعنى في نهاية المطاف إلا تقديم الشكر والتقدير لأخى الكريم الأستاذ /محمود غريب المشرف على مكتبة كلية التربية بأبها جامعة الملك خالد على جهوده المشكورة في مساعدتى للوصول إلى كثير من المصادر والمراجع التى انتفعت بها ، وكذلك أخى الدكتور /محمد عبد الوهاب أستاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعتى الملك خالد وعين شمس الذى أفادنى بالرأى والمشورة السديدة ، كما أشكر أخى الأستاذ / عادل عبد اللطيف الذى تحمل عبء الكتابة بأصابعه الذهبية.

والله من وراء القصد يهدى وينير

أبها - السعودية فى يوم الجمعة
١٣ / ٥ / ١٤١٩هـ - ٤ / ٩ / ١٩٩٨م



الفصـــل الأول

قواعد علم التـاريــخ

تعريف التاريخ

فائدة علم التاريخ

تقسيم العصور التاريخية

أولاً : عصر ما قبل التاريخ

ثانياً : العصور التاريخية

١ـ العصور القديمة ٢ـ العصور الوسطى ٣ـ العصور الحديثة

تعريف التاريخ

الدنيا زمان وحدث فالزمان كما عرّفه الطبري [(١)] : "ساعات الليل والنهار"، ومجموع الزمان والحدث في نظري هو التاريخ أما دراستهما معاً فهو التأريخ وهناك فرق كبير بين لفظة تاريخ بالألف اللينة (بدون همز على الألف)، ولفظة تأريخ بهمز عليها، فبينما يطلق لفظة تأريخ على دراسة الماضي، نجد أن كلمة تاريخ تطلق على الماضي نفسه.

وأغلب المؤرخين يتفقون على تعريف التاريخ بأنه :

بحث واستقصاء حوادث الماضي "ويقصدون بحوادث الماضي كل ما يتصل بالإنسان منذ بدأ يترك آثاره على سطح الأرض، وهم يتفقون بذلك مع دلالة اللفظة **Historia** الإغريقية الأصل التي كانت تعني عندهم " تسجيل أو وصف الحوادث التي طرأت على الأفراد والمجتمعات " [(٢)]

ويرى البعض [(٣)]: أن تاريخ الشئ (في اللغة) يعني غايته ووقته الذي ينتهي إليه، وأنه إثبات الشئ .

والفعل من المصدر تأريخ هو أرّخ في لغة قيس، بينما في لغة تميم ورّخ، والأول هو الشائع الذي يستخدمه أغلب العرب، أما الثاني فلم نسمع بأن استخدمه أحدُ من الكُتّاب والباحثين.

---

(١) الطبري (محمد بن جرير) ـ تاريخ الأمم والملوك -م١- تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم - دارسويدان- بيروت - ١٩٦٧- ص ٩.

(٢)د/ نور الدين حاطوم وأخرون- المدخل إلى علم التاريخ - دمشق - ١٤٠١/١٤٠٢هـ - ص ٤٧٣ .

(٣) محمود شاكري الألوسي ـ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب - جـ٣ - القاهرة - ١٩٢٥- ص٢١٤ .

وانظر : محمد بن يحي الصولي (أبو بكر) ـ أدب الكتاب - تحقيق محمد الأثري - القاهرة - ١٣٤١هـ - ص ١٧٨ .

وهناك من يري : أن لفظة تأريخ هي تعريف مباشر لكلمات "ماه روز" الفارسية التي تعني عندهم حساب الشهور والأيام ، أو التوقيت الزمني الذي يتم حسابه بناءاً على ظهور القمر واختفائه، واستندوا في ترجيح رأيهم على رواية ترجع إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فحواها : أنه لما كثرت عنده الأموال التي جمعها الصحابة من الأمصار، واختلط الأمر عليه في مواعيد توزيعها، جمع كبار الصحابة، واستشارهم فيما ينبغي عمله.

فأبدى الهرمزان ملك الأهواز (الذي كان قد تم أسره إبّان الفتوحات الإسلامية في فارس وأعلن إسلامه عندما جئ به إلى عمر) رأيه في الأمر بأن العجم (الفرس) لهم حساب يسمونه ماه روز يعتدون فيه بتاريخ من حكمهم من الأكاسرة، ويبدأون حساباتهم من تاريخ توليه الحكم ويصرفون أمورهم من خلاله.

وبناء على ذلك عرّب المسلمون لفظة ماه روز بكلمة مؤرخ، وجعلوا مصدرها تأريخ، ثم بيّن لهم الهرمزان كيف يستطيع العرب استخدامها في شتى شئون الحياة.

وهذه الرواية السابقة تأتينا من طريق آخر مخالف الا أننا لانستبعد حدوث الاثنين الأمرالذي شجع عمرعلى توثيق الأحداث بتاريخ إسلامي هو تاريخ الهجرة.

ففى هذه الرواية إشارة إلى أن التقويم الهجري (التاريخ) قد تم أخذ فكرته من اليمن حيث يذكر البعض :أن أول من أرخ التاريخ هو يعلي بن أمية الذي كان باليمن، وأرسل كتاباً إلى عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) مؤرخاً فاستحسنه عمر، ومن هنا شرع في اتخاذ تاريخ للمعاملات والأحداث.

(١) محمد بن أحمد الخوارزمي (البيروني) ـ الآثار الباقيةعن القرون الخالية-تحقيق /ادوارد شاو - ليبزج - ١٩٢٣ - ص ٢٩، ٣٠ .

وانظر : دائرة المعارف الإسلامية - طبعة الشعب - مجلد ٩ - مادة تاريخ - ص١١٥ .

ويُروى ذلك بطريق آخــر وهــو أن ابن أبي خيثمة ذكر أن رجلاً قدم من اليمن فقــال رأيت باليمن شيئــاً يسمونه التاريخ يكتبونه من عام كذا وشهر كذا فقال عمر هذا حسن فأرخو (١) .

مع ذلك فـإن جمـيع الأدلة التى بين أيدينا تؤكـد أن كلمـة التـاريخ لهـا أصل ومعنى مشتق من القمر والشهر وبذلك يصير معنى الكلمة : ـ

"التوقيت حسب القمر "أي الاستعانة بظهور هلاله لتحديد اليوم والشهر وتطور الأمـر إلى الإشـارة بكلمـة التـاريخ إلى الحـقـبـة، وذلك اشـتـملت الكلمـة على المعنيين :الزمن ، والحقبة، وأن تاريخ استخدامها مواكب تماماً لاستخدام التقويم الهجري الذي استخدمه عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وبعدها تطور الأمر لتستخدم لفظة التاريخ في تناول الكتب التاريخية، وربما جـاء ذلك في القـرن الثـاني للهـجـرة بعـد أن بدأت التـراجم تظهـر في كـتـابات المسلمين، ويُذكر في بعضها سنوات الولادة والوفاة لبعض الشخصيات التى تمت الترجمة لها.

أما التطور التالي لاستخدامات كلمة التاريخ فقد جاء بظهور استخدام كتب الحوليات لهذه الكلمة،بيد أن استعمالها قد سار ببطء طوال القرن الثالث الهجري وما بعده (٢).وهذه طائفة من بعض التعريفات أوردها المؤرخون للتاريخ :ـ

فـالسخـاوي يذكـر : أن التـاريخ "فن يُبحث فيـه عن وقـائع الزمـان من حيثية التعيين والتوقيت " (٣) .

---

(١) السـخـاوي (محـمـد بن عـبـد الرحـمن) ـ الإعـلان بالتـوبيخ لمن ذم التـاريخ-دار الكتـاب العربي-ص٧٩، ٨٠ .

(٢) فرانز روزنتال - علم التاريخ عند المسلمين - ترجمة د/ صالح أحمد العلي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٨٣- ص ٢٣ وما بعدها .

(٣) محـمـد بن عـبد الرحمـن (السـخاوي) ـ الإعـلان بالتوبيخ لمن ذم التـاريخ -دار الكتـاب العربي ـ ص٧ .

والتاريخ في رأي محمد بن سليمان الكافيجي : "هو علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته " (١) .

ويذكر ابن بشر (مؤرخ نجد) :أن علم التاريخ "علم شريف فيه موعظة واعتبار، واطلاع على حوادث الدهر الدوار، ومعرفة أحوال الماضيين مما يوقظ الأذهان والأفكار، ويقيس العاقل نفسه على ما مضى من أمثاله في هذه الديار" (٢) .

أما الجبرتي فيذكر أنه : "علم يبحث فيه عن معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائعهم وأنسابهم ووفياتهم .... " (٣) .

وتجب الملاحظة إلى أن أغلب المؤرخين قد ذهبوا إلى أن التاريخ يُعد علماً قائماً بذاته كما ذكر الكافيجي وابن بشر والجبرتي وحتى السخاوي الذي يذكره على أنه فن ويقصد بذلك علماً من العلوم وفن له أصول في الصنعة فى اعتقادي. على خلاف ما ذهب إليه البعض الآخر أن مادة التاريخ يصعب معاينتها ولذلك لا يعتبرونه علماً.

وتعريف التاريخ عند ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٩هـ هو : " أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينحله البشر بأعمالهم

---

(١) محمد بن سليمان الحنفي(الكافيجي) ـ المختصر في علم التاريخ - مكتبة المثنى - بغداد - ١٩٦٣- ص٣٢٧ .

(٢) عثمان بن بشر-عنوان المجد في تاريخ نجد-مكتبة الرياض الحديثة-جـ٢ - الرياض- ص ٢.

(٣) عبد الرحمن الجبرتي -عجائب الآثار في التراجم والأخبار-جـ١- المطبعة العامرة الشريفة -١٣٢٢هـ - ص ٢ .

ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال " .

والتاريخ في نظر ابن خلدون أيضاً له جانب ظاهري، وآخر باطني فالظاهرى لا يعدو أن يكون مجرد أخبار عن الأيام والدول القديمة، والأمم الماضية، إلا أنه في الباطن نظر وتحقيق، وتعليل دقيق للكائنات ومبادئها، وكذلك يطلعنا على أسباب الوقائع والأحداث وكيفية حدوثها (١) .

وهذا الحديث الذي سبق به ابن خلدون الأوربيين يضحد ما جاء في كتابات البعض من الكتاب العرب نقلاً عن رؤية أوربية من أن لفظة تأريخ عند العرب لم تكن تطابق كلمة **History** عند الأوربيين ، فالقضايا الفلسفية التحليلية المتصلة بفكرة التاريخ (في نظرهما) هي من تطورات الفلسفة الحديثة، وهي تختلف كلية عن مفهوم التاريخ عند العرب (٢) .

والكاتبان بهذا الحكم يرجعان الفلسفة والتحليل التاريخي إلى النتاج الأوربي الحديث، ويُغفِلان دور العرب، ولا سيما ابن خلدون الذي ذكر (كما قدمنا) أن للتاريخ فى جانبه الباطني نظر وتحقيق، وتعليل دقيق للكائنات ومبادئها ، وكذلك يطلعنا على أسباب الوقائع والأحداث وكيفية حدوثها ، وهذا يؤكد على أن ابن خلدون قد وعى هذا الجانب ولم يغفله (قبل الأوربيين بقرون عديدة) .

وإذا كان ما سبق هو الحديث عن التاريخ وتعريفه فما هو تعريف التأريخ ؟ من البديهي أن العلوم تصنف ويُكتب فيها لفائدة البشر، وإعمار الدنيا ، وإذا كان

---

(١) عبد الرحمن خلدون - المقدمة - جـ١- تحقيق د/علي عبد الواحد وافي - القاهرة - ١٩٥٧م - ص ٢٠٨ وما بعدها .

(٢) د /السيد عبد العزيز سالم - التاريخ والمؤرخون العرب- دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٨١م - ص١٩ نقلاً عن :

جوردون شايلد - التاريخ - ترجمة/عدلي برسوم عبد الملك - القاهرة - ١٩٥٨م - ص١١٥ ومابعدها .

هنـاك (فـرضـاً) نوع مـن العلوم يشـذ عن هـذا القـاعـدة، ولا يتم اسـتـثـمـاره لصالح البشرية فهو من قبيل العبث، بل إن التاريخ كعلم من علوم المعرفة إن لم نستثمره فيما يعود على البشرية بالخير والفائدة فهو في نظري أيضاً عبث لا يحسن العناية به.

وبذلك فالتعريف الذي يُطمئن إليه للتأريخ هو :

"معرفة الماضي لتفسير الحاضر وإنارة الطريق إلى المستقبل "وهو بذلك يكون نافعاً ويؤدى غرضاً ضرورياً من ضروريات الحياة.

والتعريف بذلك في نظري يجمع بين توضيح ماهية التاريخ في مقولة : معرفة الماضي، أما عمله وأهميته فيكمن ذلك في مقولة :لتفسير الحاضر، وإنارة الطريق إلى المستقبل.

وإذا أردنا التطبيق الفعلي على هـذا التعريف يمكننا أن نورد الأمثلة الآتيـة :

فالحرب الصليبية مثلاً تؤكد على أن الغرب النصراني سوف يظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها يعمل على تقويض دعائم الدول العربية الإسلامية، وعلى التهامها الواحدة تلو الأخرى، فتكررت محاولاتهم بعد الحروب الصليبية في صور شتى منها الاجتياح الأوربي للعالم العربي في القرن التاسع عشر في صورة استعمار مباشر، وفرض الحماية.

وفي القرن العشرين اتخذ شكل الانتداب بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بعد تطويع الأمم المتحدة لمصالح المستعمرين والحصول منها كهيئة دولية على صك شرعى هو صك الانتداب.

واليوم جاء المستعمرون الغربيون (أميريكيون وأوربيون) بتهمة جديدة ألصقوها بالعالم الإسلامى حتى يبرروا للعالم عمليات الحصار والتجويع التي يقومون بها على دول هذا العالم للإطاحة به والسيطرة عليه بصور عديدة مشبوهة.

والمثال الآخر الذي يجعلنا نتعلم من الماضي بأحداثه وعبره ومواعظه لنفهم الحاضر، ونحترس من خطوب المستقبل هو مثال اليهود.

فاليهود قد خانوا على مر التاريخ وعاثوا في أحداثه فساداً، ولاسيما خيانتهم لعهودهم مع النبي محمد ﷺ ، فلا غرو ولا غرابة أن نجدهم اليوم يتنصلون من معاهداتهم واتفاقياتهم في أوسلو وغيرها مع الفلسطينيين، فلو كنا استفدنا من عبر التاريخ في الماضى لما ركنا إلى الاتفاق معهم، ولما انتظرنا أن يوفوا بعهودهم.

والمثال الصارخ الثالث هو ما حدث في منتصف القرن التاسع عشر في مصر عندما عاش قادتها)خاصة الخديوى اسماعيل (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩) في بذخ وترف أدى به وبمصر إلى الاستدانة مما أوقعها فريسة للأطماع والسيطرة الأوربية التى انتهت إلى الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢م.

لو تعلمنا من دروس التاريخ للحاضر والمستقبل لما أقبلنا على الفعل نفسه عندما بادرت الحكومة المصرية في عهد رئيسها /محمد أنور السادات في السبعينات من القرن العشرين إلى الاستدانة من العديد من الدول الأوربية التى كونت جبهة قوية سميت صندوق الدين أو صندوق النقد الذي أصبح له اليد الطولى في تسيير دفة الحكم وتوجيهه في البلاد المدينة تبعاً لمصالح ورغبات الدول الغربية صاحبة الدَّين الأمر الذى يُعد في نظرى استعمارا في ثوب جديد تم فيه تكبيل الدول المدينة بقيود أشد وأنكى من قيود الاستعمار المباشر فى السابق.

فائدة علم التاريخ

سبقت الإشارة إلى بعض جوانب فوائد التاريخ (عرضاً) أثناء تناولنا لتعريفه وهنا نتناول فائدته بشئ من التفصيل -:

الفائدة الأولى : أن التاريخ - في اعتقادي - وعاء كبير نقل لنا كل ألوان المعارف والعلوم السابقة من علوم دينية، وعلوم دنيوية من فقه وحديث وتفسير، وطبيعة وكيمياء وفلك وجغرافيا ورياضيات ...الخ.

ومكّن الباحثين والعلماء التاليين من مواصلة ما بدأه الأولون فظهرت الحضارات مكملة لبعضها البعض.

الثانية : أن التاريخ قد قام بدور جليل في تخليد أسماء رواد هذه العلوم، ومن أبدعوا في كل علم وفن، فكان حافزاً ودافعاً للكثيرين أن ينتهجوا المنهج نفسه وتظهر بينهم المنافسة للحقاق بركب الأولين .

الثالثة : استفاد المسلمون من نقل سيرة النبي محمد ﷺ وما اشتملت عليه من تفسير وتفصيل لمعاني القرآن الكريم وتعاليم أمر الله بالاقتداء به فيها ، "**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**" وفي المجال نفسه ساعد التاريخ على حفظ أحاديث النبي ﷺ من التحريف حيث عمد رجال مصطلح الحديث والمؤرخون إلى التأريخ للمحدثين بدقة متناهية فيما عرف بتراجم الرجال، وكذلك النساء ، ووضعهم تحت (مجهر) التجريح والتعديل، ومن وجدوا في تاريخه هنّات يُخشى منها على أحاديث الرسول ﷺ كان يتم استبعاده فوراً، وتجريحه.

وكذلك أفاد التاريخ في نقل مغازي الرسول ﷺ ، وما فيها من صور بطولية وجهاد ديني في سبيل نشر العقيدة الإسلامية، والدفاع عنها، فكان ذلك بمثابة المعين والقدوة التي صار على نهجها أبطال المسلمين إبان قوتهم ومجدهم،

وكذلك زعماء وأبطال المقاومة ضد أطماع المستعمرين إبان ضعف المسلمين وتكالب الأمم عليهم .

الرابعة : ما سبق أن أوردناه في تعريف التاريخ من أن فائدته الكبرى تكمن في التعلم من الماضى لتدبير الحاضر وتوضيحه وتفسير أحداثه ، ثم إنارة المستقبل والاستعداد له.

الخامسة : حل كثير من المشكلات بين الدول، ولا سيما مشكلات العلاقات الدولية بما أبرمته الدول في السابق من معاهدات واتفاقيات نقلها لنا التاريخ، وأيضاً على رأس هذه المشكلات مشاكل الحدود التى تطرأ فجأة على مسرح السياسة الدولية فيلجأ الجميع إلى التاريخ بحثاً عن أدلة وبراهين تثبت تبعية هذه المنطقة أو تلك لأى من الدول المتصارعة عليها ، وتكون الطريقة بالبحث والدراسة في أضابير التاريخ عن وثيقة رسمية يُعتد بها أو معاهدة نحتكم إليها أو تاريخ، وسيرة القبائل وتحركاتها في مناطق الحدود وكذلك منازلها وتفرعاتها.

السادسة : حفظ الممتلكات للأفراد والمجتمعات، ولاسيما بعد مرور سنوات، وربما قرون على الملكية حينئذ يُدلى التاريخ بدلوه في عملية المساعدة على إثبات الملكية حين يكون التنازع عليها بين أطراف شتى.

السابعة : يعمل التاريخ على حفظ الأنساب التي يترتب عليها صلة الرحم، وما يلحق بذلك من ميراث وحقوق تحفظ من التبديل والضياع.

الثامنة : تأتي سيرة الصالحين والمصلحين، وأعمالهم الحسنة بالعبرة والموعظة لأبناء الأمم التالية حيث ينشد الأسوياء الاقتداء بهم، وتكون سيرة غير الصالحين من أهل الجور مدعاة للنفور من أعمالهم المشينة وسوء العاقبة

فيكون النفور أدعى لعدم الاقتداء بهم، ولا سيما أن الأول يتبعهم الذكر الجميل، بينما الأخيرون لهم سوء الذكر ويستقبح الناس أن ينالهم المصير نفسه.

التاسعة : أفادت الروايات التاريخية على مر العصور في مجال التسلية والمسامرة، وخاصة في مجالس الأمراء والزعماء والقادة الذين كان البعض منهم مثل معاوية بن أبي سفيان، ونابليون بونابرت وغيرهما يقضى العديد من سهراته يستمع إلى أخبار الأولين، وقيام الأمم واندثارها، وطرائف السابقين أفراداً وجماعات.

العاشرة : أفاد التاريخ كثيراً في عمليات البحث والتنقيب عن الكنوز والآثار المدفونة وتحديد مواقع السفن الغارقة في الحروب السابقة بما تحمله من نفائس وأحجار كريمة وغير ذلك من الأشياء الهامة.

الحادية عشر : أن التاريخ يساعد على انتشار الثقافة والفكر مما أنتجته الحضارات والأمم السابقة، وهو معين يمدنا بمعارف عديدة زاخرة، ويدفعنا التاريخ للتقدم نحو الابتكار والإبداع المعرفي المبني على جهد السابقين والمكمل لعمل الأوائل.

الثانية عشر : يساعد التاريخ على فهم حركة التطور في المجالات الاجتماعية والثقافية وغيرها واستمراريتها من الماضي إلى الحاضر، وكذلك المستقبل لأن المجتمعات دائماً في حركة نمو كالكائن الحي، وما يطرأ من تغييرات تصاحب هذا التطور في العهود السابقة، وما يُنتظر منها في المراحل المستقبلية.

تقسيم العصور التاريخية

يُعد أمر تقسيم العصور التاريخية ضرباً من الوهم (الغير حقيقي) اضطررنا للخوض فيه تسهيلاً لعملية فهم التاريخ الطويل الذي يمتد أحقاباً لا يعلم مداها سوى الله ، وليس هناك حد فاصل حقيقي بين عصر وآخر إنما نحاول فقط اختيار حدث كبير جلل له أثر عظيم ثم نتخذه (تجاوزاً) نهاية لعصر قديم وبداية لعصر جديد.

وقبل الحديث عن العصور التاريخية المعروفة يمكننا تقسيم الزمان وإبراز فترتين كبيرتين زمنياً الفارق بينهما كبير في مدى معرفتنا ودرايتنا بهما وهما:

الأولى : عصور ما قبل التاريخ : **Pre History Ages**

الثانية : العصور التاريخية : **Historical Ages**

أولا : عصور ما قبل التاريخ:

وهي مجمل العصور التي لم تترك لنا كتابة نستطيع من خلالها الإلمام بتفاصيل الحياة فيها ، من قيام الدول واندثارها ، وأسرار السياسة والحروب والمجتمعات المختلفة، وتمتد تلك العصور من أقدم الأزمنة حتى عصر المعادن أي حتى حوالي ٢٠٠٠ سنة ق.م [١] .

ولا يجد الباحث في عصور ما قبل التاريخ مادة علمية سوى آثار صامتة جامدة استخرجت من باطن الأرض عبارة عن بقايا الأدوات والأواني، أو أجزاء منها وبعض هياكل عظمية ، وكهوف، ورسوم بدائية من أشياء لا تثمن ولاتشفي غليل الباحث للوصول إلى حقائق تلك الأحقاب التي تضرب في باطن التاريخ دون أن تبوح لنا بأسرارها.

(١) تعبير (ق.م) أي قبل الميلاد أما (م) فهو يعنى بعد الميلاد .

وقد تخيل البعض عدم أهمية تلك العصور في الدراسات التاريخية، إلا أن ذلك غير حقيقي نظراً لامتداد هذه العصور امتداداً طويلاً يقاس بملايين السنين شمل فترة تكيف الإنسان مع البيئة والطبيعة المختلفة، وتحويله وتطوره الجسماني، وما حدث في انتقاله من حياة فردية إلى الحياة الجماعية التي تستلزم وجود نظم تحكم العلاقات بين الأفراد داخل الجماعة، وكذلك بين الجماعة والأخرى.

ومع ذلك فقد انكب علماء ما قبل التاريخ على محاولة فك طلاسم تلك العصور السحيقة، ولم يخرجوا منها سوى بمعلومات بسيطة جداً كان من بينها تقسيمات اجتهادية لتلك العصور كالآتي :

١ ـ العصر الحجري القديم، ويتميز بالآلات الحجرية المشظاة.

٢ ـ العصر الحجري المتوسط ، وهو عبارة عن مرحلة انتقالية.

٣ ـ العصر الحجري الحديث ، ويتميز بآلاته الحجرية المصقولة.

٤ ـ العصر النحاسي ، وفيه المحاولات الأولى لاستخدام الآلات النحاسية.

٥ ـ العصر البرونزي ، وتتطور فيه الآلات النحاسية وتستخدم كذلك البرونزية حتى يحل محلها الحديد.

٦ ـ عصر الحديد، الذي استخدمت فيه الآلات الحديدية.

وتجدر الإشارة إلى أن العصر الحجري الحديث قد امتاز عن غيره باختراع واكتشاف أربعة استخدامات في أغلب بلاد العالم المأهول حينئذ وهي :الزراعة- استئناس الحيوان واستخدامه - استخدام الفخار- الآلات الحجرية المصقولة.

هذه الاستخدامات قد أحدثت تغيراً ملحوظاً، وأدت إلى نتائج إيجابية في الحياة البشرية، ولا سيما التحول من الاعتماد على الصيد وحده والتقاط غذائه بجمعه من الأشجار إلى الزراعة والاستقرار، الأمر الذي أدى إلى زيادة السكان

وتركزهم في مناطق معينة حيث ساعد الفراغ الناتج عن الأمان الغذائي (بالزراعة) إلى توفر الوقت للتفكير والاختراع في صوره البدائية العديدة.

وفي العصر الحجري النحاسي والبرونزي جاءت صناعة المعادن، والخزف، والعربة التي تجرها الثيران، واستخدام الحمار في حمل الأثقال، ونشر الشراع في المركبة كل ذلك صنع منظومة جديدة لحياة باتت أسهل على العنصر البشري [1].

ثانياً :العصور التاريخية :

وهي تلك العصور التاريخية التي بدأت فيها الكتابة كاختراع كان غاية في الأهمية، وهو ما اتفق عليه أغلب المؤرخين بتحديد بداياتها ببداية الكتابة وبمعنى أدق يمكن تحديد مطلع تلك العصور بخمسة أو ستة آلاف سنة قبل العصر الحاضر.

وقد لاحظ العلماء وجود اختلافات عديدة بين المراحل الزمنية التي عاشها الإنسان، وتميز كل فترة زمنية بمميزات اختلفت عن سابقتها وعما بعدها ولذلك فقد اتفق على تقسيمها إلى :

١ ـ العصور القديمة.

٢ ـ العصور الوسطى.

٣ ـ العصور الحديثة.

وحاول العلماء تحديد نقطة بداية ونهاية لكل عصر من العصور الثلاثة ولو أنها حدوداً واهية إلا أن للعلماء مبررات في اختيارها كنهاية لعصر سابق وبداية لعصر تالٍ، ومع ذلك فلا يُعد هذا التحديد التقريبي متفقاً عليه بين كل العلماء، ولا على كل الأمم والقارات فالأمر عليه خلاف في الرؤى، ولاسيما أختلافهما بين الأوربيين ، والعرب، وكذلك شعوب الشرق بالأقصى، والعالم الجديد خاصة وأن تلك العصور تتداخل فيما بينها، ولا يفصلها سوى حدود تتشكل ببطء ، ولم تحدث بين عشية وضحاها .ومع ذلك فسوف نعمد إلى أشهر الأقوال في ذلك:

---

(١) بتصرف انظر-:

د .نور الدين حاطوم وآخرون – المدخل إلى علم التاريخ – ص ٢٢ وما بعدها .

١.العصور القديمة Anoint History

وهذه العصور عليها إجماع من المؤرخين من حيث بداياتها حيث اتفقوا على اعتبار مطلع الألف الثالثة قبل الميلاد في الفترة التي ظهرت فيها الكتابة هي بداية العصور القديمة، ولكن الخلاف بينهم على نهاية تلك العصور.

فالبعض يعتبر أن العصور القديمة تنتهي بسنة ٣٩٥م، وهي السنة التي توفي فيها الإمبراطور الروماني تيؤدوس بعد أن أوصى بتقسيم إمبراطوريته بين ولديه.

وهناك آخرون يعتبرون سنة ٤٧٦م نهاية العصور القديمة وهي السنة التي تمكنت فيها القبائل الجرمانية بزعامة أدواكر من القضاء على الدولة الرومانية الغربية، وهذان الرأيان قد أتيا من الغرب النصراني.

بينما يعتبر المسلمون في بلاد المشرق أن سنة ٥٧١م هي السنة التي تنتهي بها العصور القديمة، وتبدأ بعدها العصور الوسطى التي أشعت على العالم كله نور الهداية (النور الإسلامي) بعد ميلاد النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحمله رسالة السماء التي غيّرت وجه التاريخ في المشرق والمغرب.

٢.العصور الوسطى Middle Ages

وهي تبدأ من حيث انتهت العصور القديمة على الوجه الذي أسلفناه، بينما يظهر الخلاف في الرأي على التاريخ الذي يُعتد به في انتهاء العصور الوسطى.فمن المؤرخين الأوربيين من يرى أن الفترة الانتقالية التي يسميها الأوربيون عصر النهضة هي نهاية للوسطى وبداية للحديثة، ولكن هذه الفترة التي يشيرون إليها طويلة، ويحتاج القارئ والباحث إلى تحديد أكثر لتسهيل عملية دراسة الفترتين كل منهما على حدة، وهذا ما نجده في الآراء الأخرى : ـ

فيرى البعض ان : اختراع الطباعة سنة ١٤٥٠م على يد جوتنبرج هو بداية الحديثة، بينما يقول البعض الآخر باكتشاف كريستوف كولمبس لأمريكا سنة ١٤٩٢م، ويقول البعض الآخر بسقوط القسطنطينية (عاصمة الدولة الرومانية الشرقية من قبل) في يد العثمانيين سنة ١٤٥٣م هي الفارق بين الوسطى والحديثة إضافة إلى أن عام ١٤٥٣م نفسه هو الذي انتهت فيه حروب المائة عام بين فرنسا

وإنجلترا ، وأخيراً يعتبر البعض سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في يد نصارى الأندلس سنة ١٤٩٢م هي الفاصل بين العصرين.

وقد خالف المسلمون هذه الآراء جميعها حيث يري الأغلبية منهم أن بداية العصور الحديثة عندهم منذ أن استولى العثمانيون على بلادهم سنة ١٥١٧م، وجعلوها بلداً واحداً تحت السيادة العثمانية .

٣ـ العصور الحديثة Modern History

وهي التي تبدأ من منتصف القرن الخامس عشر الميلادي ، وتستمر طوال القرون المنصرمة التي يعتبرها البعض مستمرة حتى الوقت الحاضر، بينما يرى البعض الآخر أن العصور الحديثة تنقسم قسمين : ـ

الأول : التاريخ الحديث ، وهو ينتهي عندهم مع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، في الوقت الذي ذكر فيه البعض الآخر بنهاية هذه الفترة عند الحرب العالمية الأولى بدايتها أو نهايتها حسب اختلافهم في ذلك.

الثاني : التاريخ المعاصر، ويبدأ مع بداية القرن العشرين أو في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وتستمر هذه الفترة إلى يوم الله هذا .

الشروط والصفات التي يجب توافرها في المؤرخ

يحاول العديد من المثقفين والكُتّابْ الخوض في مجال التاريخ والإبحار في سفينته مرة بالحكم على الأحداث الماضية ، ومرة أخرى كشاهد على هذا العصر فقد رأينا بعض المحامين ، والصحفيين ، ورجال السياسة ، وعلماء الدين ورجال الأحزاب الحكوميين والمعارضة ونحوهم يرتادون مجال التاريخ، ولا نجد عضاضة في ذلك إذا اعتبرنا أن كتابات شاهد العصر هذا تعد مصادر يستقي منها المؤرخون كالمذكرات ونحوها وليست كتابات تأريخية إلا إذا تسلح الكاتب هذا بمجموعة من الصفات والشروط التي تؤهله لكتابة التاريخ بعد سبر أغواره ، ومعرفة أسرار الكتابة فيه، والشروط والصفات هي : ـ

١ ـ العقل والسويّة والاتزان في السلوك الإنساني حتى يستطيع أن يُفرق بين الغث والسمين من الأمور، وأن لا يكون له شطحات في تفسير الحوادث التاريخية

عندما يكون فاقداً للاتزان الإنساني.

٢ ـ الأمانة في عرض الموضوع الذي يتصدى للتأريخ له إذ لا رقيب عليه سوى ضميره، وأن يعمد إلى إنصاف الحق والوقوف بجانبه دون مجاملة لأحد على حساب الآخر.

٣ ـ الصبر فلابد أن يكون المؤرخ صبوراً ، لا يتعجل أحكامه التاريخية قبل أن يسبر أغوارها ، ويتمكن من تحقيق القضية التي يتعرض للكتابة فيها بالبحث الدائم في مصادره ، وأن لا يعتمد على جانب واحد من المصادر فلابد أن يبحث عن كل الجوانب حتى يكون حكمه على الحدث نابعاً من أرض صلبة موثقاً بالأدلة والبراهين التي لا يعتقد أن دونها براهين أخرى تدحضها.

٤ ـ أن لا تؤثر فيه عوامل الترغيب والترهيب، فلا يجوز للمؤرخ أن يطمع فيما في يد الحاكم من عطاء ولا يخيفه عصاه أو بطشه وإلا كُتب التاريخ مغايراً للحقيقة مخالفاً لها، حينئذ لا يُعد مؤرخاً بل يُعرف منافقاً أفّاقا يلهث وراء المكاسب، وتضعف شخصيته أمام رهبة الحكام فمثل هذا لا يجوز له التعرض لكتابة التاريخ بل يتركها لغيره.

٥ ـ الإلمام ببعض اللغات الأجنبية التي تعينه على قراءة النصوص والوثائق، وتساعده على الاطلاع والمعرفة فيما يخص موضوعه الذي يكتب فيه، ولاسيما لغات الأمم التي كانت لها الصدارة والسيطرة على المناطق التي يؤرخ لها ولسكانها.

فمن يتصدى للكتابة التاريخية مثلاً عن الدولة العثمانية يحتاج بلا شك لمعرفة اللغة التركية القديمة بحروفها العربية قبل أن تتحول إلى اللاتينية ، وكذلك من يتصدى لكتابة تاريخ الأمة العربية في تاريخها الحديث يحتاج إلى اللغة الإنجليزية، ومعها الفرنسية نظراً لاستعمار هاتين الدولتين لأغلب دول العالم العربي في تاريخه الحديث ، وبعض المعاصر.

كما أن من يكتب في بداية عصر النهضة ، أو في استعمار ليبيا الحديث في القرن العشرين كلاهما يحتاج إلى الإلمام باللغة الإيطالية، وكلما زادت امكانات المؤرخ في مجال إلمامه باللغات الأجنبية القديمة والحديثة، كلما كان أقدر على فهم

التاريخ لتعامله الأوسع مع مصادر مختلفة ، ومتعددة تشكل في النهاية ثقافته والمجال المعرفي عنده.

٦ ـ توافر ملكة النقد، وقراءة ما بين السطور، وتحليل النصوص، والمقارنة بينها، ولا يسلم بأي منها قبل التأكد من صحتها، ولا بد من توافر القدرة عنده على الربط بين المصادر، وترتيبها دون اختلاط للحوادث، ودون أن يتبع أسلوب السرد، وتقليد الآخرين لأنه يجب أن تظهر شخصيته المستقبلية في كتاباته التاريخية التي تؤهله إلى الإبداع والابتكار في وسائل وطرق الوصول إلى الحقائق التاريخية، مع التزامه بالمنهج التاريخي المعترف به لدى كل المؤرخين.

٧ ـ أن يعتمد في كتاباته على المصادر الأصلية المعترف بها من وثائق بمختلف صورها : معاهدات، واتفاقيات، ورسائل، وبرقيات القادة والزعماء، وتقارير القناصل ، ومخلفات الملوك والرؤساء، والمذكرات الشخصية للمعاصرين والمشاركين في الأحداث ومخطوطات ، ونقوش وآثار تنطق بأحداث عصرها، وتدل على ما وصلت إليه الأمم من حضارة ورُقي.

٨ ـ التجرد من أية انتماءات حزبية أو مذهبية أو دينية عند التصدي لكتابة التاريخ، وذلك عندما يكتب الكاثوليكي عن البروتستانتي أو الشيعي عن السني، والنصراني عن المسلم واليهودي.

كما أن المؤرخ لابد أن يحجب تحيزه وميوله ، واتجاهه الفكري والحزبي والعاطفي، وكذلك الطبقي، على الرغم من صعوبة تخلي الإنسان عن معتقداته، وعواطفه ومشاعره وهو يكتب التاريخ، ولكن عليه أن يكبح جماح نفسه حتى لا يقع في أخطاء تاريخية تشطبه من قائمة المؤرخين.

٩ ـ التزود بأكبر قدر من العلوم المساعدة مثل :فقه اللغة (الفيلولوجيا) Phi-lology الذي يجعل الباحث يلم بتطور ونمو اللغة من عصر إليعصر، واتساع المعاني، وتعددها للكلمة الواحدة، وكذلك علم قراءة الخطوط Paleography ، وهو من العلوم الرئيسية التي تساعد المؤرخ في أدائه حتى لا يقف أمام الخطوط المختلفة عاجزاً عن فك طلاسمها، ولا سيما الخطوط العربية التى تعددت واختلفت نذكر منها :النسخ والرقعة والثلث والكوفي والفارسي والمغربي

والغبار، والطومار، وأغلب هذه الخطوط تحتاج إلى تدريب وتعليم خاص.

كما يحتاج المؤرخ إلى التزود بعلم الوثائق (علم الدبلومات diplomatics) وما يلزم من العلم بأسلوب ورموز هذه الوثائق وعصرها والمداد الذي كُتبت به، وأنواع الورق وعلاماته للوصول إلى عمر الورقة أو العصر الذي كُتبت فيه عندما يكون ذلك مجهولاً للباحث.

ويضاف إلى ذلك المعرفة بالأختام التي تُمهر بها الأوراق الرسمية وهي تختلف من عهد إلى آخر فبعضها من الشمع وآخر من المعدن، وربما كان البعض الآخر من الذهب، ومنها المستدير، والبيضاوي، والمثلث ..الخ.

وكذلك من العلوم المساعدة :علم الرنوك (العلامات المميزة) مثل الكأس والنسر والدواة والسيف والهلال والصليب، وكل من أصحاب الطوائف المختلفة كان يتميز عن غيره بإشارة خاصة تحتاج للمعرفة، ثم علم النميات (Numismatics) أي النقود والمسبوكات (العملة) .

كما أن علم الجغرافيا ضروري كذلك للمؤرخ حيث العلاقات وثيقة بين التاريخ والجغرافيا، وأثر الجغرافيا البشرية والطبيعية في الأحداث

وفي الحروب والمنازعات، ونتائج الصراعات، وأساليب القتال وقيام المنازعات بين الدول، وتقدم أو تأخر الأمم وفقرها وغناها والمواقع الاستراتيجية التي تسعى الدول للسيطرة عليها، وهجرات القبائل والشعوب بحثاً عن الكلأ والمراعى والظروف الأفضل ...الخ.

ولعلم الاقتصاد أهمية بالغة كذلك إذ يساعد المؤرخ على فهم أسباب الكثير من الأحداث، وأقرب الأمثلة على ذلك الحروب الصليبية التي كانت أسبابها اقتصادية عند العامة دينية عند القادة، كما أن أسباب ثراء المماليك نتج عن مرور التجارة الشرقية بأراضيهم ، وأسباب فقرهم لتوقف مرور هذه التجارة بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وجلب هذه التجارة مباشرة إلى أوربا دون أن تمر بالمواني المملوكية.

ومازالت قائمة العلوم المساعدة تشتمل على العديد منها مثل الأدب ، وفن العمارة، وفنون التصوير والنحت، وعلم الحديث ومصطلحه، وعلم الآثار وغيرها .

١٠ ـ أن يتزود المؤرخ بقراءة مختارات عديدة من كتابات المؤرخين القدماء أمثال هيرودوت (أبو التاريخ)وتوسيديدس، وتيت ليف، وميكافيلي، والطبري، وابن كثير ، وابن الأثير، وابن خلدون، والسخاوي ...وغيرهم.

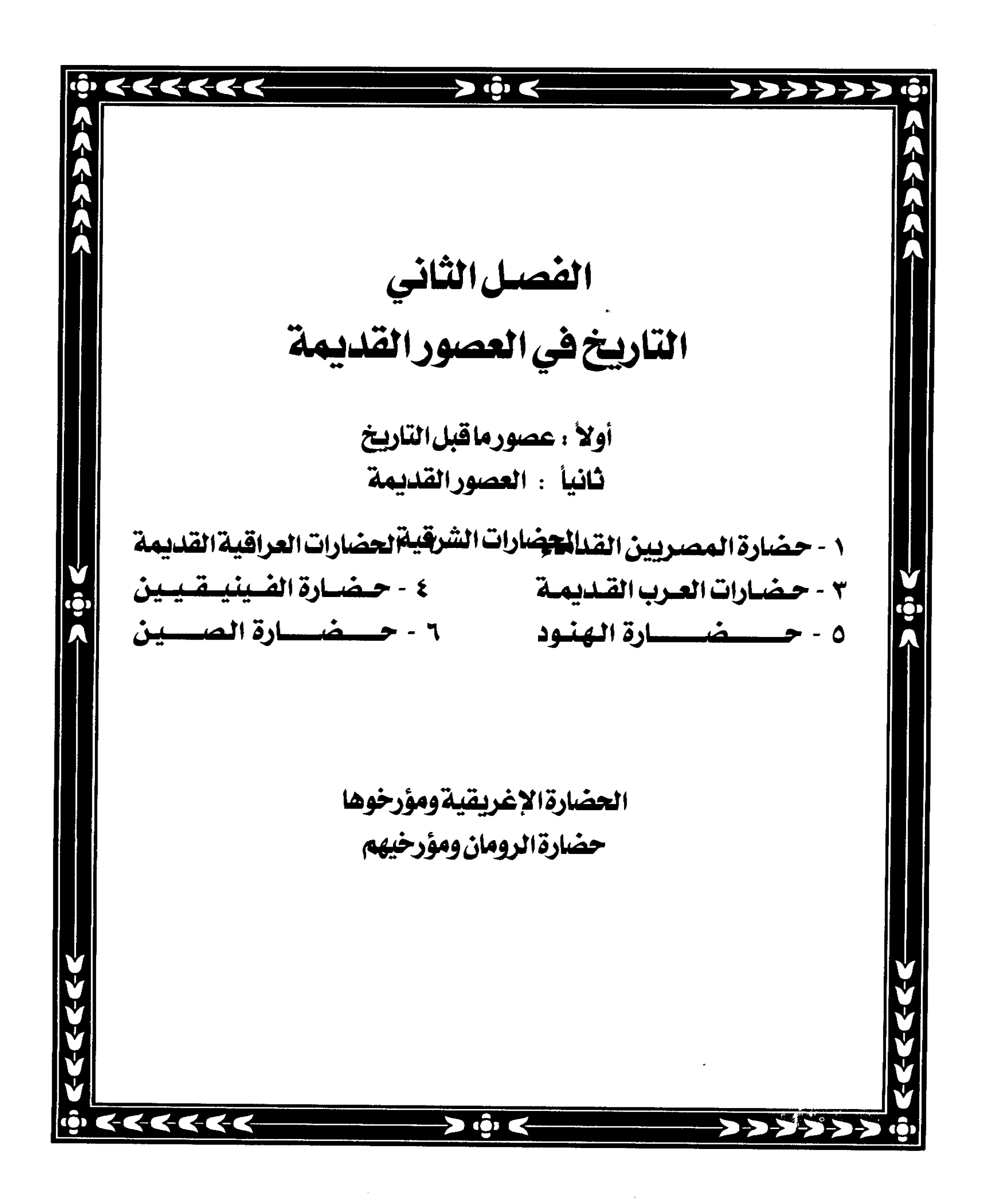
١١ ـ السفر والترحال، والاطلاع على ثقافات الشعوب وحضارتها مفيد جداً لكاتب التاريخ إضافة إلى ما يناله من اطلاع على مناهج البحث وطرقه والوسائل المستخدمة فيه، وربما من المفيد أن نذكر أسلافنا الذين كانوا يجوبون الآفاق على ظهر الدابة وبالشراع طلباً للعلم والثقافة فمن باب أولى أن يكون السفر والترحال في عصر الطائرة والسفن السريعة أيسر، وأدعى لنقل المعرفة، والاطلاع على ثقافات الأمم.

١٢- أن يكون المؤرخ متواضعاً لا يتردد في نقض ما كتبه عند تبين خطأه أو تقدم أحد الباحثين عليه، ولا يدعي المعرفة بكل شئ بل يستعين بمصادره ويشير إليها بالتوثيق، والاعتراف للغير بمجهوده وعمله في رحابة صدر.

١٣ ـ أن يملك المؤرخ ملكة الكتابة والتأليف ، وتصنيف الموضوعات في أسلوب جزل بعيداً عن السجع والتكلف حتى يتمكن من صياغة موضوعاته التاريخية في قالب سهل مفهوم يتناوله القارئ العادي والمتخصص في يُسرُ وسهولة.

١٤ ـ أن يحيط المؤرخ بأسرار اللغة التى يكتب بها التاريخ وأن تصل عنده حد الإجادة ، فمثلاً من يكتب باللغة العربية لابد له من إجادة النحو والصرف ومعرفة أحكامهما ، وأن يعرف كيف يمكنه توصيل المعلومة للقارئ.

* * *



الفصل الثاني

التاريخ في العصور القديمة

أولاً : عصور ما قبل التاريخ

ثانياً : العصور القديمة

الحضارات الشرقية

١ - حضارة المصريين القدماء الحضارات العراقية القديمة

٣ - حضارات العرب القديمة ٤ - حضارة الفينيقيين

٥ - حضارة الهنود ٦ - حضارة الصين

الحضارة الإغريقية ومؤرخوها

حضارة الرومان ومؤرخيهم

أولاً : عصور ما قبل التاريخ :

وهي الفترة التي تسبق استخدام الإنسان للكتابة (كما أشرنا) ، ويحاول الباحثون في العصر الحديث تحديد العمر الزمني لتلك العصور بصعوبة بالغة لندرة المعلومات عنها ، ولعدم وجود كتابة فيها تهديهم إلى تحديد دقيق.

إلا أنهم وضعوا تخيلاً وتحديداً تقريبياً لفترة بداية تحرك الإنسان على الأرض وقدروا ذلك فيما بين خمسين ألفاً إلى عشرين ألف سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام (١) .

أما علماؤنا ومؤرخونا المسلمون الأوائل فقد اختلفوا كثيراً عن هذا التحديد التقريبي حيث جمع الطبري أقوال العديد من السلف الذين قال بعضهم بأن الزمان كله من أوله أي من آدم عليه السلام منتهاه سبعة آلاف سنة، ومن بين من قال بذلك ابن عباس (رضى الله عنه)، وحدده وهب بن منبه، بستة آلاف سنة (٢) .

كما أن هناك قولاً آخر جاء به أبو ثعلبة الخشني مفاده أن الماضي من الدنيا قبل هجرة النبي ﷺ ستة آلاف وخمسمائة يضاف إليها ١٤٠٠ سنة هجرية فيكون المجموع حتى الآن ما يقرب من ثمانية آلاف عام.

أما اليهود فقد ذكروا السنين من آدم عليه السلام إلى هجرة النبى ﷺ ٤٦٤٢عاماً، بينما ذكر نصارى اليونان هذه الحقبة بخمسة آلاف وتسعمائة واثنين وتسعين عاماً (٣) . أي ما يقرب من ستة آلاف سنه ، وهذه السنون التي ذُكرت

(١) جورج سارتون - تاريخ العلم - جـ١- ترجمة / محمد خلف الله وآخرون - دار المعارف -ط٤- القاهرة-١٩٧٩م - ص٧٣ .

(٢) الطبري - تاريخ الأمم والملوك -م١- ص١٠ .

(٣) الطبري - تاريخ الأمم والملوك -م١- ص ١٧ ، ١٨ ,بينما ذكرت دائرة المعارف الإسلامية أن اليهود حسبوا ما بين الخليقة إلى ظهور المسيح)عليه السلام (بـ ٤٢١٠ عاماً، وهو خلاف بين قول الطبري، وقول دائرة المعارف بما يقارب المائتين من الأعوام .
انظر دائرة المعارف الإسلامية -م ٩ -ص ١١١ .مادة تأريخ.

في عمر حياة الإنسان على وجه الأرض تبدو قليلة جداً لو قورنت بما يُذكر الآن بعد الحفريات الحديثة واجتهادات العلماء الذين يطلقون العنان لخيالهم وتقديرات السنين عندهم أكبر بكثير مما ذكر، ومع ذلك فالأمر كله علمه عند الله.

ويتعذر على بني البشر معرفة كيفية بدء الحياة على الأرض ، وكيفية تطورها وذلك لاندثار الشواهد التي تدل عليها ، وليس هناك سوى بضعة آيات سماوية وأحاديث نبوية شريفة تتحدث عن بداية الخلق مثل قوله تعالى بعد أن بني السماء ورفعها ، وخلق الليل والنهار : " والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها" [1] .

وبعض العلماء في العصر الحديث يذهبون وراء التخمين في قضية المكان الذي ظهر عليه الإنسان لأول مرة، ويربطون ذلك بمسألة التطور من القردة (والعياذ بالله) وأسلاف الجنس البشري (كما يُعبرون) ، ويذكرون أن ظهور الإنسان الأول حدث في مكان ما في المنطقة التي تضم غرب أوربا والنصف الشمالي من أفريقيا وجنوب آسيا ، وليس عندهم دليل قاطع على هذا الظن [2] .

هذا في الوقت الذي نجد فيه تحديداً أقرب إلى الدقة في تاريخنا الإسلامي جاء به أسلافنا الأول (رضى) حيث نجد روايات عديدة عن علي بن أبي طالب وابن عباس ، وبعضها عن قتادة، وعن ابن عمر (رضى الله عنهما) وغيرهم تؤكد على أن نزول آدم أبو البشر (الإنسان الأول) بتعبير أهل العلوم الحديثة في منطقة الهند التي ذكرها على (كرم الله وجهه) : "أطيب أرض في الأرض ريحاً أرض الهند، أهبط بها آدم ، فعلق شجرها من ريح الجنة .أما حواء فقد هبطت وظهرت

(١) الآية من ٣٠ - ٣٢ سورة النازعات.

(٢) د .نور الدين حاطوم وآخرون - المدخل - ص ٣١، ٣٢ .

بجدة (في شبه الجزيرة العربية)، وتم التعارف بينهما في عرفات عندما ازدلفت إليه حواء في المكان الذي يُسمى بالمزدلفة [١] .

والذي يهمنا في فترات عصور ما قبل التاريخ هو ما عُثر عليه من أدوات وعلامات كان يستخدمها الإنسان القديم في ذلك الزمان الغابر حيث أمكن العثور على كهوف استخدمها الإنسان لسكناه، وأدوات بدائية من الصوان لتساعده في عمليات الصيد، كما عُثر على بقايا رماد نيرانهم، وبعض أدوات تعود إلى العصور الحجرية الأولى .

ثم تأخذ أدواته في التطور من عصر إلى عصر من مدية حجرية إلى فأس يدوية تصير بعد ذلك مدببة ثم فؤوس بها قبضة لليد، وهناك آلات أخرى من عظم الحيوانات العملاقة، ثم ظهرت أواني مصنوعة من العاج والعظم والقرن أكثر رقياً وتطوراً.

ومع هذا التطور أيضاً جاء تطور آخر في نشاط الإنسان من الصيد والقنص وجمع الثمار الزراعية، واستئناس الحيوان، وصناعة الفخار، ثم استخدام النحاس القابل للطرق بسهولة [٢] ، وهكذا أخذ التطور في الاستمرارية حتى مطلع العصور التاريخية القديمة.

وهذا التطور في النشاط الإنساني الذي ذكرناه في السابق هو ما جاء به علماء الغرب ونهج على نهجهم علماء الشرق، ولم نشأ أن نُفصِّل هنا ما جاءوا به لعدم اقتناعنا بذلك حيث أن مجمل تخميناتهم تشير إلى اعتماد فكرتهم التاريخية على نظرية النشوء والتطور التي جاء بها داروين، وسار عليها غيره بدءاً من قولهم بتطور أنواع من القرود إلى الإنسان الأول وأن الإنسان بدأ حياته بالالتقاط

---

(١) الطبري - تاريخ الأمم والملوك - م١ - ص ١٢١ ، ١٢٢ .

(٢) د .نور الدين حاطوم ـ المدخل ـ ص ٣٤ وما بعدها .

لفترات تاريخية طويلة ثم الصيد بعد ابتكار بعض الأدوات التى طورها ، ثم الزراعة ..الخ .

إلا أن الروايات العربية الإسلامية تختلف كلية عن هذا المفهوم فقد جاء الإمام الطبري بروايات متقاربة أعتقد بصحة الأخيرة منها أكثر من التخمينات الغربية التي اعتمدت على أدلة بسيطة هشة مما تصادف لهم الحصول عليها من قطع حجرية أو عظام وكهوف استنطقوها وأنطقوها بتخميناتهم حتى يحصلون على أدلة أخرى يغيرون على إثرها ما ذكروه من قبل.

وأسوق هنا الرواية الأولى في اقتضاب :

"وقيل " إن من الثمار التي زود الله عز وجل آدم عليه السلام حين أُهبط إلى الأرض ثلاثين نوعاً، عشر منها في القشور وعشر لها نوى، وعشرة لا قشور لها ولا نوى، فأما التي في القشور منها فالجوز، واللوز، والفستق، والبندق والخشخاش، والبُلوط، والشاهبلوط، والرنج، والرمان، والموز .

وأما التى لها نوى منه فالخوخ، والمشمش، والإجاص، والرطب، والغبيراء، والنبق، والزُّعرور ،َ والعناب، والمُقْل ، والشاهلوج .وأما التي لا قشور لها ولا نوى فالتفاح، والسفرجل، والكمثري ، والعنب، والتوت، والأترج، والخرنوب، والخيار، والبطيخ."

الرواية الثانية :

"وقيل : كان مما أخرج آدم معه من الجنة صُرّة من حنطة ، وقيل :إن الحنطة إنما جاءه بها جبريل عليه السلام بعد أن جاع آدم، واستطعم ربه، فبعث الله إليه مع جبريل عليه السلام بسبع حبات من حنطة، فوضعها في يد آدم عليه السلام ..فقال آدم ما أصنع بهذا ؟ قال :انثره في الأرض ففعل ، فأنبته الله عز وجل من ساعته فجرت سنة في ولده بالبذر في الأرض، ثم أمره فحصده ، ثم

أمره فجمعه وفركه بيده، ثم أمره أن يذريه ، ثم أتاه بحجرين فوضع أحدهما على الأخر فطحنه، ثم أمره أن يعجنه ، ثم أمره أن يخبزه ملة، وجمع له جبريل عليه السلام الحجر والحديد فقدحه ، فخرجت منه النار، فهو أول من خبز المَلّة."

وهاتان الروايتان يذكر الطبري عنهما أنهما خلاف ما جاءت به الروايات عن سلف نبينا صلى الله عليه وسلم ، أما الرواية التي جاء بها السلف من صحابة رسول الله ﷺ فهي :

الرواية الثالثة والأخيرة :

وهي رواية موثقة بالرواية الإسلامية تنتهي إلى ابن عباس أنه قال : بعد أن ذكر قصة أكل آدم عليه السلام من الشجرة التي نهاه الله عنها وقول الله تبارك وتعالى له" : **فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض، فلا تنال العيش إلا كداً** "قال (أي ابن عباس) : فأهبط من الجنة، وكانا يأكلان فيها رغداً، فأهبط إلى غير رغد من طعام وشراب ، فعلّم صنعة الحديد، وأمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى حتى إذا بلغ حَصَدَه، ثم داسه، ثم ذراه، ثم طحنه، ثم عجنه، ثم خبزه، ثم أكله، فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ" [1] .

وهذه الرواية الأخيرة نصل منها إلى هدم نظرية النشوء والتطور بكل مشتملاتها والتي يبني عليها بعض علماء الغرب نظرياتهم وخلافنا معهم على ضوء ما ذكرناه عنهم فيما سبق يأتي من الوجوه الآتيه : -

١ - نزول آدم (الإنسان الأول) مباشرة من الجنة إلى الأرض على أحسن صورة إنسانية دون أن يمر بمرحلة التطور المزعومة ، وهو على الحالة التي قال الله عز وجل فيها : " **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** " [2] .

(١) الطبري - تاريخ الأمم والملوك - م١ - ص ١٢١ ، ١٢٢ .

وكلمة خبز الملة المراد بها ما يُصنع في الرماد أو الجمر من الخبز.

(٢) سورة التين - الآية ٤ .

٢ ـ أن الإنسان الأول قد استخدم الحديد، وتعلم كيفية تسخيره منذ العصور الأولى لتحرك الإنسان على وجه الأرض ، في حين يذكر الغربيون أن استخدام الإنسان للحديد قد جاء في أواخر عصور ما قبل التاريخ بعد الإنسان الأول بقرون عديدة تبعاً لنظرية التطور عندهم.

٣ ـ أن الإنسان الأول قد مارَسَ الزراعة منذ الأيام الأولى لنزوله على الأرض، وحصد ، ودرس، وطحن، وخبز، وأشعل النيران من الحجارة والحديد بعكس ما يذهب إليه الغربيون من تأخر هذا كله قروناً عديدة.

ثانياً: العصور القديمة:

ترك لنا ما يمكننا التعرف على بعض أخباره وبعض تاريخه، حيث بدأ التدوين، واتضحت بعض جوانب حياته ونشاطه الإنساني.

فالتاريخ كما عرفنا سجل العصور الغابرة وديوانها الحافظ لأخبارها ، ولذلك فالتاريخ القديم هو قدم اهتداء الإنسان لصناعة الكتابة ، وأما قبل ذلك فقد كانت المصادر عبارة عن روايات شفهية تنحدر من جيل إلى جيل [١] .

كما كانت هناك أيضاً صورة الكتابة التاريخية المدوّنة وهي :النقوش القديمة التي مكنتنا وساعدتنا في الاطلاع على الكثير من أخبار الماضي، تلك النقوش التي لم تكن قط هدفها الاستخدام التاريخي بل صنعت لتمجيد الزعماء والقادة، وتخليد أعمالهم وانتصاراتهم، أو أداء واجب ديني يتعلق بالإرشاد والوعظ، وما يتعلق بعبادات القدماء، وطقوسهم الدينية.

هذا على الرغم من صعوبة التعامل مع بعض النقوش التى تحتاج لفك طلاسمها إلى علماء متخصصين، وهو أمر صعب للغاية لا يدركه إلا قلة منهم،

---

(١) هرنشو – علم التاريخ – ترجمة / عبد [illegible] العبادي– لجنة التأليف والترجمة – القاهرة – ١٩٣٧م – ص ٢٥ .

ولذلك فقد ظل العديد منها سراً مبهماً يتطلع العالم إلى فك رموزه وأسراره، وما يحتوى على معلومات قد تساعد البشرية على فهم كثير من الأحداث الغامضة.

وبرغم ما في الأولى (الروايات الشفهية) من أخطاء وتحريف إلا أنها أسهل استخداماً للمؤرخين من النقوش حيث أن الأولى ظلت تتناقل بلغات مفهومة ومعلومة فشاع استخدامها بين المؤرخين ، نظراً لجهلهم برموز ولغة النقوش ، الأمر الذي تسبب في تشويه الكثير من الأحداث ، مما اضطر المؤرخين المحدثين لإعادة النظر في تلك الأحداث، ومحاولة تصحيحها على ضوء ما توفر من معلومات جديدة نتيجة للحفريات وما اكتشف من آثار، وأوراق البردي.

كان لاكتشاف واختراع الورق أثر كبير في عملية تطور التدوين بعد أن سهل تسجيل الحوادث فيما عُرف بالحوليات التاريخية التي تُعد أقدم كتب تاريخية بما تعنيه الكلمة في العصر الحديث.

وأقدم الحوليات هي المحفوظة في المعابد، وهي تنقسم بدورها إلى أنواع فمنها :

١ ـ الحوليات الدينية العادية.

٢ ـ ما هو من نوع القوائم النذرية التي تسجل المعجزات والخوارق التي تحققت في معبد من المعابد.

٣ ـ القوائم التي تعدد أسماء كهان وكاهنات المعبد.

٤ ـ سجلات الصدقات والنذور التي تقدم للمعبد والعجائب التي تمت على أيدي كهنته.

٥ ـ سجلات تدوين الأحداث السياسية الهامة التي تمر في أيام الكتاب الكهنة، وهذه الأخيرة تكون جنباً إلى جنب مع احتفاظهم بسجلات تدوين الحوادث الدينية.

وتجدر الإشارة إلى أن أقدم المؤرخين الذين ظهروا في العالم هم الناثرون الذين عاشوا في المدن الأيونية القديمة، وتميزوا بتحريهم للحقيقة التاريخية في محاولة لتدوين تاريخي أقرب إلى الواقع [١] .

فقد كان عند الإغريق نزعة دنيوية وميل إلى تعقل الأشياء وتفنيدها ، وظهرت عندهم ملكة الشك فيما يصل إلى أيديهم من أحداث بذلوا جهوداً مشكورة في محاولة التفريق بين الخرافة منها والحقيقة حسب تصادمها مع العقل الإغريقي أو اتفاقها معه.

فقد شرع الإغريق منذ حوالي سنة ٢٠٠٠ ق.م في التطفل على أقاليم مدنيات البحر الأبيض المتوسط ولا سيما مدنيات إقريطش ومصر، وآسيا الصغرى، ودرسوا بذلك مدنيات الشرق القديمة، وجاهليات الغرب، في محاولات متكررة منهم لاستقراء واستنطاق الماضي للوصول إلى معرفة حقائق الأشياء على طبيعتها دون تسرب الأسطورة والخرافة إليها .

ويُعتبر هكتيوس أول المؤرخين اليونان فيما نعرف ولد في حوالي سنة ٥٤٦ق.م بمدينة الملطية، وله كتابات عديدة في تاريخ الإغريق [٢] .

وقبل أن نتعرض للحضارتين الإغريقية والرومانية والكتابات التاريخية فيهما ومؤرخيهم يجدر بنا ان نلقى بعض الضوء على الحضارات الشرقية التي نهلت منها الحضارتين الإغريقية والرومانية.

(١) د / حاطوم وآخرون ـ المدخل ـ ص ٩٦ وما بعدها .

(٢) هرنشو - علم التاريخ - ص ٢٨-٢٩ .

الحضارات الشرقية القديمة :

١- حضارة المصريين القدماء

تعد الحضارة المصرية القديمة من أوائل الحضارات التي اعطت وجهاً متطوراً للعالم القديم، مع ما تزامن معها من حضارة العراق القديم، حيث حفلت مصر قديماً بابتكارات فكرية وعملية منذ بداية الحياة بها [١] - فيما نعلم - وتمثل ذلك في ظهور الصناعة بها مبكراً عن غيرها فقد كانت بها صناعة حجرية وخشبية وعاجية ونحاسية وكذلك أعمال طينية ، وغير ذلك من الصناعات.

إضافة إلى ظهور الاستقرار فيها بمجتمعات القرى المستقرة التي عملت بالزراعة، وتطورت الحياة فيها سريعاً بظهور مجموعات من النظريات السياسية والمفاهيم الاجتماعية وكذلك الدينية ، كما أنهم قسموا السنة إلى ثلاثمائة وخمس وستين يوماً بعد أن توصلوا إلى تقويم شمسي.

والأهم من ذلك هو أن المصريين القدماء قد توصلوا إلى نوع من الكتابة منذ وقت مبكر يرجع إلى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، وربما قبل ذلك أيضاً.

ومن العلوم التي برع فيها المصريون علم الفلك بما خلّفوه لنا من أدوات استخدموها في هذا المجال ن كما برعوا في العمارة، والهندسة والرياضيات، بالإضافة إلى تمكنهم في الطب وعملّيات التحنيط ، هذه العلوم التي يُعتقد أنهم بلغوا فيها شأواً بعيداً ، وقد حققوا فيها الريادة مازال العلماء يحارون في تفسير بعض غموضها حتى يوم الله هذا.

---

(١) فقد أثبتت البحوث الأثرية والجيولوجية الحديثة أن حضارة مصر قد ظهرت قبل الميلاد لأكثر من أربعة آلاف عام، بل وجدت بها الحضارة قبل طوفان نوح عليه السلام.
انظر :أمين مدني – التاريخ العربي وبدايته – دار تهامة – ط٢ – جدة – ١٩٨١– ص٥٥ .

وفي المجال التاريخي فأقدم الكتابات التاريخية عندهم كانت محاولات (مانيتون) Manetho الكاهن المصري [1] الذي كان معاصراً للعصر البطلمي الأول وقام بوضع تاريخ للمصرين القدماء اعتمد فيه على طريقة الحوليات ، وفي المجال السياسي لاشك أن توحيد مصر العليا والسفلى يُعد تطوراً سياسياً وإدارياً حافظ على المدنية المصرية، وجعلها أكثر ثراءاً وتنظيماً من غيرها [2].

- الحضارات العراقية القديمة

ومن بين أشهر الحضارات العالمية القديمة هي الحضارات العراقية، ومن أقدم الكتابات أيضاً الكتابة السومرية حيث عمد السومريون إلى تدوين أساطيرهم ، وتاريخهم بلغتهم المسمارية في سجلات احتفظوا بها كانت عبارة عن ألواح طينية مجسمة على شكل منشور أو أسطوانة، وبعضها كان على هيئة لوح حجرى صغير.

وتُعد الكتابات المسمارية من أقدم الكتابات التي عُثر عليها في العالم القديم حيث أن حضارتهم هي الأخرى من أقدم الحضارات التي خلفت للبشرية آثاراً كشفت اللثام عن كثير من أسرارها ، ولا سيما حضارة جمدة نصر.

وقد انتقلت الحضارة السومرية بعد ذلك إلى الأكديين الذين ظهروا في بلاد ما بين النهرين في المناطق الشمالية منها ، وكان إقليمهم يسمى أكاد ، حيث

---

(١) ترجع أهمية المؤرخ المصري مانيثون إلى ما قام به من تأليف وعناية بأمر التاريخ وكتب تاريخه باللغة اليونانية (التي كُتِب لها البقاء) ، واعتمد على مصادر مصرية قديمة، وعلى الرغم من ضياع كتابه، إلا أن ما تبقى منه قد أفصح كثيراً عن حياة مصر القديمة، وانتفع به العلماء كثيراً .

انظر :هرنشو – علم التاريخ – ص٢٦ .

(٢) هرنشو – علم التاريخ – ص ١٦ .

وانظر: د /عبد العزيز صالح – الشرق الأدنى القديم – جـ١)مصر والعراق -(ط٢ – القاهرة – ١٩٧٩م– ص ٧١-٧٢ .

تمكنوا فيما بين سنتي (٢٦٣٧ ـ ٢٥٨٢ ق.م) في عهد ملكهم سرجون من إخضاع مملكة السومريين، على الرغم من تقدم السومريين عليهم وحضارتهم ظلت محافظة على تفوقها فترة طويلة حتى بعد خضوعهم للأكاديين.

وقد جاء البابليون ليكملوا الوجه الحضاري في العراق فعملوا على إضافة جهودهم لما وجدوه عند السومريين، وأدخلوا على الكتابة المسمارية بعض العلامات التي ساعدت على تميز الأصوات الغير مميزة في السابق، وبدأوا في تجميع قوائم لغوية جمعت بين الكلمات السومرية القديمة وما يقابلها من كلمات سامية حيث اختلط الاثنان معاً في حركة تطور لغوي ساعد على إثراء اللغة.

ومن الإنجازات المحمودة للحضارة البابلية ما قام به رجالها من تشريع للقوانين بشكل ساعد على تنظيم مملكتهم، وضمان سير العدالة فيها، كما أن الكُتّاب البابليين تركوا لنا قوائم سجلوا فيها أسماء الحيوانات والنباتات التي كانت عندهم ، وسجلوا كذلك الأساطير والقصص السومرية والسامية [١] .

وتعددت إنجازات البابليين الحضارية، وخاصة في علم التنجيم والفلك وما يخصهما من حساب ورياضة حيث قسموا الدائرة إلى ٣٦٠ درجة، وقسموا الدرجة إلى ٦٠ دقيقة، والدقيقة قسموها إلى ٦٠ ثانية، واخترعوا الساعة المائية وقدروا بها الزمن والوقت.

والذي تجدر الإشارة إليه هو أن الحضارة الآشورية قد عاصرت الحضارة البابلية، واجتمعت الحضارتين في استخدام الكتابة التي تم تطويرها في عهدهم،

(١) من بين من نقلوا لنا تاريخ الحضارة البابلية بيروسوس Berossus الكاهن البابلي القديم عاش حوالي سنة ٢٥٠ ق.م ، وألف تاريخاً باليونانية لبابل جمعه من مصادر بابلية قديمة وترجع أهميته في حديثه عن الطوفان الذي جاء مطابقاً لما ذكرته وأفصحت عنه النقوش المسمارية .

انظر: هرنشو – علم التاريخ – ص ٢٦ .

وتطوير الآداب السابقة عليهم ، ولا سيما بعد أن أقام سرجون الثاني ملكهم مكتبته الشهيرة في نينوي ، وتلتها مكتبات أخرى أنشأها خلفاؤه من بعده[١].

وثمة كلمة أردت إضافتها في معرض الحديث عن الحضارة البابلية بالعراق وهي :أن هناك بعض المؤرخين القدامى يتحدثون عن قِدم سكان العراق، وأن حياتهم بها سبقت طوفان نوح عليه السلام، ليس هذا فحسب بل يعتقد البعض بأن آدم وحواء كانا مع جنتهما بأرض بابل بالعراق .

وذهب الكثيرون من أهل التاريخ للتأكيد على أن أرض بابل كانت هي الأرض التي عاش عليها نوح، ووقعت بها الحوادث المعروفة لنا التي حكي عنها القرآن الكريم، ومع ذلك فإن قضية تحديد المكان الذي عاش فيه آدم عليه السلام ، وكذلك منطقة نوح (عليه السلام) لم يستطع أحد أن يحسمها بشكل قاطع.

وقد استدل علماء الجيولوجيا بما وجدوه في أعماق الأرض البابلية من آثار ومخلفات العصور السحيقة التي دلت على وجود حضارة ظهرت وازدهرت قبل الطوفان ، كانت تُعد العصر الذهبي لبلاد العراق [٢] .

٣ـ حضارات العرب القديمة

ربما يجد الباحث دراسة في التاريخ القديم صعوبات عديدة إلا أنه في بحثه لتاريخ شبه الجزيرة العربية وحضارتها القديمة يجد صعوبات أشد وأكثر تعقيداً حيث تجمعت أسباب مختلفة أدت في النهاية إلى طمس هذا التاريخ العربي القديم (الموغل في القدم) .

---

(١) انظر تفاصيل عن هذه الحضارات عند :

د /عبد العزيز صالح - الشرق الأدنى القديم - ص٥٣٩ وما بعدها .

وانظر : جورج سارتون - تاريخ العلم - جـ١ - ص ١٤٤ وما بعدها .

(٢) أمين مدني - التاريخ العربي وبدايته - ص ٥٤، ٥٥ .

وربما يرجع ذلك إلى إهمال المسلمين لتاريخ ما قبل الإسلام لما أحدثه الدين ونبيه ﷺ في تطور إيجابي سريع للبشرية جعلت الأمم العربية الإسلامية تعني بتاريخ الأمة الجديدة مع إلمامة سريعة لما سبقته من سنين قريبة دون العناية بما هو أبعد وأعمق فضلاً عن التاريخ القديم البعيد، وناهيك عما هو اشد بعداً (ما قبل التاريخ) .

والشئ الآخر هو أن العرب اعتمدوا في نقل تاريخهم على الروايات الشفهية التي اضطروا إلى العناية ببعضها وإهمال البعض الآخر، وأحيانا ترك البعيد تاريخياً ، والعناية والحرص على الأقرب للمعاصرين مما يتصل بحياتهم مباشرة كالمفاخرة بالصفات القبلية، وأصولها ومعاركها، والحوادث الهامة القريبة دون غيرها لتغلب النسيان على ذاك الماضي البعيد وأخباره ورواياته الشفهية ، ولاسيما إذا علمنا أن الإسلام عندما بزغ نوره في شبه الجزيرة العربية لم يكن يعرف القراءة والكتابة سوى نفر قليل ربما لا يتعدى بضعة عشر رجلاً.

ورغم ذلك فالأمر أكبر بكثير مما يتخيله البعض فيما يخص تاريخ الحضارات القديمة في شبه جزيرة العرب حيث أن كلمة)العرب في الجاهلية (قد جعل الكثيرين يغلقون الباب في وجه هذه الفترات التاريخية، وهذا ظلم بيِّن لتلك البقعة الهامة من العالم.

فالحقيقة التي يؤكدها بعض كبار الباحثين والأثريين تذكر أن قلب الجزيرة العربية وجنوبها كانا أسبق إلى الحضارة من العراق ومصر، وقد أكد شوينفرت أن زراعة الحبوب واستئناس واستخدام الحيوانات قد حدث في بلاد العرب، وبلاد اليمن في عصور ما قبل التاريخ، ومنها انتشرت إلى مناطق الفرات ووادي النيل، هذه الأنشطة التي تُعد بلا شك من أهم أسباب الحضارة وإحدى وسائلها.

وذكر ديورانت في كتابه / قصة الحضارة : أن السومريين في العراق كانوا يستوردون النحاس والأخشاب من بلاد العرب من أقدم العصور، ومن البديهي أن

قوماً يصدرون النحاس والأخشاب فلا بد انهم كانوا يستخرجون الأولى ويقطعون ثم يتاجرون بالثانية، ولم يصل إليهما الإنسان بالطبع إلا بعد أن توغل وقطع شوطاً كبيراً في مضمار الحضارة، وبعض التقدم.

كما أن هناك من المؤرخين من يؤكد باهتمام بالغ أنه كانت هناك أنهار تنساب في قلب جزيرة العرب، وتجعل من أوديتها مصدراً من مصادر إمداد الحضارة بمقوماتها وأسباب العيش الكريم بها، وأن بلاد الحجاز كانت بخصوبتها أكثر بلاد الله ماءاً وأشجاراً.

وتناولت بحوث عديدة التاريخ القديم في جنوب الجزيرة العربية وشرقها ، وما كشفت عنه الحفريات الأثرية في اليمن، وما عثر عليه الرواد في نجد والعروض الممتدة على الخليج العربي ، وتهامة البحر الأحمر من آثار الإنسان الذي عاش في العصر الحجري، وما عثروا عليه كذلك في عمان من آثار الحضارة في العصر النحاسي ، وكشوفهم في وادي القرى من قصور شيدها قوم عاد أو نحتها قوم ثمود في بطون الجبال، ومن ارض الجزيرة العربية كان يصدر النحاس والذهب والخشب والبخور.

ولا غرو في ذلك فقد ظهرت أمم عديدة قديمة وبدأ المؤرخون الأوربيون يعترفون بسبق وجودها مثل قوم عاد ، وقوم ثمود وحضارتهم ، وكذلك قوم هود ، وقوم صالح، وأصحاب مدين، ناهيك عما قيل عن الإرميين ، والعماليق، والكنعانيين وكذلك من يُرجح بأن :وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً هي شعوب انتشرت في بلاد العرب وهذا غير من قال أنها آلهة وأقرب الأمثلة الحية تلك النقوش التي عثروا عليها مع النحت الثمودي في مدائن صالح، وهي أثر لا ينكر من حضارات الماضي القديم، ويرجعها البعض إلى عصر عاد وقومه الذين ورثوا الأرض بعد قوم نوح عليه السلام [١] .

---

(١) أمين مدني – التاريخ العرب – ص ٥٣ وما بعدها .

والـــذي نخلص إليـــه هو أن كـثـرة الشـواهد والأدلة الأثرية تُظهـر بجـلاء أنه كانت هناك حضـارات لم تفصح لنا بواطن الأرض عن تفـاصيلهـا ، وقد تبـوح لنا بأسـرارها مع التـقـدم العلمي في مـجـال التنقـيب والبـحث الحـديث في المسـتـقـبل القريب بمشيئة الله.

٤ - حضارة الفينيقيين

استـوطن الفـينيـقـيـون سـواحل الطرف الشـرقي للبـحـر المـتـوسط ، وكـان مـوقـعـهم على السـاحل قد سـهل لهم ارتيـاد البـحـر، والأخذ بناصيـة التـجـارة فيـه، فـقد كـانت عنايتهم بـالملاحة فائقة، وتمكنوا من منافسـة اليونانييـن انطلاقاً من مدنهم الهـامة مثل صِور وصيـدا ، وغيـرها حيث قامـوا بتصدير البضـائع منهـا كالبضـائع الفخـارية والزجاجيـة، وبعض المصنوعات النحاسيـة والأدوات المعدنيـة، وبعض المنسوجات المطرزة التي كانوا يقومون بتطريزها بأنفسهم.

وانتـعـشت ألــوان من الفنون نمت وازدادت بسـبـب نشـاطهم وذكـائهم الحـاد ، كما قاموا بتطوير الحروف الأبجدية التي استخدمها قدماء المصريين تلك الحروف المطورة التي نقلها اليـونانيـون ، وأضـافـوا لهـا رموزاً جديدة ساعدت على تطويرها أكثر [١] .

ويذكر البعض[٢] : أنهم أول من اكتشفوا أمريكا ، وأنهم أوجدوا دولة قرطاجة (في منطقة تونس الحالية) سنة ٨١٤ ق.م ، تلك الدولة التي انتشرت في الشمـال الإفـريقي ، وسـواحل أسبـانيـا ومـالطة، ودارت بينهـا وبين الروم حـروب عديدة كـان

(١) جورج سارتون - تاريخ العلم - جـ١- ص ٢٤٠ وما بعدها .

وانظر : د /محمد مهران - دراسات في تاريخ العرب القديم - المملكة العربية السعودية - منشورات جامعة الإمام محمد ابن سعود - ط٢ - ١٩٨٠ - ص ٦ وما بعدها .

(٢) علوي بن طاهر الحداد - المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى - تحقيق /السيد محمد ضياء - عالم المعرفة -ط ١- جدة - ١٩٨٥م - ص ٣٤،٣٣ .

النصر حليف الفينيقين فيها سنوات طويلة ، ثم دارت عليهم الدائرة، وتمكن الروم من دك عاصمتهم والاستيلاء عليها.

٥-حضارة الهنود

يلاحظ في التاريخ الهندي افتقاره إلى مصادر كافية لتكشف اللثام عن أسراره وتفاصيله على الرغم من أن التاريخ الهندي موغل في القدم، ويمتد آلاف السنين ، ويبدو أن السبب في ذلك يعود إلى أن البراهمة الهنود قد حصروا اهتمامهم على الدين دون التاريخ مع احتفاظهم ببعض الاهتمامات التاريخية ، ولكنها تتعلق بالأمور الدينية عندهم.

ومن أبرز عصور الهند القديمة (العهد الفيدي) الذي نعم فيه الهنود بالاستقرار ، والحياة المشرقة.

وهناك تقسيمات للتاريخ الهندي القديم تشمل أربعة عصور هي :

١ ـ العصر الأول : عصر الكريتا او العصر الذهبي ويعتبرونه عصر الكمال.

٢ ـ العصر الثاني : عصر التريتا حيث ضعفت فيه الأخلاق ، وانحطت القيم.

٣ ـ العصر الثالث :عصر الدفابار انتشرت فيه الأمراض والخطايا وصيغت القوانين.

٤ ـ العصر الرابع : عصر الكالى أكثرها انحطاطاً بعد أن أهمل الدين وساءت أحوال البلاد.

ويبدو أن هذه العصور كانت تتكرر أو أن كل عصر ينطبق عليه الحال نفسه يُطلق عليه الاسم ذاته [١] .

٦-حضارة الصين

تميزت الحضارة الصينية باستمرارها اكثر من أربعة آلاف سنة ، وهي محتفظة

---

(١) ويدجرى - التاريخ وكيف يفسرونه - ترجمة/عبد العزيز جاويد- الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٢م - ص٣٤ .

بعاداتها وقوانينها ولغتها وملابس أهلها ، ونظاماً اعتبره المؤرخون والباحثون من أكثر النظم الحضارية تكاملاً إلى حد كبير ، وليس هذا فحسب بل تميزت حضارتهم بثقافة عالية جعلتهم يتفوقون على غيرهم من معاصريهم الأسيان هذا التفوق الذي برز في مجالات عديدة في الفنون، والسياسة والحكمة، والفلسفة، وحسن التدبير.

ومن حسن حظ البشرية في مجال بحثها عن المعرفة التاريخية توفر مصادر هائلة من التاريخ الصيني المكتوب الذي يشبه إلى حد كبير الحوليات التي شملت تفاصيل عديدة عن حياة طبقة الحكام، وتفاصيل أخرى عن الحياة الدينية، وما اشتهر في الصين من أساطير وحكايات ملأت بطون هذه الكتابات.

وتميزت الكتابات التاريخية بنوع من الفلسفة التي أفرزت مواقف واتجاهات أخلاقية، وتحذير وترهيب من الاقتراب من الرذيلة التي كان يتبعها عقاب سريع رادع، بينما نالت الفضيلة الجزاء الحسن.

وقد حدث صراع فكري عنيف بين فلسفتين إحدهما تسمى الفلسفة التاوية التي كانت ترى أهمية التاريخ ولزومه لحياة الأفراد الاجتماعية ، وكان أصحاب هذه الفلسفة يحاولون إبعاد الإنسان عما يساوره من قلق فيدعونه إلى ترك حبه للحياة وكراهيته للموت ، كما أنهم دعوا إلى إزابة الفوارق بين الطبقات والبشر جميعاً، وإلى تواضع الجميع والهدوء بدون التكالب على المصالح والأعمال.

ولم تجد دعوة التاوية رواجاً أو قبولاً في المجتمعات الصينية ولاسيما بعد ظهور الفلسفة الكونفوشية التي عارضت التاوية وتركزت أفكار الكونفوشية على ناحية الأخلاق فقد كان كونفوشيوس مصلحاً اخلاقياً يدعو للصدق والاخلاص والأمانة (١) .

(١) ويدجرى - التاريخ - ص٦ وما بعدها

هذه هي الحضارات الشرقية التي انتفع بها الإغريق والرومان، ونهلوا من علومها ومعارفها ونتاج حضارتها بعد أن وصلت بعضها إلى نوع من الرقي والازدهار، ونظم حضارية استحقت أن تشغل حيزاً تاريخياً وعناية فائقة من المؤرخين في العصر الحديث.

وبعد أن استعرضنا المدنيات والحضارات الشرقية التي استقى منها الإغريق والرومان يجدر بنا هنا أن نلقى بعض الضوء على الحضارتين الإغريقية والرومانية في العصور القديمة.

أولا :الحضارة الإغريقية ومؤرخوها

في البداية يجب أن نفرق بين ما قلناه من أن الحضارات الشرقية مصرية وبابلية عراقية وفينيقية وهندية ..الخ هي أقدم الحضارات، وبين قول :أن أقدم مؤرخين ظهروا في العالم هم الناثرون الإغريق الذين ظهروا في المدن الأيونية الإغريقية القديمة الذين نهجوا في تحريهم للحقيقة منهجاً لم يقصروا فيه على الوثيقة المدونة أو الرواية الشفهية بل حاولوا الوصول للواقع بدراسة وافيه.

وعنى الإغريق بشكل خاص بتاريخ فارس وعلاقتهم بسكان المدن الأيونية حيث كانوا يكتبون التاريخ بأسلوب أدبي سرعان ما انتقل إلى الرومان مع العناية التامة بالمصادر التي يستقى منها معلوماته [١] .

وقد سبق الحديث عن أول من وصل إلينا أعماله التاريخية من الإغريق ، وهو:

١ـ **مؤرخهم هكتيوس** Hecataeus الذي عني عناية كبيرة بالبحث والكتابة في أصل الشعب الإغريقي، ورغم أنه أخطأ كثيرا إلا أن طريقته في البحث كانت سليمة، وامتاز عقله بأنه كان علمياً حتى أنه يؤكد في كتاباته مقولته " :لست

(١) د/ حاطوم – علم التاريخ – ص ٢٩ .

أثبت هنا إلا الحكاية التي أعتقد صحتها، فإن أساطير اليونان كثيرة، وهي عندي حديث خرافة " (١) .

٢-هيرودوت الهيلكرناسي Herodatus Halicarnassus (أبو التاريخ) .

ولد هيرودوت بمدينة هيلكرناسوس بآسيا الصغرى التي كانت تتبع دولة فارس حينئذ وعاش في الفترة بين (٤٨٤ ـ ٤٢٥ ق.م) حيث ورث عن أسرته ولعها بميدان العمل السياسي كما شاركها في كره الحكم الفارسي لبلاده.

وانكب على الاطلاع الواسع منذ نعومة أظفاره حتى أصبح أكثر الناس معرفة وسعة في الاطلاع، في الوقت الذي ازدهر فيه أدب اليونان ولا سيما في مجال الشعر والنثر فاطلع على الإلياذة والأوديسة، وقرأ شعر الملاحم، وسافو، وصولون، وغيرهم من الكتاب والشعراء حيث عمد هيرودوت إلى نقد كتاباتهم حسب رؤيته ، وكان دائماً يشير إليهم بعد أن خبرهم عن قرب وعن فهم لما يكتبون.

ودفعه ولعه بالعلم والثقافة والفكر إلى الرحلة، وزيارة البلدان العديدة داخل اليونان وخارجها والكتابة عنها فهو رحالة مؤرخ ، حيث شملت رحلاته :مدن آسيا الصغرى ، والجزء الأوربي من اليونان عدة مرات، وزار جزر الأرخبيل اليوناني : قبرص، باروس، وكريت وغيرها ، ثم رحلته الطويلة إلى سوزه عاصمة الفرس، وفي أثنائها زار بلاد بابل بالعراق وشواطئ البحر الأسود الغربية ، وبلاد الشرق الأوسط القديمة الأخرى كشواطئ الشام، ولاسيما صور وغزة، والثغور الفلسطينية الأخرى حتى انتهى به المطاف إلى مصر التي أقام بها فترة طويلة.

وأهم ما يميز هيرودوت هو عنايته الفائقة كلما زار قطراً أو موقعاً ذا مكانة أو قيمة تاريخية وأثريه فإنه يطيل الإقامة التي يقضيها في التعرف على المكان وآثاره، وأشهر المعالم فيه ، ويحاول الإحاطة بأخباره وأوصافه من رؤيته وسؤال السكان عن أخبارهم قديمها مسجلاً كل هذه الوقائع لكتابة تاريخه المشهور بين الأمم الآن.

(١) هرنشو – علم التاريخ – ص ٢٩- ، ٣٠.

استغرقت رحلات هيرودوت ما يقرب من السبعة عشر عاماً بدأها عندما كان شاباً في العشرين من عمره فيما بين سنتي (٤٦٤ ـ ٤٤٧ق.م) وعاد هيرودوت من رحلاته إلى جزيرة ساموس التي قضى بها سبع سنوات ثم انتقل إلى مسقط رأسه هليكرناسوس للمشاركة في الثورة على طغيان حاكمها ليغدامس حتى تم القضاء عليه، وعادت مدينته متحررة من الحكم الفارسى لتنضم إلى اليونان، وليحصل هيرودوت على لقب مواطن لمشاركته في تحرير مدينته.

وتظهر لنا مكانة هيرودوت بين المؤرخين من خلال كتابه الذي وضع له الباحثون عناوين ليست هي العنوان الأصلي - فيما يبدو- فقد وضعوا له اسم: "التاريخ العام"، أو "تاريخ الحروب بين اليونان والفرس"، أو "تاريخ الحروب بين اليونان والبرابرة ."

اشتمل كتابه على مقدمة عبارة عن توطئة لماضي الأمتين الفارسية واليونانية ، وعلاقتهما بغيرهما من الشعوب ، وتناول في مقدمته جغرافية البلدان، والعادات والتقاليد وأخلاق الأهالي فيهما، وأضاف إلى ذلك الحديث عن بعض الحضارات الأخرى آشور وبابل ومصر وغيرها.

وما أن انتهى من مقدمة كتابه حتى بدأ في موضوعه الرئيسي وهو الغزو الفارسي لبلاد اليونان حيث تناوله بدقة بذل جهداً كبيراً في إبرازها بأسلوب شيق، وترتيب للحوادث دون تداخل أو استطراد مُخل للمعلومات .

وطُبع كتابه مرات عديدة منذ سنة ١٤٥٠ م باللغة اليونانية واللاتينية ، وغيرها [١] .

٣.توسيدس Thucydides

ولد مواطناً أثينياً من أسرة غنية تمتلك منجماً للذهب ، وعاش في الفترة بين (٤٧١ ـ ٤٠١ ق.م) تلك الفترة التي كانت تُعد تاريخاً ذهبياً في حياة أثينا في

(١) هرنشو - علم التاريخ - ص ٢٩-٣٠ , وانظر د / حاطوم - المدخل - ص ٧٦ ، ١٠٠ ومابعدها .
وانظر د / حاطوم - المدخل - ص ٧٦ ، ١٠٠ ومابعدها .

المجال الفكري والفني وباتت حضارتها تُثرى الإنسان الأثينى بثقافة واسعة الاطلاع، ومع ذلك فقد عمد توسيدس في كتابه إلى تسجيل الحوادث التي وقعت في عصره ويعرفها الناس بأسلوب جزل يميل فيه لاستعمال الألفاظ الشعرية، وأحيانا كان يظهر الغموض في بعض كتاباته التاريخية، وربما يرجع ذلك إلى اختلاط الفلسفة مع التاريخ في فكر توسيدس.

وتظهر أهمية هذا المؤرخ من خلال كتابه " :تاريخ الحروب البلوبونيزية" والذي يحكي تفاصيل أهم حادث مرّ في تاريخ الشعب اليوناني حتى عصره كما يذكر توسيدس نفسه – وهو الصراع والحرب بين أثينا واسبرطه، وظهر هدفه من تأليف كتابه وتسجيل أحداثه حتى يكون فيه العبرة لمن يأتي بعده لتنفعهم في المستقبل .وتاريخ توسيدس وصلنا مقسماً إلى ثمانية أقسام-:

القسم الأول : مقدمة عامة ينتهي منها إلى تفنيد أسباب الحروب البيلوبونيزية.

والثاني والثالث والرابع : تبحث في أحداث ثلاث سنوات من سنوات الصراع.

القسم الخامس : تناول فيه أحداث السنة العاشرة وما أعقبها من فترة سلم مؤقت.

السادس والسابع : عمد فيها لتناول أخبار الحملة الصقلية.

الثامن والأخير : كتب فيه عن الفصول الأخيرة من الحروب البيلوبونيزية التي عُرفت باسم الحرب الأيونية وانتهت سنة ٤١١ ق.م

والذي تجدر الإشارة إليه ونحن نختتم الحديث عن هذا المؤرخ الشهير هو أن كتاباته التاريخية قد أمدتنا بمعلومات وافية تعد مصادر أصلية عن بعض فترات العصور القديمة جعلت المؤرخين بعده أمثال سالوست وشيشرون وغيرهم فلاسفة وأدباء ومفكرون قد امتدحوه في أسلوبه ، وصدق معلوماته، حتى بات لكتابه

العديد من المخطوطات - رغم ضخامة هذا المؤلف - موزعة في المكتبات الكبرى العالمية، كما طُبع مرات عديدة وكُتبت ، دراسات كثيرة حديثه حوله [١].

وتجب الإشارة أيضاً إلى وجود العديد من المؤرخين الإغريق الآخرين (آثرنا الاكتفاء بمن أشرنا إليهم) كان من بينهم :بوليبيوس، وكزينوفون، وديونسيوس وغيرهم الذين أثروا المجال التاريخي، ونقلوا تاريخ وحضارة بلادهم إلى العصور التالية.

ثانياً : حضارة الرومان ومؤرخيهم .

يعتقد البعض أن الرومان بما سنوا من شرائع، وفتحوا من أمصار قد ساعدوا على ظهور النهضة الأوربية الحديثة والحالية بمدينتها المادية، ولكن الفرق الزمني والتاريخي كبير وعلى كلٍ فقد كان مقر الرومانيين بلاد إيطاليا)الحالية(التي سكنها أول الأمر البلاجيون ثم قبائل الأتروسك الذين كانوا على جانب من الحضارة أخذها عنهم الرومان، وأصلهم لاتين كانوا يقيمون بوادي نهر التبر، وبلادهم كانت تسمى اللاتيوم .

وقد ظهر تجمع الرومان في سنة ٧٥٣ ق.م على وجه التقريب بانتخابهم رومولوس ملكاً عليهم حيث قسم الأراضي بين شعبه، وجعل لهم مجلساً مفوضاً للبحث والنظر في الأمور الخطيرة، واتخذ لنفسه حرساً من ٣٠٠ رجل ثم قسّم شعبه إلى طبقات ثلاث هي :

طبقة الأشراف والنبلاء - طبقة الفرسان المحاربين - طبقة عامة الشعب. وتبدل نظام الحكم عندهم عدة مرات فتارة يقلبوا الحكم إلى جمهوري يحكمهم قنصلان ابتداءاً من سنة ٥١٠ ق.م ، ثم حكومة سموها الديكتاتورية من سنة ٤٩٦

(١) محمد فريد وجدى - دائرة معارف القرن العشرين- المجلد الرابع - دار الفكر - بيروت - ص ٤٢٩ وما بعدها .

ق.م ثم نواب الشعب)الديسمفير (سنة ٤٥١ ق.م الذين كانوا عشرة أعضاء يحكم كل منهم يوماً واحداً وهكذا [١].

أما عن الكتابة التاريخية عند الرومان فقد انتقل إليهم الأسلوب الأدبي في الكتابة التاريخية من اليونان، ولكن الرومان تميزوا باتخاذهم أسلوب الحوليات وظلوا يستخدمونها حتى النصف الأول من القرن الأول الميلادي، ثم أدخلت الصناعة اللفظية ، وتنميق الجمل ..الخ.

وكان سالوست المؤرخ الروماني تلميذاً للمؤرخ اليوناني توسيدس ، وتعلم منه الطريقة العلمية في الارتقاء بالكتابة التاريخية فكان أول من كتب بها [٢] .

ولكن الملاحظ أن تاريخ الرومان، ظل حتى وقت متأخر يكتبه باليونانية مؤرخون من الإغريق إلى أن نشر كتاب الأصول لكاتو Cato الخطيب الروماني القديم في القرن الثاني قبل الميلاد (حوالي سنة ١٦٠ق.م) .

وفيما يلي نعرض لبعض المؤرخين الرومان في العجالة التالية :

١ـ يوليوس قيصر

يُعد يوليوس قيصر أول من وصلنا كتاباته التاريخية ككتابات يُعتد بها في تاريخ الرومان، فكتابه " :الحرب الغولية " [٣] . الذي كُتب حوالي سنة ٥١ ق.م يمدنا بمعلومات تفصيلية عن السبع وقائع حربية من الثمان التي انتهت بضم أقاليم الغول إلى الدولة الرومانية، وامتداد الحضارة اللاتينية من بحر الروم إلى المحيط الأطلسي، ومع ذلك فالكتاب سيرة شخصية له، ودفاع عن سياسته وله

---

(٢) د / حاطوم وآخرون – المدخل – ص ١٠٠، ١٠١

(١) نسبة إلى Gaul الاسم القديم للمنطقة علتي تحدد بجبل الألب والبرانس والمحيط الأطلسى ونهر الراين.

كتاب آخر نشر بعد وفاته سنة ٤٤ ق.م يسمى " :تعليقات على الحرب الأهلية "، وهو تتمة للأول ..... [١] .

ونظراً لأهمية يوليوس قيصر، وندرة أمثاله ممن تولوا أعلى درجات السلطة وجمعوا بينها وبين كتابة التاريخ يحسن بنا أن نورد له هذه الترجمة-:

فقد كان قيصر أحد القادة العسكريين للامبراطورية الرومانية بعيداً عن الصراع على السلطة فيها، حيث كان يتنازعها كل من سيلا، وبومبيه حتى مات الأول وانفرد الثاني بالسلطة، وتصادف أن أصدر بومبيه أوامره لقيصر بترك جنوده، والعودة إلى رومية (عاصمتهم) فلما رفض قيصر استحكم العداء بينهما فجمع قيصر جنوده وهاجم بومبيه منتصراً عليه ، واستولى على العاصمة حيث عامل أهلها برفق فأطاعوه، وتتبع قائده أنطونيو (أنتوان صاحب القصة الغرامية مع كليوباترا ملكة مصر) عدوهما بومبيه حتى تمكن منه وقتله.

ونظراً لانتصاراته العديدة في أفريقية وآسيا وأوربا فقد عظّمه الرومانيون، ومنحوه لقب ديكتاتور ، كما حمل لقب امبرأطور طوال حياته، ثم أقاموا له تمثالاً، واعتبروه معبوداً تقام له الصلاة (والعياذ بالله)، كما أطلقوا علي أحد الشهور اسمه الأول وهو)يوليه (، كما نقشوا صورته على السكة (النقود) .

ومن أعماله المشهود بها أنه سنّ للرومانيين القوانين، ورتب لهم مجلساً للشيوخ إلا أن البعض تآمر عليه وتم قتله سنة ٤٤ ق.م ، وتولى بعده أنطونيو (أنتوان) وأوكتاف اللذان تصارعا على السلطة [٢] .

٢-سالوست Sallust

وهو معاصر ومؤازر ليوليوس قيصر (٨٦ ـ ٣٤ ق.م)، تولى العديد من المناصب من بينها :قاض الشعب، وانتخب عضو بمجلس الشيوخ ، كما رافق

(١) هرنشو - علم التاريخ - ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) محمد فريد - دائرة معارف العرن العشرين - مجلد ٤ - ص ٤٤٣ .

قيصر في حملاته الإفريقية، ثم عُين حاكما على مقاطعة نوميديا (تونس وبعض الجزائر)، وبعدها عاد إلى روما (روميه) حيث تفرغ للكتابة والتأليف والبحث.

وقد ساعدته المناصب الرفيعة التي تقلدها على أن يكون قريباً من الأحداث مشاركاً في صنعها فألف كتابه في التاريخ وهو سجل لتاريخ روما في الفترة ما بين سنة ٧٨ إلى سنة ٦٧ ق.م لم يصلنا سوى بعض أجزائه.

وقد وصلتنا بعض مؤلفاته كاملة مثل Catilines conspiracy :مؤامرة كاتيلينا وهوأحد النبلاء الذى دبر مؤامرة ضد مجلس الشيوخ الرومانى، وصورة على أنه عدو للقانون والأخلاق ، وله كتاب آخر عن الحروب مع جوغورتا (ملك نوميديا) التى كانت مقاطعة رومانية في الشمال الإفريقي.

ولأهمية كتابات سالوست التاريخية فقد طبعت عدة مرات ، وترجمت إلى لغات عديدة وتدرس مؤلفاته في العديد من المدارس العالمية الآن (١) .

* * *

(١) هرنشو - علم التاريخ - ص ٣٥.



الفصل الثالث

التاريخ في العصور الوسطي

نشأة علم التاريخ عند العرب

الروايات التاريخية (قبل الإسلام)

أولاً : أهل الجنوب ثانياً : أهل الشمال

التاريخ العربي منذ صدر الإسلام

مؤرخو السيرة والمغازي

الطبقة الأولى الطبقة الثانية الطبقة الثالثة

نشأة علم التاريخ عند العرب

الروايات التاريخية (قبل الإسلام)

يعاني كثير من الباحثين ويجد صعوبة في كتابة تاريخ الفترة التي سبقت الإسلام فيما عرف بعصر الجاهلية أو بتعبير آخر (عصر الظلام)، وهي الفترة التي امتدت أربعة قرون فيما بين القرن الثالث الميلادي حتى القرن السابع الميلادي، وهي الفترة التي تَسبب الجهل والظلام فيها - فيما يبدو - إلى محو، ونسيان تاريخ الحضارات العربية القديمة في شبه الجزيرة العربية، وأصبحت تلك الحضارات يغلفها الغموض، وطمس للمعالم الخاصة بها.

ويعزى البعض سبب فترة الظلام تلك إلى تحول التجارة التي كانت تعبر شبه الجزيرة العربية أيام عظمة روما ، بعد تدهورها ابتدا ءاً من القرن الثالث الميلادي وانتقال السوق التجاري إلى بيزنطة عندها حول البيزنطيون التجارة إلى طرقهم الخاصة بعيداً عن شبه الجزيرة، وتسبب ذلك في كساد اقتصادي تقهقرت على أثره البلاد ، وتأخرت بعد أن نضبت أسباب العيش فيها بعد أن كانت مزدهرة.

فقد ذكر جواد علي : " وأما اليونان والرومان ففي الأخبار المدونة في كتبهم عن ذهب الجزيرة وجودته ووفرته واستخراجه قطعاً قطعاً نقية من مناجمه ووجود الأنهار التي تحمل مياهها أتربة الدهب، وأمثال هذا من قصص ما فيه الكفاية " [١] .

ومع ذلك فقد كان للتاريخ أهمية خاصة عند العرب على الرغم من افتقارهم كثيراً لأدواته، ويرجع اهتمامهم به إلى ما قبل الإسلام، حيث كان الاعتقاد السائد عندهم أن الأمجاد التى حققها الأجداد تعطي الأبناء والحفدة مكانة مرموقة في المجتمع الذي يعيشون فيه فيتفاخرون بتاريخهم الأمر الذي أدى إلى العناية

---

(١) أمين مدني - التاريخ العربي وبدايته - ص ٢٤٩ وما بعدها .

بالأنساب، وحفظها بل وتوارثها للأجيال التالية الأمر الذي جعلهم يهتمون بهذا المجال التاريخي الهام [١] .

ويجب أن نفرق هنا بين التاريخ عند أهل الشمال، وأهل الجنوب :-

أولاً :أهل الجنوب

فأهل الجنوب (بلاد اليمن) كان من المفترض أن نحصل منهم على مادة تاريخية مكتوبة غزيرة بسبب أن هذه البلاد كانت مركزاً لحضارة قديمة مستقرة زمناً طويلاً حُفظت آثارها ونقوشها الخاصة بالدولة المعينية ، والسبئية، والحميرية.

ومع ذلك فلم يصل إلينا سوى قدر يسير مما يحمل طابع التاريخ المنقول بالسماع أغلبه يتحدث عن بضعة أسماء لملوك تلك الدول التي قامت في اليمن، وبعض القصص التي دخلها ألوان من التهويل والمبالغة.

هذا على الرغم من ظهور كتابات في القرن الأول للهجرة، وهي فترة مبكرة من التاريخ الإسلامي، وكان رائدها اثنان من المؤرخين الأول ، وهما وهب بن منبه، وعبيد بن شربه ، ولكن هذان المؤرخان افتقدا بعض خواص الملكة والحس التاريخي على الرغم من قبول المؤرخين من الأجيال التالية بعض رواياتهم، وضمنوها مؤلفاتهم.

فقد أخذ ابن اسحاق عن عبيد بن شربه ، بينما جمع عبد الملك بن هشام [٢] . كتاب التيجان لوهب بن منبه، الذي أخذ عنه أيضاً الطبري، أما ابن خلدون فقد أشار في كتاباته إلى مدى السخف الذي اشتملت عليه كتابات وهب مع أن ابن خلدون قد أورد كثيراً من بعض القصص ونقلها عنه.

(١) فرانز روزنتال - علم التاريخ عند المسلمين - ص أ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية - مجلد ٩ - ص ، ١٢٤

ويذكر هاملتون [1] : أن هذه القصص التي أوردها الأولون عن بلاد اليمن يشوبها الغموض والمبالغة عن ماضي موغل في القدم، وأخبار أدق من ذلك وعتها الذاكرة من أحداث القرن الأخير السابق فلإسلام، ولكنها أيضاً أخبار يلحقها الإضطراب، وهو بذلك يُفرق بين الروايات الشعبية الأسطورية - على حسب تعبيره- التي وردت عن بلاد العرب قبل الإسلام، وبين التواريخ العلمية الدقيقة إلى حد ما - التي ظهرت في القرن الثاني الهجري حيث أن الفارق بينهما كبير.

وهو يعزو هذا التطور الذي حدث في القرن الثاني إلى إلتقاء عدد من الروافد التاريخية أو شبه التاريخية [2] ، ودفعها لكتابة التاريخ العربي بشكل أكثر تنظيماً، وأكثر دقة، وهو مالا نجد غباراً عليه حيث أن جميع الحضارات نأخذ من بعضها البعض الأسباب التي تساعدها على إبراز خصوصيتها الحضارية.

ثانياً: أهل الشمال

واختلف الأمر بعض الشئ عند عرب الشمال، إذ كان لكل قبيلة خصوصية حيث تمتلك تاريخاً مروياً (مأثوراً)، ربما يكون أعلى كثيراً من الحقيقة، ولكن هذا الأمر ظل مرتبطاً بفكرة الأنساب عند العرب، وافتخارهم بها فيما بينهم،ويتضمن كذلك رواية لأغلب الحوادث (الأيام) التي شملت حروب القبيلة وانتصاراتها على أعدائها.

وكانت العادة عندهم قد جرت على أن تتخلل الروايات التاريخية بعض الأبيات والقصائد الشعرية وبعض الكتابات النثرية، كذلك حتى ليذكر أن الشعر هو الذي

(١) من كبار المستشرقين ، وأستاذ للعربية في جامعة أكسفورد بين (١٩٣٠ - ١٩٥٥)، ومدير لمركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة هارفارد ، وعضو أصيل في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وله مؤلفات عديدة.

(٣) هاملتون جب - دراسات في حضارة الإسلام - ترجمة د /إحسان عباس وآخرون- دار العلم للملايين - ط ٢ - بيروت - ١٩٧٤م - ص١٤٣ ، ١٤٤ .

حافظ على بقاء الرواية وانتشارها بحيث إذا نسيت القصيدة اندثرت الرواية باندثارها .

ويبدو أن اقتصار عرب الشمال على الروايات الشفهية قد كان بسبب تفشى الأمية فيهم بعكس عرب الجنوب، واشتملت هذه الروايات في الشمال على أخبار الآلهة ، وحياتهم الاجتماعية وأمجادهم، وفيها أيضاً مثلهم العليا كالشجاعة والمروءة والنجدة والعزة والإباء والكرم ...الخ.

وهذه الروايات التي خُلدت بسبب احتواء القصائد الشعرية المحفوظة لها ، ولذلك فقد كان تأثيرها عظيماً في نفوس سامعيها ، ولذلك كانوا يقولون أن الشعر ديوان العرب، به حُفظت الأنساب، وعرضت المآثر وبه أيضاً تمت المحافظة على اللغة وأصالتها قروناً عديدة.

ومن الأخبار التاريخية الهامة التي حفظتها لنا الروايات والقصائد :تاريخ الكعبة منذ بنائها إلى أيام قصي بن كلاب (جد النبي ﷺ) ، وإجلاء خزاعة لجرهم عن مكة، وردم بئر زمزم الذي قام به آخر أمير جرهمي قبل أن يترك مكه المكرمة، ثم أخبار قبيلة خزاعة فيها ، وما قام به عمرو بن لحي الخزاعي من إدخال أول صنم إلى مكة، وانتشار عبادة الأوثان فيها منذ ذلك الحين.

وشملت الروايات أيضاً طرد قصي بن كلاب لخزاعة من مكة، وتوليه هو وأبنائه حكمها ، وحلف الفضول، وغير ذلك من أخبار مكة في الجاهلية.

وفي المجال الاقتصادي حفظت لنا الروايات أخبار رحلات التجارة لعرب الشمال إلى كل من الشام واليمن والحبشة، وذلك قبيل ظهور الإسلام، حيث أدى احتكاك تجار قريش بهذه المناطق الخاضعة للحكم البيزنطي والفارسي إلى حصولهم على بعض تواريخ وأخبار هذه الأمم [١] .

---

(١) د/حاطوم وآخرون – المدخل – ص ١٥٥، ١٥٦ .

والذي يهمنا الإشارة إليه هو أن هذه التواريخ والأخبار التي ضمنتها الروايات الشفهية قد كانت بلا شك التمهيد الذي اعتمد عليه المؤرخون في العصر الإسلامي بعد ظهور التدوين فأخذوا يخطون من هذه الخلفية التاريخية كتاباتهم، بعد أن أدخلوا عليها بعض الصنعة والحبكة التاريخية التي بدأت متواضعة ثم ما لبثت أن تطورت مع التطور الزمني والفكري والحضاري في الدولة الإسلامية.

وعلى الرغم من اشتمال الرواية العربية على الكثير من الأساطير كما اتفقنا مع من قال بذلك إلا أنه بعد الكشف عن آثار اليمن بدأ محققوا التاريخ في العصر الحديث التعرف والاعتراف بما في الرواية العربية من حقائق اعتبرها المستشرقون خيالاً محضاً، ونترك المجال لأحد المعترفين بهذه الحقائق يصور لنا بقلمه ما أجادت به الاكتشافات الحديثة ومدلولاتها وهو المؤرخ "ديتلف نيلسن" : -

"فمن هذه الصورة المتعددة الألوان التي نكونها من مجموعة هذه النقوش نتبين الثقافة الحقيقية التى نمت وازدهرت في الشرق الأدنى، كما نتبين أيضاً هذه اللغة الغامضة الواردة في كتاب العهد القديم والتي كثيراً ما تُحدثنا عن السبئيين وثروتهم من الذهب والأحجار الكريمة ومختلف أنواع البخور .ويكفي أن نشير هنا إلى قصة ملكة سبأ لسليمان والواردة في سفر الملوك الأول أو الإصحاح العاشر، كما تُمكننا هذه الآثار العربية الجنوبية أيضاً من معرفة بلاد العرب السعيدة التي أشاد بذكرها اليونان والرومان حتى أن روما رغبت يوماً في الاستيلاء عليها فسيرت قبل الميلاد جيشاً لقى حتفه في الصحاري المترامية في بلاد العرب، ولولا هذه الآثار ما استطعنا إدراك كنه ما جاء في المصادر العربية وما يحدثنا به العرب عن اليمن وحكامها وبروجها وقصورها " [١] .

وتصديقاً لهذا الحديث نرى أن الآية القرآنية الكريمة التي حكت عن سلميان وملكة سبأ توحي، ويُفهم منها ما كانت عليه مملكتها من حضارة وتقدم وما وصلت إليه من رُقي ، وأنها جديرة بالبحث عنها وعن أسرارها.

---

(١) أمين مدني – التاريخ العربي – ص ٢٩٦ .

ونخلص من ذلك أيضاً إلى أن عرب الجنوب)اليمن (قد نقشوا كثيراً من أخبار ملوكهم ودولهم، ولاسيما أخبار بعض الحوادث التي وقعت فيما بين القرنين الثاني عشر قبل الميلاد ، والسادس الميلادي أي ابتداءاً من قبل الإسلام باثنى عشر قرناً حتى صدر الإسلام، وتركزت نقوشهم على جدران قصورهم ومبانيهم، وشملت النقوش أخبار دولهم وملوكهم والعلاقات الخارجية بالأمم والدول الأخرى بالإضافة إلى أحوالهم العامة.

واستطاع العلماء بعد كشف أستار هذه النقوش الوصول إلى حقائق عن تعاقب الدول على حكم بلاد عرب الجنوب طوال ثمانية عشر قرناً من الزمان وهي أربعة دول على الترتيب :المعينية ، والسبئية، والقتبانية والحميرية الأولى، والحميرية الثانية.

كما أفصحت هذه النقوش عن وجود تطور في نظام الحكم من عهد أمراء كهان يوحي بأن النظام والحكم عندهم كان ثيوقراطياً، ثم تحول إلى حكم دنيوي عندما وصلت سدته إلى الأمراء الإقطاعيين من الأقاليم أو بعض أسر المحاربين.

يضاف إلى ما تقدم من نقوش فقد عثر الباحثون على كثير من الكتابات التي ترجع إلى دول عرب الجنوب في الفترة الواقعة بين القرنين الثامن قبل الميلاد والسابع بعد الميلاد ، وشملت هذه الكتابات وثائق ملكية وسجلات دولتي حمير الأولى والثانية، والأنساب المدونة التي أطلق عليها في السابق اسم "الزبر" : وهي لغة الكتب التي يراد بها الأنساب المدونة بين دفتي كتاب، وكانت بعض الأسر اليمنية تحتفظ بها على شكل سجلات أو وثائق.

ويبدو أن هذه النقوش وتلك الكتابات الوثائقية والسجلات قد اشتملت على جوانب عديدة، وتفاصيل عن شتى جوانب الحياة البشرية الخاصة بالدول والملوك وحملاتهم العسكرية، ونواحي العمران، وبناء السدود وتشييد القلاع والأسوار، وجوانب اقتصادية ، وبعضها كان يتعرض إلى أعمال خيرية يقيمها البعض من أصحاب الثراء (١) .

(١) د / حاطوم وأخرون - المدخل - ص ١٣٩، ١٤٠ .

وفيما يلي نتعرض لبعض من كتبوا في تاريخ العرب قبل الإسلام بشئ من الإيجاز : -

فقد غلب على أسلوب الأخبار التي جاء بها هؤلاء الجانب والأسلوب القصصي الذي كان سائداً في الشمال وفي الجنوب على السواء مع ما فيها من مبالغة ومن مغالاة كما قدمنا.

وكان أهم الإخباريين الذين ابتدأوا نقل واقتباس هذه الروايات إلى كتبهم هم-:

كعب الأحبار – وعبيد بن شريه الجرهمي – ووهب بن منبه ، ولكن ما يؤخذ عليهم تعصبهم الشديد لعرب الجنوب، وتعمدهم نقل الأخبار التي عدها البعض أسطورية، وهي كذلك مع ما فيها من حقائق.

ولكن المؤرخون اضطروا للأخذ بكثير من رواياتهم في التمهيد لكتاباتهم بعرض موجز لتاريخ العرب قبل الإسلام، فأخذ منهم كتاب التراجم والطبقات كابن سعد ، وابن خلكان ، وياقوت الحموي والذهبي وغيرهم ، ولم يغفل أمرهم المستشرقون أو مؤرخونا المحدثون بل أخذوا عنهم وبحثوا في رواياتهم، واستفاد منهم التاريخ العربي الإسلامي فائدتين هما : -

أولهما : اضطرار العلماء والمفسرين الذين حاولوا منذ القرن الأول الهجري السابع الميلادي على فهم وتوضيح ما جاء في آيات الذكر الحكيم من إشارات وبعض القصص عمن سبقهم من أمم، وبعض الآيات التي تحدثت عن العرب البائدة ، والأنبياء والسابقين، ولا سيما بعد أن اعتنق الإسلام كثير من أحبار اليهود والنصارى حينئذ وجد المسلمون فيهم ضالتهم ، واستعانوا بهم في شرح وتفسير هذه الإشارات القرآنية وضموها إلى تفسيرهم للقرآن الكريم، وتفسير بعض جوانب التاريخ، وهذا هو الذي عُرف في الكتابات الإسلامية الأولى بالإسرائيليات ، وكان من أعلام هذه الإسرائيليات :كعب الأحبار ووهب بن منبه.

ثانيهما : احتاج العرب في المرحلة الأولى من ظهور الإسلام لتدوين أخبار العرب في جاهليتهم ، وأخبار الأمم المجاورة لهم، ولا سيما في العصر الأموي (القرن

الأول الهجري)، وساعدهم على ذلك وجود مجموعة من المعمِّرين المخضرمين الذين عاصروا الجاهلية والإسلام وامتد بهم العمر ثلاثمائة سنة أو أقل قليلاً أمثال عبيد بن شرية الجرهمي فاستفاد المؤرخون من معاصرتهم لبعض الأحداث التي سبقت ظهور الإسلام، على الرغم من تعرض هذه التجربة التاريخية ونقلها من السماع من المعمرين إلى نقد شديد من قبل بعض المستشرقين، إلا أن مؤرخينا كانوا مضطرين لذلك .

والمؤرخون الأول في هذا المجال)تاريخ العرب قبل الإسلام[1] هم: -

١- وهب بن منبه

يُعد وهب بن منبه أكثر من أسندت إليه الإسرائيليات التي جاء ذكرها في المصادر العربية، وهو يمني من أصل فارسي اختلف فيه، ولكن الغالبية يؤكدون على أنه كان يهودياً ثم أسلم، وأكثر اهتمامه وعنايته تركزت على أخبار عرب الجنوب في الجاهلية، واعتماده كان على مصادر نصرانية رغم يهوديته.

وجاءت أخبار وروايات وهب بطابع قصصي شعبي أقرب للخرافة منها إلى الحقيقة، وساعده على الاطلاع والمعرفة إجادته لعدد من اللغات القديمة كاليونانية والسريانية والحميرية.

أما عن مؤلفاته فقد نُسب إليه كتاب : " الملوك المتَّوجه من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم "، وللأسف ضاع أغلبه إلا أن أجزاءاً منه قد وردت في كتاب ابن هشام " :التيجان في ملوك حمير ."

كما نُسب لوهب كتاب آخر هو : " المبتدأ "يبدو أنه كان يقصد به بدأ الخليقة، وهي محاولة عربية مبكرة لكتابة تاريخ الرسالات، وترجع فائدته إلى اعتماد مجموعة من كبار المؤرخين المسلمين على كتابه هذا من بينهم الطبري في كتابه : "تاريخ الرسل والملوك "، والمقدسى في كتابه : " البدء والتاريخ "، وابن قتيبة في كتابه

(١) د /حاطوم - المدخل - ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

" "المعارف "، والثعلبي في كتابه : " عرائس المجالس في قصص الأنبياء " بالإضافة إلى ابن اسحاق ، والكتاب الثالث الذي نُسب إلى وهب بن منبه هو كتاب: "المغازي" (١) .

٢ ـ هشام بن محمد بن السائب الكلبي

كان هشام امتداداً لأبيه محمد بن السائب الذي كان عالماً بالأنساب واللغة وكذلك التاريخ، وعندما شب هشام أخذ يتتبع الدراسات التي سبقه بها أبوه في الأنساب حتى أنتج كتاباً فيها سماه : "جمهرة النسب "، وتعددت كتاباته التاريخية بغزارة شملت العديد من الجوانب من بينها :تاريخ الأنبياء ، وتاريخ العرب في الجاهلية، وأيام العرب، وتاريخ الفرس، كما أن له كتابات أخرى في العصر الإسلامي حتى تصل كتبه إلى حوالى ١٤٠ كتاباً ويعتبره البعض من أعظم الاخباريين في تاريخ العرب في الجاهلية.

ويبدو أن هشام الكلبي قد نجح في استقاء معلوماته من مصادرها الأصلية حيث أخذ تاريخ الأنبياء عن أهل الكتاب ، بينما أخذ تاريخ الفرس عن الترجمات العربية للكتابات الفارسية، وبعض القصص والأخبار المتداولة المعروفة، وعن اليمن أخذ أخبارها من القصص الشعبي المتواتر في تاريخ اليمن (٢) .

ويروي لنا الطبري (٣) مقولة هشام : "إنى كنت أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة، ومَبَالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيَع الحيرة، وفيها ملكهم وأمورهم كلها ."

وقد لاحظتُ كثرة اعتماد الطبري على هشام حيث يذكره مرات قال ابن الكلبي، ومرات أخرى :حُدِّثتُ عن هشام بن محمد الكلبي ، وتارة ثالثة :حُدِّثتُ عن هشام بن محمد (٤) .

(١) د / السيد عبد العزيز سالم – التاريخ والمؤرخون العرب – دار النهضة العربية – بيروت – ١٩٨١م – ص ٤٦، ٤٧ .

(٢) عبد العزيز الدوري – نشأة علم التاريخ عند العرب – بيروت – ١٩٦٠م– ص ٤١ .

(٣) الطبري – تاريخ الأمم والملوك – المجلد الأول – ص ٦٢٨.

(٤) لطبري – تاريخ الأمم والملوك– المجلد الأول.

وتذكر دائرة المعارف الإسلامية عنه : " غير أن مرجع الفضل إليه في عنايته بتدوين الأخبار التاريخية الخاصة بمدينة الحيرة، وأسرتها المالكة مستنداً، إلى المصادر والوثائق المكتوبة، وقد خطا هذا العمل (باستناده إلى الوثائق المحفوظة في كنائس الحيرة والأسانيد الفارسية التي ترجمت له)خطوات واسعة نحو التأليف التاريخي القائم على أساس العلم ... فقد أثبتت التحقيقات الحديثة صحة روايته في مجموعه "، وقد توفي هشام حوالى سنة٢٠٤هـ [(١)] .

٣ ـ عبيدبن شريه الجرهمي

وهو ممن اختلفوا في أصله، فالبعض يذكر أنه من أهل الرقة بالعراق، والبعض الآخر يرى أنه من أهل صنعاء، أو يمنيا جرهمياً، اشتهر بأنه كان قصاصاً إخبارياً، أدرك النبي ﷺ ، ولكنه لم يأخذ منه شيئاً، فقد وفد على معاوية بن أبي سفيان، وكان له وجود في بلاطه حيث تعوّد معاوية السماع منه شيئاً من أخبار العرب وأيامها وأخبار ملوك غير عرب وسياستهم كل ليلة.

ويذكر في هذا الصدد أن عبيد ألّف كتاباً لمعاوية هو "كتاب الملوك وأخبار الماضين "، ويشتمل الكتاب على كثير من الأشعار التي وضعت على لسان عاد، وثمود، وطسم وجديس والتابعةن ويضم الكتاب كذلك بعض أخبار عن بني إسرائيل ، إلا أن هذه الأخبار غلب عليها الجانب القصصي الشعبي الذي تأثر كثيراً بالاسرائيليات ، وممن نقلوا عنه، الهمداني في كتابه " :الإكليل" [(٢)] .

وتجدر الإشارة إلى أن عبيد بن شريه كان من المعمرين المخضرمين حيث عاش في الجاهلية وفي الإسلام عمراً مديداً عدّه بعض المؤرخين - كما ذكرنا - ثلاثمائة عام أو مائتين وعشرين في أقوال أخرى، وعاش حتى خلافة عبد الملك بن مروان حيث توفي في سنة ٧٠ هـ.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية - مجلد ٩ - ص ١٢٦ .

(٢) د /عبد العزيز الدوري - نشأة علم التاريخ - ص ٢٦ .

وانظر د /السيد عبد العزيز سالم - التاريخ - ص ٤٥،٤٦ .

التاريخ العربي منذ صدر الإسلام

ارتبط التأليف العلمي التاريخي (العربي)بالبحث في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فباستثناء ما صنعه هشام الكلبي من كتابة تاريخية (علمية)عن الحيرة لم يسبق صدر الإسلام كتابة من هذا النوع، وارتبط العمل التاريخي المنظم بالأحاديث النبوية الشريفة، ولاسيما الأحاديث المتصلة بالمغازي (غزوات الرسول ﷺ)، فكانت بذلك المدينة المنورة هي موطن هذه البداية الدراسية للتاريخ الإسلامي ومهدها.

ولم يعتن أحد بالتأليف في المغازي قبل القرن الثاني للهجرة في أماكن أخرى غير المدينة المنورة، فقد ترك الارتباط بالأحاديث النبوية اثر لايُمحى في أسلوب التأليف التاريخي اعتماداً على علم الإسناد، الأمر الذي يفسر هذا التغيير العظيم، والحرص البالغ على الصدق والجدية، وأهم منها الدقة في تناول الأحداث التاريخية المتعلقة بالمغازي ، وأهم منها المتعلقة بأحاديث النبﷺ، وتاريخ الرجال الذين حملوا عبء هذه الأمانة حفظاً ورواية.

وأصبحت هذه الرواية وتلك الأسانيد منذ ذلك الحين من الصفات المميزة لرواة الأحاديث وحوادث التاريخ وعملية تنقيتها وتمحيصها عند العرب استلزم توثيقاً ودقة متناهية في الكتابة التاريخية [1] .

وقد غدا العرب منذ موجات الفتوح في عصر الخلفاء الراشدين، العصر الأموي يستقصون أخبار هذه الفتوح، ويثبتون حوادثها، وكان التابعون من العرب ومعتنقي الإسلام الجدد من غير العرب لا ينفكون عن سؤال صحابة رسول الله ﷺ (باعتبارهم المصاحبين له في غزواته، والمشاركين في وضع اللبنات الأولى لهذه الدولة العظيمة، وحضارتها) عن حياة الرسول ﷺ وأخباره وغزواته، وتوحيده الجزيرة العربية، فنشأ بذلك التاريخ الإسلامي نشأة طبيعية بفروع عديدة استلزم الأمر العناية بها، ولاسيما السيرة النبوية.

وكان رائد الكتابة فيها هو : إبان بن الخليفة الثاني عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعروة بن الزبير، وسار غيرهما على النهج نفسه، إلى أن ظهر في

(١) دائرة المعارف الإسلامية - م ٩ - ص ١٢٦

نهاية القرن الأول الهجري وأوائل الثاني عميد المؤرخين في السيرة النبوية : محمد بن اسحاق [1] .

ونخلص من ذلك أيضاً إلى أن أقدم الكتب التاريخية التي جمعت بين الحديث والتاريخ هي كتب المغازي والسيرة التي كانت ضرورية للاعتماد عليها والاهتداء بها في التشريع الإسلامي ، والنظم الإسلامية التي كان لابد أن يكون الاقتداء فيها بسيرة وأقوال المصطفى ﷺ ، صحيح أنه قد كان هناك محاولات مبكرة قبيل منتصف القرن الأول الهجري وبعده بقليل، إلا أن هذه المحاولات قد كانت بسيطة ضرب عنها الصفح أغلب المؤرخين، ومن بين هؤلاء المتقدمين : زياد بن أبيه الذي توفى في سنة ٥٣ هـ، ومنهم أيضاً المحدث والمفسر ؛عبد الله بن عباس المتوفى سنة ٧٠هـ .

والذي يُذكر عنه أنه كان واسع الإطلاع في مجال الشعر، والأنساب ، وكذلك أيام العرب، حتى أن ابن سعد يذكر عنه : " قال عطاء كان ناس يأتون ابن عباس للشعر، وناس للأنساب، وناس لأيام العرب ووقائعها ."كما أن هناك إشارات وروايات تؤكد على أن عبد الله بن عباس شوهد يحمل ألواحاً يكتب عليها شيئاً من أفعال النبي ﷺ ومنهم أيضاً دغفل النسّابة)الحجر بن الحارث الكناني الذي قيل أنه قد كان له كتاب :التظافر والتناصر، واعتبروه كتاب أسمار وأخبار شيقة .وما يؤسف له أن هذه المحاولات المبكرة قد فُقدت ، وضاع أغلبها [2] .

ونستطيع أن نقسم مؤرخي السيرة والمغازي في مدرسة المدينة ومكة إلى طبقات ثلاث هي :

الطبقة الأولى

وهي تشتمل على مجموعة برز منهم إبان بن عثمان بن عفان (ت١٠٥هـ)، وعروة بن الزبير (ت ٦٢هـ)، وشرحبيل بن سعد (ت١٢٣) .

١ ـ عروة بن الزبير ت ٩٢هـ أو ٩٣هـ

هو ابن الزبير بن العوام، كانت ولادته سنة ٢٢هـ أو ٢٦هـ، وأخوه عبد الله بن

(١) د/ حاطوم وآخرون – المدخل – ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) ابن سعد – الطبقات – جـ٢– ص ٣٦٧ . وانظر د/ حاطوم – المدخل – ص ١٨٤–١٨٥ .

الزبير، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وجدته خديجة بنت خويلد (زوج الرسول ﷺ)، وخالته عائشة أم المؤمنين، ولذلك فقد عُدَّ ثقة فيما يرويه من أحاديث شريفة حيث مكّنه نسبه الكريم من رواية الكثير من الأخبار والأحاديث عن النبي ﷺ فروي عن أبيه، وعن أمه، وعن خالته عائشة وغيرهم، وأخذ الحديث كذلك عن زيد ، وأسامة بن زيد، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، وابن عباس.

رحل عروة إلى مصر التي تزوج بها، وأقام فيها سبع سنوات ، كما زار دمشق عدة مرات، وأخذ عنه ابنه هشام بن عروة، وابن شهاب الزهري، ولعروة فضل كبير على كُتّاب السيرة كابن هشام، وابن سعد، كما رجع إليه الطبري في أخبار عديدة ضمنها كتابه : تاريخ الأمم والملوك ،وله فضل أيضاً في حفر بئر له بالمدينة وليس بها أعزب منه، ونجد بعضاً من فقرات مغازيه في مؤلفات : ابن كثير، والواقدي تناولت جانباً من حياة الرسول ﷺ ، وكتب عروة كذلك بعضاً من أخبار الخلفاء الراشدين فهو بحق من الرواد الأوائل في مجال كتابة السيرة النبوية [(١)].

٢-إبان بن عثمان بن عفان ت ١٠٥هـ

وكانت شهرته في الحديث أكثر ، إلا أنه عنى بدراسة المغازي وكتب فيها بعض الصحائف شملت أحاديث النبي ﷺ ، وكان عبد الملك بن مروان والخليفة الأموي قد أسند إليه ولاية المدينة المنورة.

ورغم عنايته بالحديث والفقه، وكذلك السيرة ، وكونه ثقة فهو ابن الخليفة الثاني عثمان بن عفان، إلا أن كتاب السيرة كابن سعد ، وابن هشام لم ينقلا عنه شيئاً في السيرة [(٢)]، ويبدو أن ذلك كان بسبب تلف لصحائفه أو أنها لم تكن متكاملة، أو أن هناك روايات أخرى قد كفت الكُتّاب التاليين فلم يروا عنه شيئاً.

---

(١) ابن سعد-الطبقات الكبرى- تحقيق د /سترستين - طبعة ليدن - جـ٥ - ١٩٠٥م- ص١٢٣ .
وانظر :ابن خلكان (أحمد بن محمد أبي بكر) ـ وفيات الأعيان وأبناء الزمان - م٣ - دار صادر - بيروت - ص ٢٥٥ .
وانظر :د /عبد العزيز الدورى - نشأة علم التاريخ - ص ٢١ .
و : أحمد أمين - ضحى الإسلام - جـ٢ - القاهرة - ١٩٣٨م - ص ٣٢٢ .
(٢) أحمد أمين - ضحى الإسلام - جـ٢ - ص . ٣٢١

ويذكر البعض [١] : " أن إبان بن عثمان، وعروة ابن الزبير قد ورد ذكرهما على اعتبار أنهما مصنفان في المغازي ولكن مصنفاتهما لم تذكر على لسان المصنفين الذين جاءوا بعدهما ."وفي اعتقادي أن العمل الذي قام به الرائدان لم يجمعاه بين دفتي كتاب ، ولكنها كانت بعض الصحائف والأوراق التي شملت أحداثاً بعنيها ، ولذلك نلاحظ أن الطبري ، وابن سعد وغيرهما قد أوردو ذكر عروة ونقلوا عنه بعض جوانب المغازي والسيرة بشكل عام، ولم يذكروا له مصنفات لأنها كانت عبارة عن صحائف متناثرة على ما يبدو.

٢ ـ شرحبيل بن سعد ت١٢٣هـ.

وهو أحد رجال الطبقة الأولى من مؤرخي السيرة النبوية، وجائت روايته عن زيد بن ثابت ، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة بغزارة، وهو أيضاً أحد موالى الأنصار.

وتظهر لنا أهمية دور شرحبيل بن سعد إذا علمنا أنه ساهم بجزء هام في مجال السيرة من خلال كتابة القوائم التى أثبت فيها أسماء الصحابة الذين شاركوا في غزوة بدر الكبرى (البدريين)، وكذلك ثبتُ آخر بأسماء الصحابة الذين اشتركوا في غزوة أحد، كما أورد لنا ثبتاً آخر بأسماء المهاجرين إلى الحبشة، وأسماء من هاجر من مكة إلى المدينة [٢]، ورغم ذلك لم يرو عنه ابن اسحق، ولا الواقدى شيئاً من كتاباته.

الطبقة الثانية

ويبرز فيها ثلاثة هم :عاصم بن قتادة المتوفي سنة ١٢٠هـ ، ومحمد بن شهاب الزهري الذي توفي في سنة ١٢٤هـ ، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم الأنصاري المتوفي سنة ١٣٥هـ .

١ ـ عاصم بن عمر بن قتادة ت ١٢٠هـ

وهو أنصارى من أهل المدينة المنورة، كان جده قتادة ممن شهد بدراً واشترك فيها، أما عاصم فقد كانت شهرته من روايته للعلم، ومعرفته بالمغازي وسيرة

(١) هاملتون جب – دراسات في حضارة الإسلام – ص ١٤٧، ١٤٨ .
وانظر : دائرة المعارف الإسلامية – م ٩ – ص ١٢٦ .
(٢) أحمد أمين – ضحى الإسلام – جـ٢ – ص ٣٢٥ .

النبي ﷺ، وقد أهّله علمه ومعرفته بالمغازي ، والصحابة وأخبارهم أن أسند إليه الخليفة عمر بن عبد العزيز أمر تبصير الناس بهما، وتوضيح. مناقب الصحابة، وترجع أهمية عاصم إلى أن كلا من ابن اسحق ، والواقدي قد اعتمدا عليه ورووا عنه [1] .

٢ـ محمد بن شهاب الزهري ت ١٢٤هـ

وهو محمد بن مسلم من بني زهرة، ولد حوالي سنة ٥١هـ وكان من أعظم المؤرخين الأول الذين اهتموا بالمغازي والسيرة النبوية، بل إنه قد جمع مجموعات لأحاديث المغازي، ودوّن موادها نزولاً على رغبة وأمر الخليفة /عمر بن عبد العزيز، كما أنه يُعد أول من قارن بين الأحاديث المختلفة المصادر (التي تتحدث في الموضوع نفسه) وأدمجها في حديث واحد كما فعل في حديث الإفك، وهي خطوة هامة ساعدت على المضي قدماً في مجال العرض التاريخي، ولو أنها كانت خطوة أخطر لعبث ورواية غير الموثوق في روايتهم.

وترجع أهمية الزهري وكتاباته إلى أن أحاديثه التي رواها قد اعتبرت أساساً للكتب التي ألفت في المغازي بعد ذلك [2] .

وكان ابن شهاب قد أخذ علومه ورواياته عن كبار المُحدِّثين من بينهم :سعيد بن المسيب، وإبان ابن عثمان، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبه، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وروي كذلك عن سُفيان بن عتبه، وسُفيان الثوري، وكذلك مالك بن أنس.

واعتمد على الحديث النبوي في أغلب مادته للسيرة، فلم يعتمد على الشعر إلا في حالات تكاد تكون نادرة ، بل عمد إلى الاستوثاق من مصادره فجاءت أسانيده قوية ، إضافة إلى الإسناد الجمعي الذي تحدثنا عنه في دمج مجموعة روايات في خبر واحد متسلسل.

وشملت كتابات الزهري (إضافة إلى السيرة والمغازي) الأنساب ، وتاريخ صدر

(١) أحمد أمين – ضحى الإسلام – جـ٢ – ص ٣٢٥ .

(٢) ابن خلكان – وفيات الأعيان – م٤ – ١٧٧ .

انظر : دائرة المعارف الإسلامية – م٩– ص ١٢٦،١٢٧ . وانظر هاملتون جب – دراسات – ص ١٤٨ .

الإسلام، فقد صنف كتاباً في نسب قريش اعتمد عليه المصعب الزبيري وضمنه الأحداث الكبري من فتن ومعارك [1] .

الطبقة الثالثة

ومن بين رجالها :موسى بن عقبة ت ١٤١هـ ، ومحمد ابن اسحاق بن يسار ت ١٥٢هـ ، والواقدي ٢٠٧هـ ، وابن هشام ت ٢١٨هـ ، ومحمد بن سعد ت ٢٣٠هـ .

١ ـ محمد بن اسحاق بن يسار ت ١٥٢هـ [2] .

هو أبو عبد الله محمد بن يسار كان جده يسار من نصارى العراق الذين وقعوا في أسر المسلمين فحضر المدينة واسلم فأصبح بذلك من طبقة الموالي بعد أن تم عتقه، وكان محمد قد تربي على دراسة الحديث والفقه حيث كان أبوه اسحاق معنياً بحديث رسول الله ﷺ ، وأخذ محمد يروى الحديث عن عاصم بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم، ومحمد بن شهاب الزهري، وغيرهم كثيرون حيث عُد من أخذ عنهم ابن اسحاق ما يقرب من مائة من الرواة.

وقد ترك ابن اسحاق المدينة المنورة في الربع الأول من القرن الثاني الهجرى إلى مصر، ووفد على الأسكندرية سنة ١١٥هـ ليأخذ العلم عن شيخ محدِّثيها يزيد بن أبي حبيب، ثم عاد للمدينة (مسقط رأسه)، حيث قدمّه شيخه مبرزاً إياه أمام الناس سنة ١٢٣هـ .

واتصل ابن اسحاق كذلك سنة ١٣٢هـ بمعلم كبير من أعلام الحديث هو سُفيان بن عيينة، وشهد له هو والزهري بأنه ثقة، على الرغم من العداء الذي نشب بين ابن اسحاق، وعالمين جليلين بالمدينة هما :مالك بن أنس (إمام دار الهجرة)، وهشام بن عروة بن الزبير [3] ، عندما طعن الأخيران في علم ابن اسحق، واتهمه البعض بالتشيع، وأنه كان قدرياً (من المعتزلة) .

---

(١) د / عبد العزيز الدورى ـ نشأة علم التاريخ ـ ص ٩٤ وما بعدها.

وانظر : د/ السيد سالم ـ التاريخ والمؤرخون العرب ـ ص ٥٨ وما بعدها.

(٢) تذكرة دائرة المعارف الإسلامية ـ م٩ ـ ص ١٢٧ أنه توفى سنة ١٥١هـ .

(٣) انظر تفاصيل ذلك عن : ابن خلكان – وفيات الأعيان – م ٤ – ص ١٧٦ .

وأمام هذه الطعون والعداء، اضطر ابن اسحاق إلى مغادرة المدينة للعراق، واستقر به المقام في بغداد سنة ١٤٦هـ حيث توفي بها سنة ١٥٢هـ، (بعد أن طاف ببلاد : الكوفة ، والجزيرة ، والري) ودفن في مقبرة الخيزران أم الرشيد عند قبر أبي حنيفة النعمان [١] .

ولابن اسحاق كتابان :الأول المغازي، وقد وصلنا باختصار في سيرة ابن هشام والثاني [٢] كتاب السيرة المشهور الذي قيل عنه :أنه كان ثمرة تفكير وأبعد أفقاً وأوسع نطاقاً من تفكير سابقيه ومعاصريه، فقد اتجه إلى تاريخ عصر النبوة بجانب عنايته بسيرة النبي ﷺ، وقسم كتابه تقسيماً مبتكراً إلى ثلاثة أقسام : -

١ - " المبتدأ " : وهو تاريخ العصر الجاهلي، وبدأ الحديث فيه منذ الخليقة واستمد أغلبه من كتابات وروايات وهبه بن منبه (المتقدم ذكره) .

٢ - " المبعث " : هو تاريخ وحياة النبي ﷺ حتى السنة الأولى من الهجرة.

٣ - "المغازي ": وتناول فيه السيرة من الهجرة حتى وفاته صلى الله عليه وسلم .

وغدا هذا الكتاب (الذي سبق به ابن اسحاق عصره ومعاصريه) المصدر الرئيسي لتاريخ العصر الجاهلي، والصدر الأول من الإسلام، على الرغم من تعرض كتابه لنقد صارم، ومع ذلك فقد اعتبر عمل ابن اسحاق إثباتاً للنزعة الفكرية والتاريخية الأصيلة التي جاءت من وحي العرب، وأنه عربي أصيل دفع المجال التاريخي خطوات للأمام.

ولابن اسحاق مؤلف آخر هو تاريخ الخلفاء لكنه فيما يبدو كان نطاقه ضيقاً، اتسم باختصار عباراته [٣]، وقد روي عنه الطبري عندما تعرض الأخير لتاريخ الخلفاء الراشدين.

---

(١) الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد - جـ١ - القاهرة - ١٩٣١ - ص ٢٢٢ .

وانظر : د /حاطوم وآخرون - المدخل - ص ١٩٤ وما بعدها .

(٢) السخاوي - الإعلان بالتوبيخ - ص ٥٢٦ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية - م ٩ - ص ١٢٧ . وانظر :هاملتون - دراسات - ص ١٤٨ .

٢ ـ الواقدي ت ٢٠٧هـ

ولد محمد بن عمر بن واقد الواقدي في حوالى سنة ١٣٠هـ، وهو مولى لبني هاشم أو بني سهم بن أسلم على اختلاف في الأقوال، وكان الواقدي معاصراً لابن اسحاق، ويليه في اتساع علمه بالمغازي والسير وكذلك التاريخ، وأخذ الواقدي عن شيوخ عصره بالمدينة المنورة ، ولاسيما الإمام :مالك بن أنس في الحديث، وأبو معشر السندي في التاريخ (١) .

وكان يؤيد كتاباته ويوثقها بمشاهدته للمواقع التي حدثت فيها المعارك والأحداث المختلفة،وكان يقول في ذلك" :ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا موالي لهم إلا وسألته،هل سمعت أحداً من أهلك يخبرك عن مشهده،وأين قتل؟ فإذا أعلمني،مضيت إلى الموضع فأعاينه،ولقد مضيت إلى المريسيع فنظرت إليها ،وما علمت غزاة إلا مضيت إلى الموضع حتى أعاينه ."

وجمع الواقدي بين عنايته وكتابته في المغازي، والسير، والتاريخ الإسلامي كذلك ، أما عن مؤلفاته فقد صنف عدداً من الكتب في المغازي والتاريخ كان من بينها كتاب : " مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم "وهو موجود (٢) ، وله كتابان في الطبقات احدهما : " الطبقات الكبرى "الذي رتبه على حسب السنين، "والطبقات "وهو خاص بالصحابة والتابعين ولذلك جاء ترتيبه على حسب طبقاتهم.

وإضافة إلى الكتب السابقة فقد كان للواقدي مجموعة كبيرة أخرى من المصنفات من بينها : "السيرة"، و"التأريخ والمغازي"، و"المبعث"، و "أزواج النبي"، و"وفاة النبي"، و"السقيفة وبيعة أبي بكر"، و "سيرة أبي بكر ووفاته"، و"الردة"، و"فتوح الشام"، و"صفين"، و"مقتل الحسين"، و"فتوح العراق"، و"أخبار مكة"، و"حرب الأوس والخزرج ."

إلا أن أعظم ما كتبه الواقدي هو كتابه الشهير بـ : " التاريخ الكبير "الذي شمل بجانب غزوات الرسول ﷺ ، التأريخ لأحداث الإسلام في العهود اللاحقة حتى عهد

---

(١) د/ عبد العزيز الدوري – نشأة علم التاريخ – ص ٣٠ ، ٣١ .

(٢) الخطيب البغدادي – تاريخ بغداد – ج ٣ – ص ٣ وما بعدها .

الخليفة العباسي /هارون الرشيد ، الذي اعتمد عليه الطبري في كتابه " :تاريخ الأمم والملوك "حتى سنة ١٧٦هـ (١) .

٣ ـ محمد بن سعد ت ٢٣٠هـ

وهو تلميذ الواقدي وكاتبه، ولذلك جاءت شهرته بكاتب الواقدي حتى أنه اعتمد على أستاذه في كثير من كتاباته، وابن سعد من مواليد البصرة التى عاش فيها طفولته ، ثم رحل للمدينة المنورة، ومنها إلى العراق حيث اتصل بالواقدي في بغداد ،وقد وصلنا من كتب ابن سعد كتابه الكبير " :الطبقات الكبرى "الذي يتألف من ثمانية أجزاء :جعل الجزأين الأولين منهما لسيرة النبي ﷺ ومغازيه، وخصص الأجزاء الستة التالية لأخبار الصحابة والتابعين بعد أن رتبهم حسب الأمصار الإسلامية.

وتميّز ابن سعد بعنايته بالسيرة أكثر من غيره، إذ تضمنت كتاباته كثيراً من الأخبار المفصلة عن رسائل النبي ﷺ وسفاراته، واهتم فيها ببابين جديدين هما : علامات النبوة ، وصفة أخلاق النبي ﷺ واعتمد عليه كثير ممن صنفوا بعده حيث وجدوا ضالتهم عنده (٢) .

* * *

(١) د / السيد سالم – التاريخ والمؤرخون العرب – ص ٦٤-٦٥ .

(٢) د /السيد سالم – التاريخ – ص ٦٧ .



الفصل الرابع

تطور الكتابة التاريخية عند المسلمين

تمهيد

عوامل تطور الكتابة التاريخية

أولاً : كتب الطبقات والأنسب ومؤرخوها

ثانياً : كتب التأريخ العام (العالمي)

ثالثاً : التأريخ للدول

رابعاً : التأريخ المحلى وتاريخ المدن

تقسيم التاريخ إلى حولى أو حسب الموضوعات

أولاً : التاريخ الحولى _ حسب السنين

تطور الكتابة التاريخية الحولية

ثانياً : التأريخ حسب الموضوعات

تمهيد :

ظهر لنا من خلال الدراسة السابقة اعتماد الكتابة التاريخية في معظمها على الرواية المسندة، وتميزت في صدر الإسلام بخصائص هي : -

١ ـ الطابع القصصي الذي كان يتخلله الحوار.

٢ ـ الاستشهاد بالشعر الذي حمل هو الآخر جانباً تاريخياً حفظ أحداثاً رواها الرواة بنظم شعرية صنفت خصيصا لها.

٣ ـ عدم الترابط بين الأحداث المنقولة.

والفترة التالية (بعد مرور نصف قرن) أحدث التدوين في مرحلة ميلاده طابعاً متواضعاً، واعتمد بجانب الحفظ والذاكرة على بعض الأقصوصات والأوراق المبعثرة التي كتبها الأولون، ثم في القرن الثاني الهجري بدأ المؤرخ يتخلى عن فكرة وطريقة الإسناد وتسلسلها تدريجياً.

بل إن هناك فريقا من المؤرخين ابتعدوا تماماً في كتابتهم عن طريقة الإسناد، وفضلوا الاكتفاء بإيراد الأخبار والحوادث التاريخية دون إسناد إلى أصحابها مثل اليعقوبي ت ٢٨٤هـ، والمسعودي ت ٣٤٦هـ، وربما كانوا يكتفون فقط بذكر المصادر التاريخية التي اعتمدوا عليها في مقدمة كتبهم، وأحياناً أخرى عمد هؤلاء إلى تقديم دراسة نقدية لها هذا من ناحية الطريقة التي صنف بها المؤرخون ومسايرتهم للتطور التاريخي.

أما من ناحية الأسلوب :فقد تبدل هو الآخر وظهرت عليه علامات التطور في الكتابة التاريخية، فبعد أن كان أسلوبها يجمع في أغلبه بين الجمل القصيرة الجافة التي لا ترتبط فيما بينها برابط أو صلة تطور الأسلوب إلى أن أصبح مرسلاً بسيطاً، وظهر عليه الوضوح ، وخلا كذلك من الأشعار التي كانت تفصل أحياناً سياق الأحداث التاريخية.

وظهــر أيضاً مـــع التطور استخدام الســجع في الكتـابة التـاريخيـة، ومن بين من اشتهروا في استخدامه :العمـاد الأصفهـاني ، والكاتب الأندلسي الفتح بن خاقان، وغيرهما [١] .

وفي مجـال التطور في الأسلوب أيضاً عـمـد بعض المؤرخـين إلى الجمـع بين الكتـابة المرسلة السـهلة، وبين العبارات المسجوعة كان من بينهم :ابن حيـان أبو مروان حيان ت ٤٦٠هـ ، ولم نغفل من اهتم بالأسلوب البسيط السهل الذي تجنب فيه الزخرفة اللفظية مثل :ابن الأثير، وابن طباطبا وغيرهما الذين اعتنوا بإيراد العبارات القصيرة التي توضح المعنى في سهولة ويُسر [٢] .

وبعد مضي عدة قرون (في العصور المتـأخرة) أخذ التطور شكلاً آخر حيث دخلت ألفاظ أعجمية وعامية ضمن الكتابة التاريخيـة، حتى شاعت الكتابة العامية عند المؤرخين التاليين ، ولاسيما في القرنين التاسع والعاشر الهجريين.

ومـــن هؤلاء :بـــرز ابن إيـاس في مصنفه: " بدائع الزهور في وقـائع الدهور" ، كمـا سار على النهج نفسـه :أبو المحاسن بن تعزي بردي في كتـابه:" النجوم الزاهــرة في ملوك مصر والقـــاهرة "، وكذلك ابن الفـــرات في كتـابه :تاريخ الدول والملوك " [٣] .

وفي اعـتـقـادي فـإن هذا التطور في الأسلوب، وطريقـة الكتـابة، في اختـيـار الألفاظ، وغير ذلك قد جاء بسبب تغير الظروف، وظهور مؤثرات وعوامل جديدة أدت إلى هذا التطور نجملها فيما يلي :

---

(١) المسعودي (علي بن الحسين) ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر- جـ١- القاهرة - ١٩٥٨م - ص ١٥ وما بعدها .

انظر : د / السيد سالم - التاريخ والمؤرخون العرب - ص٧٦ ومابعدها .

(٢) د/ السيد سالم - التاريخ - ص ٨١ .

عوامل تطور الكتابة التاريخية:

١ ـ محاولة خلفاء بني أمية التعرف علي سياسات ملوك الأمم المجاورة، وكيفية تمكنهم من إدارة ممالكهم، ولاسيما بعد أن اتسعت الدولة الإسلامية دون أن يكون عند العرب سابق خبرة قريبة في حكم هذه المساحات المترامية الأطراف، ويذكر المسعودي في هذا الصدد قوله " :عن معاوية بن أبي سفيان أنه كان يستمر إلى ثلث الليل يستمع إلى أخبار العرب وأيامها والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها ، وغير ذلك من أخبار الأمم السابقة ...ثم يدخل فينام ثلث الليل ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر التي فيها سير الملوك وأخبارهم والحروب والمكايد فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون" (١) .

وكان احتياج الخلفاء لهذه السير ظهور وتعدد المشكلات السياسية والاجتماعية وكذلك الاقتصادية.

٢ ـ احتكاك العرب بشعوب وأمم لها تاريخ عريق - بعد الفتوحات الإسلامية العظيمة أدى إلى عناية العرب بإبراز تاريخهم ، والكتابة عن فتوحاتهم وانتصاراتهم، وحضارتهم القديمة والجديدة في ظل الإسلام وانتشاره من أجل ذلك اتسعت حركة التأليف وزادت بعد أن شجع الخلفاء ، وحكام الأمصار الإسلامية عليها.

٣ - كان لتوافر المصادر الأصيلة للمادة التاريخية أثر عظيم في تطور علم التاريخ عند المسلمين، واتساع التأليف فيه ، ولاسيما بعد أن استقرت دواوين الدولة العباسية وازدادت مثل :ديوان الإنشاء، وديوان الجند، والبريد .

وتمكن المؤرخون بما توفر لديهم من مواد مستمدة من السيرة النبوية، والمصادر الأخرى التي قاموا بالمقارنة بينها، وادماجها في رواية تاريخية جامعة، وترابط بين الأحداث ، وما يشابها ، بالإضافة إلى امتلاك العرب المسلمين حديثاً

(١) المسعودي - مروج الذهب ومعادن الجوهر - ج٣ - ص ٥٢ .

لمقومات تاريخية محلية من أحداث كبرى وانتصارات وفتوحات عاصرها وشارك فيها الكثيرون الذين كانوا يمثلون مصدراً رئيسياً ومعيناً لا ينضب ساعد على هذا التطور التاريخي، وأعطاه دفعة كبيرة للأمام.

وفي هذا الصدد تذكر دائرة المعارف الإسلامية [1] : " ويؤخذ من استعراض التطورات (التاريخية) أن الحدث البارز فيها هو أن الأمة الإسلامية قد اكتسبت النزعة التأريخية ، وذلك على الرغم من عداء طائفة من رجال الدين المتقدمين للدراسات التأريخية، ولا مراء في أن الحجج التأريخية الواردة في القرآن ، والزهو الذي ابتعثته الفتوح الإسلامية الواسعة والمنافسات بين قبائل العرب، كل أولئك قد ساعد على خلق تلك النزعة."

٤ ـ النشاط الذى دبّ في أوصال الأمة الإسلامية ابتداءاً من القرن الثالث الهجري في مجال التأليف والتصنيف في شتى فروع العلم، ومن بينها التأريخ بفعل الحافز الجديد الذي تولد من ارتفاع مستويات الثقافة المادية في نواحي عديدة بالإطلاع والرحلة والانتقالات [2] ، وكذلك بارتفاع مستوى المعيشة بعد التطورات الجديدة التي شغلت المسلمين في الفترات السابقة.

٥ ـ ظهور البدع في المجتمعات الإسلامية ، ومحاولة البعض منهم التشبه بأصحاب الملل الأخرى من النصارى واليهود ، ولاسيما منذ ظهور العبيديين (الفاطميين) ، وتغلبهم على مصر وبعض الشمال الإفريقي (٣٦٢ ـ ٥٦٤هـ)حيث كانوا من أجرأ الناس على استحداث البدع والمنكرات التي لم ترد في كتاب أو سنة مثل : استحداثهم للأعياد والمواسم، وفي معرض ذلك يقول المقريزي [3] تحت عنوان : (ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعياداً ومواسم .....)

(١) دائرة المعارف الإسلامية – م٩ – ص ١٣٠ .

(٢) هاملتون جب – دراسات – ص ١٥١ ، ١٥٢ –

(١) المقريزى (أحمد بن علي) ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (خطط المقريزي) ـ مكتبة الثقافة الدينية –جـ١– ط٢ – القاهرة – ص ٤٩٠ .

يقول : " كان للخلفاء (يقصد الفاطميين) في طول السنة أعياداً ومواسم :رأس السنة، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ...." .

هذه البدع والأعياد والمواسم وغيرها قد دفعت كثيراً من المؤرخين للبحث والتقصي في تاريخها وكيفية نشأتها وهل لها أصول في الإسلام وخاصة السنة النبوية أو عند الصحابة والتابعين أم لا ؟.

٦ ـ ظهور واتساع حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية ، وتشجيع الخلفاء على ازدياد هذه الحركة في العالم الإسلامي ، فترجمت المؤلفات عن الفارسية والسريانية واليونانية واللاتينية وغيرها ، الأمر الذي ساعد على إطلاع المسلمين على ثقافات، الأمم الأخرى، وطريقتهم ومنهجهم في الكتابة التاريخية ، مما دفع المسلمين لصهر كل هذه المناهج والثقافات والمعارف في بوتقة إسلامية خالصة أنتجت التطور والمنهج العربي الإسلامي.

٧ ـ كان للحركة الشعوبية التي ازدادت وبرز دورها وتأثيرها على المجتمع الإسلامي في العصر العباسي الأثر الأكبر في مجال الكتابة التاريخية وتطورها فقد عمد الشعوبيون ومناصروهم بمحاولات عديدة مستمرة لتشويه تاريخ العرب والإساءة إليهم بأشكال مختلفة، وقيام العرب بالرد عليهم، الأمر الذي ترك أثراً واضحاً في دفع العرب للقيام بدراسة واسعة لتاريخهم أدى بهم إلى تطور سريع في مجال الكتابة التاريخية [١] ، ويبدو أن الفرس كان لهم النصيب الأكبر في مجال الشعوبية هذه حيث حاولوا إبراز وتمجيد القيمة الفارسية ، وتشويه الهالة التى أحاطت بالعرب ضد الإسلام.

٨ ـ كان لظهور الورق واستخدامه أثر عظيم في تطور الكتابة التاريخية عند العرب المسلمين ، ولاسيما بعد تأسيس أول مصنع للورق في بغداد سنة

(١) د /عبد العزيز الدوري – نشأة علم التاريخ – ص ٤٦ .

١٧٨هـ/٧٩٤م وبه شاعت الكتابة، ووصلتنا مخطوطات قديمة منذ التاريخ صنفت على هذه الأوراق التي تم تصنيعها في مصنع بغداد [١] .

وأدى ظهور الورق إلى بروز فكرة التدوين المنظم للأحاديث النبوية التي كانت عاملاً هاماً من عوامل ازدهار الكتابة التاريخية، وظهرت في تلك الفترة مجموعات من كتب الحديث أشهرها عند الجمهور ستة هي كما يلي :

١ - صحيح البخاري، والإمام البخاري المتوفي سنة ٢٥٦ / ٨٧٠م له نشاط آخر في الكتابة التاريخية حيث صنف غير صحيحه كتابي :التاريخ الكبير، والتاريخ الصغير.

٢ ـ صحيح مسلم ، المتوفي سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٥م .

٣ ـ سنن ابن ماجه ، المتوفى سنة ١٧٣هـ/٨٨٦م .

٤ ـ سنن ابن داود ، المتوفي سنة ٢٧٥هـ/٨٨٧م .

٥ ـ سنن الترميذى ، المتوفي سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م .

٦ ـ سنن النسائي، المتوفي سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م .

وهي خطوات كريمة ساهمت بلا شك في تطور الكتابة التاريخية.

٩ ـ استلزم لنظام العطاء الجديد والجند الذي رُتب حسب الأنساب ، وحسب الأسبقية في الإسلام أن تكون هناك مدونات ثابتة ساعدت كمصادر على الكتابة التاريخية، ولاسيما كتب الطبقات.

١٠ ـ أدت حوادث الخلافة التي نشبت بين المسلمين عقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كالذي كان بين المهاجرين والأنصار، ثم الخلاف بين الأمويين والشيعة، وبينهم وبين الخوارج، والفرق المتصارعة الأخرى، إلى ظهور مؤرخين يدعمون حجج وأفكار كل فريق بقضايا دينية تؤيد جانبهم السياسي، وتؤيد ادعاءاتهم فى مواجهة الطرف الآخر.

(١) هاملتون جب - دراسات - ص ١٥٢ .

وانظر :دائرة المعارف الإسلامية - م٩ - ص ١٢٩ .

١١ ـ ساعدت الظروف الجديدة في الدولة الإسلامية بعد اتساعها وسهولة التنقل بين أرجائها على إتاحة الفرصة للمؤرخين، وطلاب العلم للترحال والسفر للمشاهدة والاطلاع، والأخذ عن العلماء والشيوخ الذين يُشهد لهم بالدقة والصدق والموضوعية في رواية وتناول الأحداث، وبدلاً من بقاء حاضرة الخلافة هي مركز الحركة الثقافية والمحور الذي تدور حوله،

ظهرت وتعددت المراكز الثقافية والحضارية وتنافست فيما بينها وبين غيرها، من الفسطاط (ثم القاهرة) والأسكندرية، وبغداد، واصفهان، وحلب، والقيروان، وقرطبة وغيرها من الأمصار حتى كثر العلماء وطلاب العلم، الأمر الذي ترتب عليه تطور آخر في مجال الكتابة التاريخية، وهو مجال (التواريخ المحلية) .

وفي هذا المجال كتب ابن عبد الحكم ت ٢٥٧هـ :فتوح مصر وأخبارها، والكندي ت ٣٥٠هـ كتاب :ولاة مصر وقضاتها، وابن عسكر ت ٥٧١هـ كتاب : تاريخ دمشق، وابن عذاري كتاب :البيان المغرب في أخبار المغرب.

وبناء على ما تقدم ظهرت ألوان متعددة من الكتابة التاريخية سايرت التطور الحادث في البلدان الإسلامية، فأصبح العالم الإسلامي يعرف :كتب الطبقات ومؤرخوها، وفتوح البلدان والكُتّاب فيها، وكتب التراجم، والتاريخ العام والتاريخ المحلي ...الخ.

وظهر كذلك من يكتب بطريقة التأريخ والحولي (حسب السنين)، وآخر يكتب حسب الموضوعات، وثالث يكتب في الأنساب.

وفيما يلي نتناول هذه الأنواع من الكتابات التاريخية التي واكبت التطور عند المسلمين في مجال التأريخ.

أولاً :كتب الطبقات والأنساب ومؤرخوها:

من الملاحظ في تاريخ المسلمين ومؤرخيهم أنهم يلحقون مؤلفي الطبقات بمؤلفي ومؤرخي السيرة والمغازي، ويبدو أن ذلك يرجع إلى أن رواد التأليف في

مجال الطبقات مثل محمد بن عمر الواقدي ت ٢٠٧هـ، وكاتبه (تلميذه) محمد بن سعد ت ٢٣٠هـ يُعدُّون من مؤرخي السيرة، وكان هؤلاء أصلاً من المُحدِّثين، ونظراً لأن مؤرخي الطبقات كانوا أصلاً من المُحدِّثين، فقد اضطروا إلى جمع وتصنيف رواة الحديث في طبقات، جعلوها في البداية حسب أهميتهم وبقدر مكانتهم، ثم بدلوها بعد ذلك ليتم تصنيفهم حسب المدن التي استقروا بها.

وانتقل الأمر سريعاً من اقتصار كتب الطبقات على الصحابة والتابعين الذين لهم صلة برواية الحديث وبعلمه، إلى تصنيف وإفراد أقطاب وعلماء كل علم، وكل فن في طبقات مستقلة عن غيرها فظهرت طبقات النحويين للزبيري، وطبقات الصوفية للسلمي، وطبقات الحنابلة لابن يعلي، وطبقات المفسرين، وطبقات الأطباء، وطبقات الشافعية، وطبقات المالكية، وطبقات الحفاظ، وطبقات الشعراء...الخ.

وقد كثرت كتب الطبقات والتراجم وزاد التصنيف في هذا الفرع من التاريخ وقد نلمس ذلك من خلال الاطلاع على المصنفات التالية:

١ - الطبقات الكبير، والطبقات لمحمد بن عمر بن واقد الواقدي ت ٢٠٧هـ وهو خاص بالصحابة والتابعين، مرتب على حسب طبقاتهم.

٢ - الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (كاتب الواقدي) ت ٢٣٠هـ، حيث خصص الأجزاء الستة الأخيرة للصحابة والتابعين مرتبين حسب الأمصار الإسلامية التي استقروا فيها.

٣ - ومن أهم واشهر مؤرخي الطبقات بعد الواقدي، وابن سعد :صاحب كتاب طبقات الشعراء محمد بن سلاّم الجمحي الذي كان يعيش في القرن الثالث الهجري، واستكمالاً لأشهر من كتبوا في طبقات الصحابة نذكر:

٤ - أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (على بن أحمد) ت ٦٣٠هـ وهو عبارة عن تراجم لأصحاب رسول الله ﷺ.

٥ ـ تاريخ قضاة قرطبة للخشني (محمد بن حارث) المتوفي ٣٦١هـ.

٦ - طبقات الصوفية للسلمي)محمد بن الحسين أبو عبد الرحمن (المتوفي سنة ٤١٢هـ.

٧ ـ إخبار العلماء بأخبار الحكماء لابن القفطي (جمال الدين علي بن يوسف) المتوفي سنة ٦٤٦هـ.

٨ ـ عيون الأنبياء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم أبو العباس) المتوفي سنة ٦٦٧هـ ، وهو يشتمل على ترجمات أربعمائة من الأطباء .

٩ ـ الطبقات ، وطبقات القراء لخليفة بن خياط المتوفي سنة ٢٤٠هـ، وابن خليفة هذا وصفه ابن كثير بأنه أحد أئمة التاريخ.

١٠ ـ طبقات الشافعية للسبكي (تاج الدين عبد الوهاب) المتوفي ٧٧١هـ.

١١ ـ تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا) للنباهي (أبو الحسن عبد الله) .

١٢ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي) المتوفي سنة ٨٥٣هـ.

١٣ ـ البدر الطالع بمحاسن من القرن السابع للشوكاني (محمد بن علي) المتوفي سنة١٢٥هـ.

١٤ ـ الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي (شمس الدين محمد) المتوفي سنة ٩٠٢هـ .

١٥ ـ كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وأدبائهم لابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن أحمد) المتوفي سنة ٥٧٨هـ [١] .

هذا بعض ما يخص كتب الطبقات ، أما عن كتب الأنساب :

(١) د / السيد سالم – التاريخ – ص ١٧٩ وما بعدها .

فقد كان للعرب اهتمام عظيم بالأنساب، وسُمي المشتغلون بها : النسابون الذين تركوا بصمات واضحة ومؤثرة في علم التاريخ، حيث بدأت عناية العرب بالأنساب منذ عصر الجاهلية، وتجددت اهتماماتهم وعنايتهم بها بعد الفتوحات الإسلامية الأولى، ولاسيما بعد أن أنشأ عمر بن الخطاب ?الديوان، الذي بدأ تسجيله بالعباس عم النبي ﷺ، ثم بني هاشم، فمن بعدهم طبقة بعد أخرى، وقد راعى عمر في ذلك اعتبارات دينية وقبلية.

ولم يكن الأمويون أقل عناية بأمر الأنساب بل زادوا فيها، ووضعت لذلك سجلات خاصة بها، واشتدت العناية بأمر الأنساب بعد قيام المنازعات القبلية، واستشرت الشعوبية، في الوقت الذي كان فيه الشعوبيون يبحثون عن مثالب العرب، وتبحث القبائل العربية عن مفاخرها وتتمسك بها في مقابلة الشعوبية التي اشتعلت واستعرت.

وفيما يلي نستعرض بعض من اعتنوا بالأنساب فجمعوها وكتبوا فيها-:

١ ـ محمد بن السائب الكلبي المتوفي سنة ١٤٦هـ، كان من علماء الكوفة، وهو ممن اختصوا بدراسة الأنساب والكتابة فيها.

٢ ـ هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفي سنة ٢٠٤هـ ، الذي ورث أباه في هذا العلم، فصنف كتابه جمهرة النسب الذي وصلنا قطعة منه محفوظة الآن في المتحف البريطاني، وقال عنه ابن قتيبة الدنيوري : [١] " كان هشام أعلم الناس بالأنساب أخذ هذا العلم عن أبيه ."

٣ ـ ابن بكار المدني النشأة ، والعراقي الإقامة وكانت له عناية كبيرة بالأنساب فقد صنف كتابه "نسب القرشيين "في مجلدين.

٤ – أبو اليقظان النسابة المتوفي سنة ١٩٠هـ الذي صنف العديد من الكتب في الأنساب .

---

(١) ابن قتيبة – المعارف – ص ١٨١ .

٥ - ابن قتيبة الدينوري المتوفي سنة ٢٧٠هـ الذي اشتمل كتابه " :المعارف" على جداول أسماء وأنساب وبعض أخبار الفرق والرجال، وأنساب العرب هذا بالإضافة إلى المؤلفات العديدة الأخرى.

٦ - البلاذري)أحمد بن يحي (المتوفي سنة ٢٧٩هـ، وله كتاب " :أنساب الأشراف "الذي يُعد من الكتب التاريخية الهامة في باب الأنساب، حيث جمع بين أسلوب تصنيف كتب الطبقات، وكتب الأخبار، وكتب الأنساب التي تضمنت سيرة كل خليفة ، والأحداث التى وقعت في عهده.

٧ - الحافظ أبو سعد السمعاني المتوفي سنة ٥٦٢هـ الذي صنف كتاب "الأنساب "جُمع في ثمانية مجلدات ، عمد فيه إلى دراسة لأصول القبائل العربية وتفرعاتها ، واشتمل على كل ما وصلت إليه يديه، وما جمعه في الأنساب . ونلاحظ كثرة من كتبوا في الأنساب ، ولاسيما في المغرب والأندلس اللذان اختلطت فيهما الأنساب، وظهرت العصبيات، والعنصريات والعنصريات ، فكتب في الأنسب إضافة إلى ما تقدم :عبد الملك بن حبيب، وأحمد الرازي، ومحمد بن حزم القرطبي، وابن عبد البر، وغيرهم [١] .

ثانياً : كتب التأريخ العام (العالمى)

واكب التطور في الكتابة التاريخية عند المسلمين)العرب وغيرهم (ظهور التأريخ العالمي في صور وأنواع مختلفة، وذلك في نهاية القرن الثالث الهجري، وأوائل الرابع، وتميز هذا النوع من الكتابة التاريخية في شموليته لموضوعات شتى تبدأ في الغالب من بدأ الخليقة (من آدم عليه السلام) ، ويتناول قصص الأنبياء عادة، وبعض أخبار الأمم والملوك وسيرهم، ثم يتناول هذا الصنف من التاريخ تاريخ صدر الإسلام وسيرة النبي ﷺ ، وتاريخ الخلفاء ...الخ، مع بعض الاختلافات بين المصنفات ، وعناية أصحابها بموضوعات أكثر من غيرها.

(١) ابن حزم - جمهرة أنساب العرب- تحقيق /ليفى بروفنسال- القاهرة - ١٩٤٨م- المقدمة - ص٩

ويتضح لنا هذا النوع من الكتابة التاريخية من خلال هذا العرض لبعض الأمثلة منها : -

١ ـ الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري (أحمد بن داوود) المولود بدينور من مدن العراق ، وكتابه الذي يبدأ فيه صاحبه التأريخ من آدم عليه السلام، ويتناول تاريخ العرب في العصر الجاهلي، وكذلك تاريخ الفرس، ثم يتناول تاريخ صدرا الإسلام، وينتهي كتاب الأخبار بنهاية عهد وملك يزدجر، ولم يتعرض في تاريخه هذا لسيرة النبي محمد ﷺ ، كما أن له كتاباً آخر في الرصد، وكتاباً في نباتات بلاد العرب لم يصلا إلينا، ومع ذلك فهناك تأثير واضح يظهر في كتاب الأخبار للعراق وفارس، ويظهر كذلك دور الفرس ومشاركتهم للعرب في السلطة.

٢ ـ تاريخ الرسل والملوك لمحمد ابن جرير الطبري الذي طبقت شهرته الآفاق بهذا المصنف الكبير الذي صار فيما بعد من أهم المصادر الإسلامية في التأريخ العام العالمي.

وقد ولد محمد في آمل بطبرستان، وعاش بين سنتي ٢٢٤ - ٣١٠هـ حيث نهل العلم عن مجموعة كبيرة من علماء عصره في مدرسة أبي حنيفة، وبمصر الشام والعراق والكوفة والبصرة والرى،

وتفنن في علوم عديدة :علوم القرآن، والنحو، واللغة والفقه والشعر، وله تآليف عديدة .وقد استفاد الطبري من علمه بالحديث، واطلاعه على المؤلفات القديمة، والمترجمة، ولكنه عمد إلى الإسناد، وجمع روايات عديدة لأكثر من حدث، ولذلك فقد أخذوا عليه عدم ترجيح إحداها أو نقد رواياته، ومع ذلك فقد عُدّ من أعظم المؤرخين فقد عاش أبيّ النفس، ولم يكتب لأمير أو حاكم ، ولم يتأثر بأحد في كتاباته [1] .

(١) فرانز روزنتال - علم التاريخ عند المسلمين - ص ١٨٦ ومابعدها .

وانظر: د /الدوري - علم التاريخ - ص ٥٥ . و : حاطوم - المدخل - ص ٢٩٠ وما بعدها .

٣ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي المتوفي سنة ٣٤٦هـ، وهو عبارة عن موسوعة كبيرة تناول فيها التاريخ والجغرافيا معاً، وتناول موضوعات فيها ربما تكون غير مألوفة عند من سبقوه أو عاصروه ، حيث اهتم في كتابه بذكر قصة خلق العالم، وتصوير صفة وطبيعة الأرض، واعتني بذكر العديد من الأخبار الخاصة بالأمم التي كانت معروفة لدى العرب والمسلمين ، كما تناول في موسوعته العصر الجاهلي العربي مشيراً إلى الجانب الحضاري فيه ، ثم أوجز السيرة النبوية، وتاريخي الخلفاء الذي عمد فيه إلى الترتيب الزمني.

ومما يجدر الإشارة إليه هو أن للمسعودي مؤلف آخر هو "التنبيه والاشراف" تناول فيه الجانب الفلسفي للتاريخ وللكون، واعتنى كذلك بوصف البلدان العديدة التى تناولها كتابه وهذا الأمر يعود إلى أن المسعودي كان مؤرخاً جغرافياً رحالة، وقد ساعدت رحلاته على صقل فكره وعقله حيث أمدته بمعلومات وافرة، واطلع على مصادر مختلفة عن مختلفة عن البلدان العديدة التي زارها، ولذلك يقارنه البعض بهيرودوت في صفات عديدة.

فقد بدأت رحلات المسعودي أوائل القرن الرابع الهجري إلى مصر، وفارس وكرمان واصطخر، ثم توجه سنة ٣١٠هـ إلى الهند فزار فيها أقاليم كثيرة، ثم انتقل إلى سيلان، ومنها بحراً إلى الصين، ثم بحراً إلى زنجبار، وسواحل أفريقية الشرقية والسودان، ثم آسيا الصغرى، والشام والعراق، ومصر وغيرها ...الخ . وبعد رحلاته استقر به المقام في مصر التي توفي بها سنة ٣٤٦هـ.

وللمسعودي كتب عديدة أخرى مثل :أخبار الزمان ...الخ ، ولم يصل إلينا سوى كتابيه المتقدم ذكرهما ، ولكن الملاحظ على تآليفه جمع الأحداث تحت رؤوس موضوعات، دون عنايته بتركيبها حسب السنين، ومع ذلك فالمؤرخ الكبير هاملتون يذكر : " ومن حق المسعودى أن يُعد أعظم المؤرخين العرب [(١)] .

(١) جوستاف لوبون - حضارة العرب - ص ٤٥٣ .
وانظر:حاطوم - المدخل - ص ٢٩٥ ومابعدها. و :هاملتون - دراسات - ص١٥٥ .
وانظر علوي الحداد المدخل إلى تاريخ الإسلام - ص ٣٠ .

٤ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير (علي بن محمد) المتوفي سنة ٦٣٠هـ، وكان من أعلام الحديث، ثم اهتم بالتأليف، والبحث ، وسمع العلم وأخذه عن شيوخ بغداد والموصل، وكان له كتاب آخر هو " :أخبار الصحابة "، واختصر كتاب السمعاني : الأنساب.

أما كتابه :الكامل في التاريخ فقد تعرض فيه لتاريخ العالم منذ بدء الخليقة إلى حوالى سنة ٦٢٨هـ، واشتمل على معلومات كثيرة عن بلاد الأندلس، ومصر، أما عن منهجه في كتابة التاريخ فقد عمد فيه إلى إيراد الأحداث حسب السنين ، ولم يخل برواية الحادثة الواحدة بل جاء بها متكاملة خلال السنة، وكان أيضاً يعمد إلى تمهيد يسبق الخبر ليذكره بما سبق ، وينبه إلى ما إذا كان للخبر بقية.

ومع ذلك فقد كان ابن الأثير يُفضل فى كتاباته الابتعاد عن الإسناد الذي يعرقل أحياناً متابعة القارئ للأحداث التاريخية [(١)] .

ثالثاً: التأريخ للدول

كان من ثمرات التطور والتوسع في الكتابة التاريخية أن جنح بعض المؤرخين، وعنى بكتابة تاريخ مستقل لدولة أو لأسرة حاكمة بعينها، أو اهتمام البعض الآخر بتاريخ أحد الخلفاء أو أحد الملوك، أو بعض السلاطين.

وعنى أصحاب هذا الاتجاه التاريخي بالمسائل الأخلاقية السلوكية، ومعها المسائل الإدارية، ويبدو أن ذلك أثر من الآثار الفارسية حيث كان مؤرخو الفرس يقسمون مادتهم التاريخية حسب عهود حكامهم من الأكاسرة، وتنتهى بأنتهاء هؤلاء.

وفيما يلي نعرض لبعض المصنفات ومن كتبوا في تاريخ الدول : ـ

(٢) ابن الأثير (علي بن محمد) ـ الكامل في التاريخ - دار صادر - بيروت - ١٩٨٢
وانظر : د/ السيد سالم - التاريخ والمؤرخون العرب - ص ١٠٣ .

١ ـ في "سيرة صلاح الدين بن أيوب "لابن شداد (يوسف بن رافع بن تميم) وهو من مواليد الموصل، وفيها أخذ العلم ثم انتقل إلى بغداد فعمل معيداً بالمدرسة النظامية، وله العديد من المؤلفات الأخرى مثل" :ملجأ الحكام عند التباس الأحكام "، ودلائل الأحكام "، وغيرها ، وعاش ابن شداد في الفترة بين ٥٣٩ هـ ، ٦٣٢هـ.

٢ ـ العيون الدعج في حلي دولة بنى طغج لابن زولاق (أبو محمد الحسن) المتوفي سنة ٣٨٧هـ ، وهو كتاب خاص بسيرة الإخشيدين حيث كان له اتصال بهم، وبرجال الدولة ، وله كتاب آخر سماه " :فضائل مصر وأخبارها "، ومن أهم مصنفاته أيضاً " :سيرة المعز لدين الله "، حيث أن ابن زولاق قد شهد فتح الفاطميين لمصر ، وانتقالها إليهم [١] .

٣ ـ الروضتين في أخبار الدولتين النوية والصلاحية لأبي شامة)عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى (المولود في دمشق، وبها أخذ العلم، وتولى التدريس في عدة مدارس بعد أن تتلمذ على يد أساطين التاريخ والعلم مثل علم الدين السخاوي و العز بن عبد السلام، وله تآليف عديدة أخرى كان من بينها : -

١ ـ تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر مرتين أحدهما كبرى في ١٥ مجلد ، وصغرى مختصرة في ٥ مجلدات.

٢ ـ مختصر آخر سماه : عيون الروضتين.

٣ ـ المذيل على الروضتين وهو تكملة.

وتواريخ أخرى لم يكملها مثل :

٤ ـ مختصر تاريخ بغداد.

---

(١) محمد عبد الله عنان – مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصرى – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – ١٩٦٩م – ص ٤٠، ٤١ .

٥ - جامع أخبار مكة والمدينة وبيت المقدس.

وعن كتابه الأول "الروضتين "فقد استهله بمقدمة أوجزها عن أسباب تأليفه هذا الكتاب ، ومصادره الرئيسية ، وخصص الفصل الأول للدولة النورية مع التركيز على صفات نور الدين بن عماد الدين زنكى، وحب الناس له ثم أفرد الفصول الثلاثة التالية للحديث عن أصله ونشأته وجهاده، وفي الفصل الذي يليهم عقد الحديث عن صفات صلاح الدين، ثم عنى بتاريخ الدولة الأيوبية بعد ذلك في فصول أخرى.

٤ - مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب لابن واصل)جمال الدين محمد بن سالم (الذي عاش فيما بين سنتي ٦٠٤هـ ، ٦٩٧هـ ، وعمل في مجال التدريس، والقضاء حيث عين قاضياً للقضاة بعد عودته من سفارة أرسله إليها الظاهر بيبرس في مهمة رسمية إلى ملك صقلية منفرد Manfer، وله كتاب آخر هو : "التاريخ الصالحي " (١) .

وهناك مؤلفات أخرى كثيرة في هذا المجال (تأريخ الدول) مثل :الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية، وسيرة أحمد بن طولون لابن الداية، والروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر لبدر الدين العينى ، وغيرها.

رابعاً: التأريخ المحلي وتاريخ المدن

شهدت الفترة الواقعة بين القرن الثالث الهجري والقرن السادس الهجري طفرة في التأليف التاريخي أمدتنا بزخم كبير منها ، وكثرت وتعددت النزعات الرئيسية في التأليف التاريخي التى كان من بينها التاريخ المحلي للأمصار ، وتاريخ المدن، وكأنها دول كبيرة ، فباستثناء مكة للأزرقى (أبو وليد محمد)المتوفي سنة ٢٢٣هـ، نستطيع أن نعتبر أن أقدم تاريخ محلى هو كتاب :

(١) د/ حاطوم - المدخل - ص ٣٠٤ ومابعدها

وانظر :ابن واصل - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب - جـ٤ - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٢ - ص ٦ .

فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله) المتوفي سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧١م .

وشهدت الفترة التالية للكتابين المتقدم ذكرهما التوسع والانتاج الوفير في تآليف التأريخ المحلى، حفظت لنا كثيراً من المواد التى لم تندرج في التواريخ الكبرى، ولذلك فإن لها قيمة وأهمية بالغة، وظهر في هذا النوع التأثر بأفق الكيان السياسي المحلى، وتدخل فيه وكتب في الغالب الموظفون والمقربون من البلاط الذين اكتسبوا خبرة من عملهم ككُتاب أو رجال دواوين سهّل عملهم مهمتهم الكتابية ، وكانت مصادرهم التي يحصلون منها على أخبارهم هي الوثائق الرسمية والاتصالات الشخصية بصانعى القرار، وما يدور من حديث بين الموظفين، والمقربين من البلاط، ولذلك فقد قلّ الإسناد الذي بدأ الاقتصار فيه على إشارة موجزة للمصدر فقط .

وترك بعض المصنفين مجال الإسناد تماماً، مع استبعاد الجانب الدينى الذى كان قد أسبغ على التاريخ وكُتّابه الاحترام والمهابة، ولذلك فقد حاول مؤلف هذه الفترة أن يعوض شيئاً مما فقده التاريخ (من الجانب الدينى) بعنايته بالجانب الأخلاقى بمعنى محاولته تخليد الأعمال الصالحة، وإبراز السيئة في قالب ينفر منه الناس ليكون كل ذلك عبرة للأجيال المقبلة، وهو ما ذكرناه في الفصل الأول من أن إحدى فوائد التاريخ (العبرة والعظة) [١] .

ونستعرض فيما يلي بعض الكتابات التى تخصصت في هذا الفرع التاريخي :-

---

(١) بتصرف انظر :

هاملتون جب ـ ص ١٥٧ وما بعدها .

عن العراق:

١ - تاريخ بغداد أحمد بن أبى طاهر طيغور المتوفي سنة ٢٨٨ هـ.

٢ - تاريخ الموصل لأبى زكريا يزيد بن محمد بن إياس الأزدى المتوفي سنة ٣٣٤ هـ .

٣ - التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، وهو خاص بتاريخ الموصل لابن الأثير (على بن محمد) المتوفي سنة ٦٣٠ هـ .

عن مصر:

٤ - تاريخ مصر وفضائلها لابن زولاق)أبو محمد الحسن (المتوفى سنة ٣٨٧هـ .

٥ - رسالة في فضائل الأسكندرية لمؤلف مجهول اشتملت على قصة وأحداث الفتح العربي للأسكندرية، وفضل المرابطة فيها، ووصف لأسوارها ومساجدها.

٦ - الدرة السنية في تاريخ الأسكندرية لمنصور بن سليم السكندري المتوفي سنة ٦٧٤ هـ .

٧ - فضائل الأسكندرية للصباغ (أبو على الحسين بن عمر بن الحسن) .

٨ - الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الأسكندرية للنويرى السكندري (محمد بن القاسم بن محمد).

وتطورت الكتابة التاريخية عن مصر من القرن التاسع الهجري فظهرت كتب أخرى مطورة أعظمها :

٩ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (تقى الدين أحمد بن على) الذي بدأ كتابه بمقدمة جغرافية تاريخية تناول فيها المدن المصرية والآثار الفرعونية فيها، وكذلك الإسلامية، وتشمل الفسطاط، والقاهرة والأسكندرية.

١٠- الدر المنظوم فيما ورد في مصر من موجود ومعدوم للجوهرى (على بن داود) المتوفي سنة ٩٠٠هـ .

١١ ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن محمد) المتوفى سنة ٩١١هـ ، واشتمل الكتاب على تاريخ للبلاد المصرية، ولاسيما القاهرة، مع إضافة فصول تحدث فيها عن النظم المملوكية، وعن طبقات العلماء والصوفية في ربوع مصر وشيئاً من حياتهم الاجتماعية والدينية.

في الشام:

كانت فيه أقدم أمثلة الكتابة في التاريخ المحلي منذ القرن السادس الهجري وفيما يلي بعض الأمثلة الخاصة بالشام : ـ

١٢ ـ تاريخ ابن القلانس ذيل تاريخ دمشق (أبو يعلى حمزة) المتوفى سنة ٥٥٥ هـ الذى كتب تاريخه على طريقة الحوليات ، وخصصه لتاريخ مدينة دمشق، ومايدور حولها من أخبار.

١٣ ـ زبدة الحلب من تاريخ حلب للحلبي (عمر بن أحمد بن العديم) المتوفي سنة ٦٦٠هـ وهو كتاب خاص بالتاريخ السياسي لهذه المدينة.

١٤ ـ الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة لابن شداد الحلبى.

وعن اليمن:

صنفت كتب كثيرة منذ القرن الرابع الهجري شملت التأريخ مع دراسة عمرانية، ودراسة للأنساب مثل : ـ

١٥ ـ الإكليل للهمداني المتوفي سنة ٣٣٤هـ، وكذلك كتاب صفة جزيرة العرب.

١٦- المفيد في أخبار زبيد لعمارة اليمنى (عمارة بن الحسن الحكمى) المتوفي سنة ٥٦٩هـ، وقد أكمله ابن الربيع المتوفي سنة ٩٤٤هـ بمصنف سماه: بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد.

وعن الأندلس كُتبت مصنفات عديدة منها : ـ

١٧ ـ تاريخ الأندلس للرازى (عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى) وله أيضا كتاب آخر سماه : (حجاب خلفاء الأندلس) .

١٨ ـ تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية القرطبى (أبو بكر محمد بن عمر) .

١٩ ـ المقتبس في تاريخ رجال الأندلس لأعظم مؤرخى الأندلس ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف) المتوفى سنة ٤٦٩هـ .

٢٠ ـ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، من ملوك الإسلام للكاتب الوزير لسان الدين بن الخطيب المتوفي سنة ٧٧٦ هـ .

وهناك كتب دينية محلية صُنفت خصيصاً للمدن المقدسة الإسلامية مثل:

الدرة الثمينة في تاريخ المدينة لمحمد بن محمود بن النجار المتوفى سنة ٦٤٧هـ ، وأخبار مكة لمحمد بن اسحق الفاكهى المتوفى آواخر القرن الثالث الهجرى ، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لأبى الطيب تقى الدين محمد بن أحمد العباسى المتوفى سنة ٨٣٢هـ ، وكتاب وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى لجمال الدين أبو المحاسن عبد الله السمهودى [1] .

وفي أواخر العصور الوسطى العربية (أي في القرنين الأخيرين) من الثالث عشر إلى الخامس عشر الميلاديين، ازدادت العبقرية العربية عناية بالتراجم على الرغم من الاقبال الشديد على التاريخ السياسى، والجمع بين السيرة، وبين الأخبار السياسية سواء منها العامة، والمحلية كذلك.

---

(١) السيد سالم ـ التاريخ والمؤرخون العرب ـ ص ١٠٧ وما بعدها.

وانظر : روزنتال ـ علم التاريخ عند المسلمين ـ ص ٢٨٠ وما بعدها.

فقد بدأت ميول التخصص تزداد في هذه الفترة، ولاسيما في ظهور مجموعة من التراجم الهامة مثل تراجم ابن أبي أصيبعة الدمشقي المتوفى سنة ٦٦٨ هـ ، وابن القفطي المصري المتوفى سنة ٦٤٦هـ التي اشتملت على تصنيف في الطب ، والعلم عموماً خلال القرون الإسلامية الأولى.

وإلى جانب هذه التراجم ظهر في بلاد الشام معاجم السيرة الشاملة الذي كان ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ متصدراً للتأليف في هذا المجال، واكتسب شهرته من ذوقه ودقته في كتابه " :وفيات الأعيان "، وتبعه في المجال نفسه خليل أيبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ بكتابه : "الوافي بالوفيات "، وثالثهم ابن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤هـ في كتابه : "فوات الوفيات "الذي جعله ذيلاً على كتاب ابن خلكان.

وتوالت بعد ذلك التراجم حسب القرون (أي حسب وفاة المترجم له في هذا القرن) مثلما فعل ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ في كتابه " :الدر الكامنه في أعيان المائة الثامنة "الذي يُعد من المعاجم العامة التي ترجمت للأعيان والعلماء والملوك والأمراء والشعراء والكتاب وكذلك الوزراء في عصره، وهي طريقة جديدة جمع فيها ابن حجر بين جميع البارزين من الرجال والنساء، ورتبهم ترتيباً أبجدياً.

ومن المعاجم المشابهة في التراجم ما فعله تلميذه /شمس الدين السخاوي المتوفي سنة ٩٠٢هـ في كتابه "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع [١] ، وهو من كتب التراجم الإسلامية العربية الهامة حيث ترجم فيه السخاوي لأعلام عصره بشكل أكثر تحرراً وجرأة ، وتميزت كتاباته وتناوله لتراجمه بروح نقدية لاذعة، وجارحة أحياناً ، شملت المشاهير، والكبار، ولم ينج من نقده وتجريحه ابن خلدون، ولا حتى المقريزى اللذان يُعدان من أعظم كُتّاب التاريخ.

وثمة كلمة أخيرة عن التراجم، وهي أن هذه الكتب كانت تتميز في الغالب بطريقة الإسناد، وتؤرخ الحوادث، وخاصة تأريخ الوفاة بدقة فائقة، وتعنى بإيراد حياة المترجم

(١) هاملتون جب ـ دراسات في حضارة الإسلام ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

في إيجاز مضافاً إليها بيانات عن المصنفات التى صنفها المترجم له إذا كان عنده مصنفات، وإيراد بعض الأشعار التى اشتهر بها إن كان شاعراً، وبعض الأقوال التى قيلت فيه أو أشعار تناولت شيئاً من حياته من قبل الآخرين.

ومع ذلك فإن هذا الصنف من التأليف كان يُعد بلا شك مكملاً قيماً للحوليات السياسة مصححاً لها بحكم قربه واتصاله بحياة الناس ومتابعة لمشاركتهم في الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية [1] .

وكلمة أخرى عن الصناعة اللفظية للرواية التاريخية، حيث ظهر هناك تباين بين المدارس العربية المختلفة في قضية الصنعة اللفظية هذه :فبينما كانت مدرسة فارس والعراق والتى يمثلها عماد الدين الأصفهانى المتوفي سنة ٥٩٧ هـ تؤثر وتعتنى بالكتابة المسجوعة ، إلا أن الشاميين نبذوا هذا الأسلوب المنثور المنمق وابتعدوا عنه، وفضلوا عليه نثراً أكثر استقامة ، وأطلقوا للكتابة التاريخية العنان في صورة طبيعية بعيداً عن التكلف، الأمر الذي عاد على كتابة التاريخ بفوائد عظيمة ، وأقرب الأمثلة على ذلك ما كتبه :ابن شداد المتوفي سنة ٦٣٢ هـ وأبو شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ.

والحادث حقيقة هو أن التواريخ المسجوعة كانت تعود للظهور بين الحين والآخر، وكان البعض يُغالى في استخدامها حتى أن المؤرخ الكاتب المصرى ابن عبد الظاهر المتوفى سنة ٦٩٢هـ كان قد ابتدع أسلوباً جديداً عندما ألّف تأريخاً للسلطان بيبرس نظّمه شعراً.

واستخدم السجع أيضاً في تأليفه بدر الدين بن حبيب المتوفى سنة ٧٧٩هـ كما نظم ابن عربشاه الدمشقى المتوفى سنة ٨٥٤هـ سيرة مسجوعة في هجاء تيمور، وتأثر فيها بالكتابات الفارسية المعاصرة.

وفي القرن الأخير من حكم المماليك ظهرت مدرسة مصرية من المؤرخين تميزت بوجود نخبة من كبار المؤرخين تلك النخبة التى ابتدأت بظهور تقى الدين المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥هـ والذى خلّف لنا تصانيف عديدة في التاريخ، وكذلك صنع منافسه

(١) دائرة المعارف الإسلامية – م٩ – ص ١٣٦ .

بدر الدين العينى المتوفى سنة ٨٥٥ هـ، وبعدهما تلميذ المقريزى أبو المحاسن بن تنعرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤هـ ومنافسه على بن داود الجوهرى المتوفى سنة ٩٠٠هـ ، والسخاوى سنة ٩٠٢هـ والسيوطى سنة ٩١١هـ، وأخيراً ابن إياس سنة ٩٣٠هـ (١) .

وبعد فإن هذا العرض السابق يتضح منه مدى تطور علم التاريخ عند المسلمين منذ أن كان رواية شفهية تُروى كقصة ، أو بطولات تذكر وتتوارثها الأجيال إلى أن أصبح علماً يتميز بأصول وقواعد ، حمل عبء التأليف والتصنيف فيه علماء عرفوا فوائده ومميزاته ، وجعلوه في الوقت نفسه أداة لخدمة العقيدة الإسلامية بما فيه من عظات وعبر وأسوة حسنة ، وتأريخ للجهاد ، وما أبلاه المسلمون في سبيل نصرة دينهم، مع ما في التاريخ من خبرة بتجارب البشر السابقين.

وساهم هؤلاء المؤرخون بقسط وافر على إبقاء حيوية الذاكرة الإسلامية عند مختلف الشعوب الإسلامية متقدة تفخر بتراثها القومي الإسلامي ، مع تميز التأريخ الإسلامي بالتعدد والتنوع الذي شمل شئون الحياة فتفوقت الصنعة التاريخية الإسلامية عن غيرها من المعاصرين من غير المسلمين، رغم العصبية والشعوبية إلا أن الجميع التزم بوحدة التاريخ الإسلامي .

تقسيم التأريخ إلى حولي أو حسب الموضوعات

اتخذ المؤرخون منهجين مختلفين في التعامل مع كتابة أحداث التاريخ الذي يتصدرون له بين كتابته بالمنهج الحولى (حسب السنين)، أو حسب الموضوعات الأحداث)وانتهائها.

أولاً :التأريخ الحولى (حسب السنين)

فقد عمد المؤرخون فى هذا المنهج إلى التأريخ للأحداث سنة بعد أخرى، بحيث تستقل كل سنة بأحداثها تجمع فيها دون سواها من أحداث السنوات الأخرى أو حتى تكملة الحدث الذى استمر في العام التالي، وإنما تنتهى كتابة تكملة الحدث بعد

(١) دائرة المعارف الإسلامية – م ٩ – ص ١٤٠ ، ١٤١ .

انتهاء السنة، وعند التعرض للسنة التالية يمكن له أن يعود لتكملة الحدث، ولكنه في كتابة أحداث كل سنة ينتهى فيها، ويتبعها بمقولة " :ثم دخلت سنة كذا ."

ومن المآخذ التى أُخذت على هذه الطريقة أنها كانت تمزق الحدث وسياقه التاريخي الطويل الذى قد يمتد عدة سنوات فلا يذكر منه إلا ما يخص السنة التى يتحدث عنها، ويجمع كل الأحداث التى وقعت فيها.

وممن انتقدوا هذه الطريقة وهذا المنهج المؤرخ الكبير الشيباني ابن الأثير)على بن محمد (الذى عاش في الفترة بين سنة ٥٥٥ - ٦٣٠ هـ فقال [١] .: -

" يذكرون الحادثة الواحدة في سنين، ويذكرون منها في كل شهر أشياء فتأتي الحادثة مقطعة، لا يحصل منها على غرض، ولا يفهم إلا بعد إمعان نظر، فجمعت أنا الحادثة في موضوع واحد ، وذكرت كل شئ منها في أى شهر أو سنة كانت، فأتت متناسقة متتابعة، قد أخذ بعضها برقاب بعض."

كما انتقد هذه الطريقة أيضاً بعض المؤلفين المؤرخين الآخرين أمثال النويرى (أحمد بن عبد الوهاب)المتوفى سنة ٧٣٢هـ الذى آثر الكتابة بالمنهج الآخر (حسب الموضوعات).

ومن أوائل المؤرخين الذين وصلنا انتاجهم مرتباً حسب السنين هو المؤرخ الشهير محمد بن جرير الطبرى (المتوفي سنة ٣١٠هـ) منذ بداية التاريخ الهجرى حتى انتهى من تاريخه سنة ٣٠٢هـ ، ويبدو أنه سبقه آخرون في كتابة التاريخ حسب المنهج الحولى ولكن لم تصلنا مؤلفاتهم مثل كتاب ابن المنجم المتوفى سنة ٢٧٩هـ : " تاريخ سنى العالم "، وقبله كتاب الهيثم بن عدى المتوفى سنة ٢٠٦هـ الذى سماه : "التاريخ على السنين ."

وتجدر الإشارة إلى أن هناك عدداً كبيراً من المؤرخين المسلمين قد استخدموا المنهج الحولى بعد ابن جرير الطبرى مثل :مسكويه ، وابن الجوزى، وأبو الفدا والذهبي .

(١) ابن الأثير (على بن محمد) الكامل في التاريخ - القاهرة - ١٣٤٨ هـ - ص٥ .

ويرى البعض أن المؤرخين العرب ليسو أول من ابتكر كتابة التاريخ حسب المنهج الحولى بل سبقهم أو عاصرهم الإغريق في كتابة هذا المنهج ، كما أن الأدب السريانى قد استخدم المنهج نفسه، ويرى هؤلاء ان الكتابة الحولية قد انتقلت إلى العرب عن طريق السريان النصارى ، واطلاعهم بعد ذلك على المصادر الإغريقية مباشرة [1] .

ونحن نشك في صحة هذا الحديث إذ كان العرب قد أقاموا التأريخ، واعتنوا به لحاجة دينية وسياسية واجتماعية كذلك، ولم يكن هناك ما يضطرهم إلى الاقتباس من طرق أجنبية عنهم لأن نشأة التاريخ عند المسلمين نشأة محلية بحتة، ولا سيما أن مؤرخ كبير مثل هرنشو يذكر [2] :

ان الحوليات كانت مجرد تقييدات للحوادث المعاصرة يعلق بها على التقاويم المؤقته لعيد الفصح، وكثير من الحوادث الواردة في حوليات العصور الوسطى ولا سيما أوائلها من أتفه ما يكون، ويؤخذ من حديث هرنشو، وما جاء به من أمثلة لمن استخدموا المنهج الحولى في الغرب أنهم كانوا متأخرين جداً عن المؤرخين العرب المسلمين الذين سبقوهم في هذا المجال، إذا ضربنا الصفح عن الكتابات التافهة التى وصفها هرنشو بهذا الوصف، ولذلك نستطيع أن نؤكد على انفراد العرب وابتكارهم لهذه الطريقة.

تطور الكتابة التأريخية الحولية

فقد حدث تطور ملموس في هذا المجال الذى كان في السابق يعتمد على السنين وبدأ منذ أواخر القرن السابع الهجرى يأخذ أشكالاً أخرى بدأها مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي (محمد بن أحمد) الذى عاش بين سنتى ٦٧٣، ٧٤٨هـ حيث ابتكر طريقة جديدة اتخذها منهجاً في كتابة : (تاريخ الإسلام) الذى جُمع في ٢١ مجلداً كبيراً بدأه من صدر الإسلام حتى بداية القرن الثامن الهجرى وقسّمه تقسيماً فرعياً للحوادث متبعاً نظام العقود أي حسب كل عشر سنوات وليس كنظام السنة كما هو معروف من قبل.

---

(١) فرانز روزنثال – علم التأريخ عند المسلمين – ص ١٠٢ وما بعدها .

(٢) هرنشو – علم التاريخ – ص ٤٢ ، ٤٣ .

وطبق الذهبى هذا التقسيم إلى عقود في أجزاء كتابه كله مستمداً أصول هذا المنهج - علي ما يبدو - من تاريخ السيرة ، وبهذا ربط الذهبي بين تاريخه وآداب الطبقات والتراجم .

والتطور الآخر الحادث للمنهج الحولى هو تقسيم كتابة التاريخ حسب القرون وهو تطور آخر من السنين إلى العقود إلى القرون، وأقرب الأمثلة على المنهج الأخير القرن (هو كتاب " :الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة "لابن حجر العسقلاني، وكتاب السخاوى : " الضوء اللامع في رجال القرن التاسع "، وكتاب : " النور السافر في أخبار القرن العاشر "لابن العيدروس ، وكتاب : "الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة "للغزى [1] .

ثانياً : التأريخ حسب الموضوعات

وهي التزام المؤرخ طريقة التأريخ بعيداً عن المنهج الحولى فهو يعمد إلى تاريخ وعصور الدول أو عهود الخلفاء والحكام والأمراء، أو أنه يكتب حسب السير والطبقات وبمعنى أدق أن المؤرخ يبني تاريخه حسب الأشخاص من قادة وحكام بعكس الطريقة الأخرى التى كانت تُبنى حسب السنين.

وقد تعرضتُ لهذا الجانب وتفاصيله وتقسيماته منذ بداية هذا الفصل ولذلك نضرب عنه الصفح لتقدمه.

وإنما الذى يجب الإشارة إليه في هذا المقام هو ما جاء به هرنشو عندما قسّم ما استفاده التاريخ في العصور الوسطى من ابتكار إلى قسمين :حوليات ، وتآريخ ، وأعتقد أنه يقصد من كلمة تآريخ (حسب الموضوعات)، وفي هذا الصدد يؤكد هرنشو على دور العرب المسلمين في نقل المنهج السليم في مجالات عديدة، (ولا سيما التاريخ، وعلى وجه الأخص منهج كتابة التاريخ حسب الموضوعات) إلى أوربا.

وأجد من الأوفق إيراد ما ذكره هذا المؤرخ ليتضح لنا مَن نقل مِن مَن ؟ [2]: - (ربما كان التقدم الملحوظ في "تآريخ "العهد الأخير من العصور الوسطى ناشئاً

(١) فرانز روزنتال - علم التأريخ - ص ١٢١ .

(٢) هرنشو - علم التاريخ - ص ٤٥ وما بعدها .

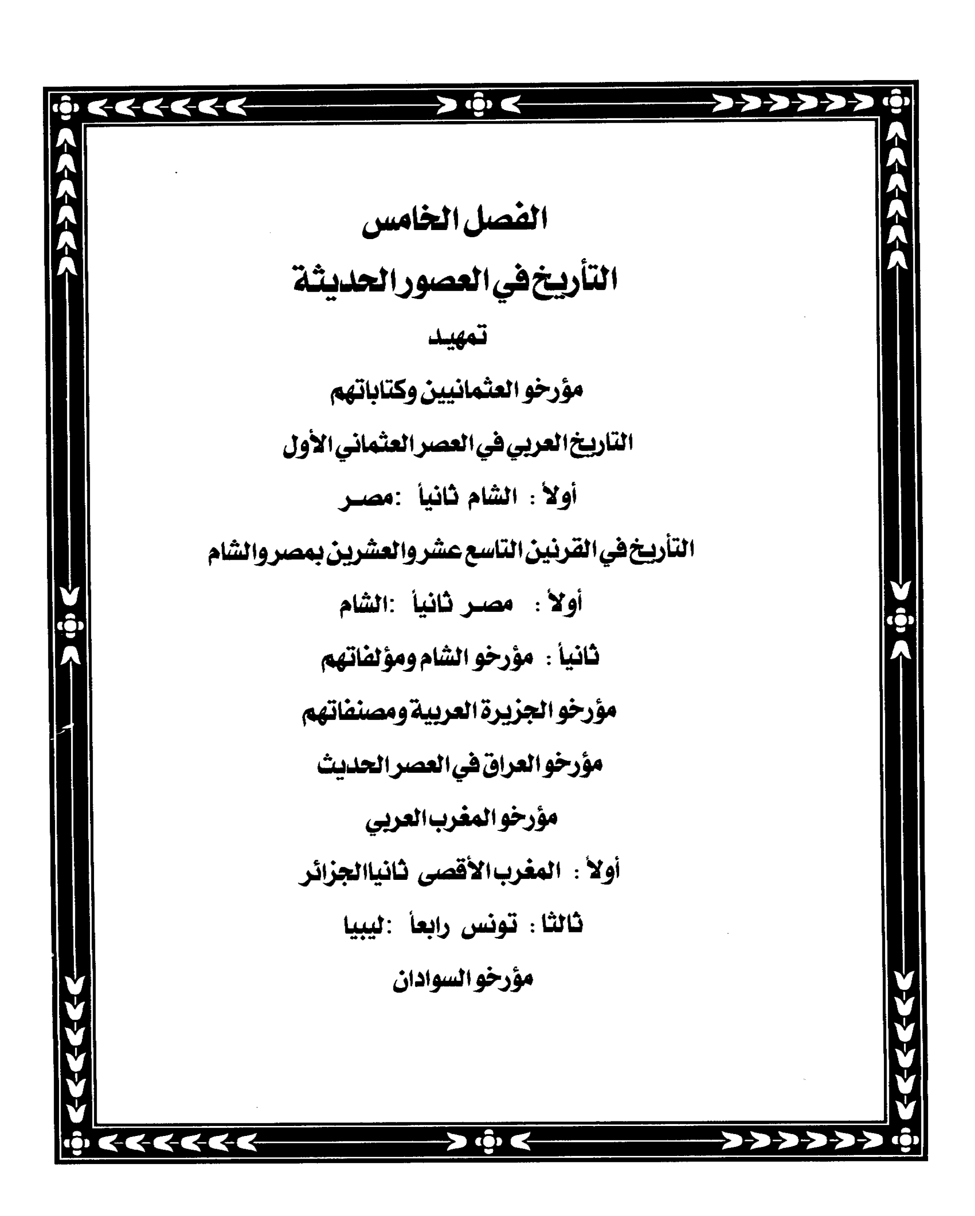
إلى حد بعيد من تأثير الحضارة العربية التى شملت العالم الإسلامي في ذلك الزمان ، لقد تماست النصرانية والإسلام في الأرض المقدسة وما يجاورها ، وفي صقلية وجنوبي إيطاليا والأندلس ، ولم يكن هذا التماس بحال من الأحوال عدائياً لا في جملته ولا في نفس الأساس الذى قام عليه، فكما أن بلعام خرج ليدعو على بنى إسرائيل فإذا به يدعو لهم ، فكذلك الصليبيون خرجوا من بلادهم لقتل المسلمين فإذا هم جلوس عند أقدامهم يأخذون منهم قوانين العلم والمعرفة، لقد بُهت أشباه الهمج من الصليبين عندما رأوا "الكفار" (١) الذين كانوا ينكرون من الناحية اللاهوتية ديانتهم ، على حضارة دنيوية ترجح حضارتهم رجحاناً لاتصح معه المقارنة بينهما ، ففى مجال التاريخ الذى نحن بصدد الكلام عليه وحده نجد المسعودى العربى المتوفي سنة ٩٥٦هـ يعرض في كتابه " :مروج الذهب "عرض خبير ماهر تاريخ وإثنغرافية غرب آسيا وشمال أفريقة وشرق أوربا ، ونجد ابن خلكان الدمشقى يصنف معجماً في التراجم التاريخية جديراً بأن يقرن إلى تراجم فلوطرخ Parallel Lives of Plutarch، ثم نجد شيخ مؤرخي العرب عبد الرحمن بن خلدون التونسى قد كتب فيما كتب مقدمة لتاريخ عام بلغت من سعة الاطلاع والإحاطة، وصحة النظر ، وعمر الفلسفة ما جعلها مصداقاً لما قال الأستاذ فلنت R. Flint في حق ذلك العالم التونسى الكبير من أنه " :واضع علم التاريخ ") .

ويضيف هرنشو قوله : ـ

" انتقل أثر هذه الثقافة العربية إلى أوربا النصرانية عن طريق مدارس الأندلس وجنوب إيطاليا ، فكان من العوامل القوية في انتهاء العصور الوسطى وانبثاق فجر العصور الحديثة . "

* * *

(١) يقصد المسلمين في بلاد الشرق العربي.



الفصل الخامس

التأريخ في العصور الحديثة

تمهيد

مؤرخو العثمانيين وكتاباتهم

التاريخ العربي في العصر العثماني الأول

أولاً : الشام ثانياً : مصر

التأريخ في القرنين التاسع عشر والعشرين بمصر والشام

أولاً : مصر ثانياً : الشام

ثانياً : مؤرخو الشام ومؤلفاتهم

مؤرخو الجزيرة العربية ومصنفاتهم

مؤرخو العراق في العصر الحديث

مؤرخو المغرب العربي

أولاً : المغرب الأقصى ثانيا الجزائر

ثالثا : تونس رابعاً : ليبيا

مؤرخو السوادان

تمهيد:

سبق أن ذكرنا تحديداً تقريبياً لبداية العصور الحديثة من منتصف القرن الخامس عشر، وتحديداً أكثر موضوعية منذ أن دخل محمد الفاتح (السلطان العثماني) القسطنطينية سنة ١٤٥٣م، واتخاذها عاصمة للدولة العثمانية.

ورغم ذلك فإننا عندما نُعبر عن بداية العصور الحديثة العربية فغالباً ما نبدأه ، بدخول العثمانيين الشرق العربي الإسلامي ابتداءاً من سنة ١٥١٦هـ ، وهو ما درجنا عليه في كتابنا السابق : " تاريخ كل العرب "الحديث والمعاصر.

ولابد أن نشير في بداية حديثنا عن التأريخ في العصور الحديثة إلى المجتمع العربي في العصر العثماني حيث قد احتفظ بمقوماته، وانقسامه إلى طوائف تعمل على حفظ مصالح وشؤون الطائفة فيما بينها ، واقتصار علاقة هذه الطوائف بالعثمانيين على جوانب ضيقة للغاية.

وظل التعليم والمجالات الثقافية حرة وبعيدة عن تدخل الحكومة الرسمى إذ استمر أهل الخير من جميع الطبقات يدبرون نفقات التعليم، وأجور المدرسين، في الوقت نفسه كان العثمانيون بالنسبة للمجال الحضارى في حالة متواضعة فلم يمدوا العالم العربي الخاضع لهم بشئ من الثقافة أو ألوان الحضارة الأخرى، إضافة إلى عدم انتشار اللغة التركية بين الشعوب العربية حتى بعد التنظيمات التى أخذ العثمانيون بعدها يتدخلون في شؤون الأفراد ، ويقيمون المدارس التركية إلا أنهم أيضاً لجمودهم وعزوف الأهالى عن التعامل معهم قد جنّب العالم العربي عملية التتريك.

ومع ذلك أيضاً فقد صاحب الوجود العثماني في العالم العربي جمود في الفكر، وانحطاط في العناية بالأمور العقلية حتى اتجه الغالبية إلى العلوم النقلية (الدينية) ، وإهمال الجانب العقلي الدنيوي ، ومنه التاريخ.

فكثرت حينئذ الشروح ، والحواشى ، والتعليق على القديم ، وشرح الشروح ... الخ هذا مع وجود وازدياد كم التأليف والتصنيف في المجال التاريخي دون الكيف، وتظهر ضحالة الانتاج فى تردى الأفكار، وقلة الأصالة والابتكار ، وانعدام التنسيق والارتباط بين أطرافها وأقسامها ، واتجاه بعض العلماء (لا كلهم) إلى التدليس لدى الحكام ونفاقهم إضافة إلى النزاع المستمر بين الفرق العسكرية العثمانية فيما بينها ، وفيما بينها وبين المماليك، والأجناد الأخرى المرتزقة من شتى البقاع، ناهيك عن الفساد والفتن، هذه العوامل التى اشتركت جميعها في تقهقر الحياة العلمية، وعدم تجديدها مما أصابها بعقم علمى ولا سيما في مجال التأريخ استمر طوال العصر العثماني.

وفيما نستعرض لمحة سريعة عن مؤرخي العثمانيين وتصنيفاتهم : -

مؤرخو العثمانيين وكتاباتهم

تأثر العثمانيون في كتاباتهم التاريخية بالعربية والفارسية ، ولا سيما بعد سيطرتهم على العالم العربى، حيث كانت العربية عندهم هى لغة الدين ، وكانت الفارسية هي لغة الأدب ، وهناك أحداث سجلت نثراً عُرفت باسم : " تواريخ آل عثمان "، حلت التركية فيها محل العربية والفارسية، وتبدأ جميعها بهجرة سليمان إلى آسيا الصغرى ، ولكنها تنتهى فى تواريخ مختلفة.

وأول كاتب نصادفه في الفترة التاريخية التى نحن بصددها (العصور الحديثة) هو "نشرى " الذي عاش مدرساً في البصرة، وتوفى بها خلال فترة حكم السلطان سليم الأول، وكتب نشرى (جهان نما) بمعنى مرآة العالم أو تاريخ العالم، ويتألف من ثلاثة أجزاء .وعاصر إدريس بن البدليس المتوفي سنة ١٥٢٠م صاحب كتاب "الهشت بهشت "أى الجنان الثمانى حيث تناول فيه تاريخ السلاطين الثمانية الأول من آل عثمان ، وتعود أهمية كتابات البدليسى إلى أنه قد كان مقرباً للسلطان سليم الأول وصحبه في غزو فارس سنة ١٥١٤م كقائد عسكرى.

وممن حاز شهرة كبيرة في هذه الفترة (النصف الأول من القرن السادس عشر) كمال باشا زاده الذى ألف بالعربية والفارسية والتركية، وأسندت إليه وظيفة قاضى عسكر الأناضول سنة ١٥١٦م ، وله كتاب : " تاريخ آل عثمان "كتبه بالتركية ، وسرد فيه تاريخ العثمانيين ، وصحب كمال باشا سليم الأول في حملته على مصر سنة ١٥١٧م، ولما كان في الطريق قبل وصوله إليها طلب منه سليم ترجمة كتاب النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة لابن تغرى بردى فترجمه عن العربية إلى التركية وكان يطلع السلطان كل يوم على ما أنجزه ، فما دخل سليم مصر إلا وهو على علم بتاريخها ، وأخبار ملوكها ، وأكرمه سليمان القانونى عندما عينه شيخاً للإسلام لمدة ثمانية أعوام حتى توفى سنة ١٥٣٤م.

ويمكن تقسيم مؤرخى الترك إلى فريقين الأول :كُتَّاب الوقائع ، وهم عبارة عن موظفين رسميين في قصر السلطان أنيطت بهم مهمة كتابة التاريخ وهم بذلك يرسفون في أغلال مناصبهم ، والفريق الثاني :عبارة عن مؤرخين اهتموا بكتابة التاريخ بصورة علمية ومن دافع شخصى فهم أحرار من جانبى الترغيب والترهيب إلى حد كبير.

وكان من المؤرخين من يكتب التاريخ شعراً مثلما فعل فتح الله عارف المتوفي في مصر سنة ١٥٦٢م الذى سرد تاريخ العثمانيين في شاهنامه من ثمانية آلاف بيت كتبها بالفارسية.

ومن المؤرخين العثمانيين المشهورين أيضاً : عالى (مصطفى بن أحمد جلبى) المولود سنة ٩٤٩هـ وله كتاب : " هفت داستان "أى الحكايات السبع وصف فيه نهاية حكم سليمان ، وبداية عهد سليم الثاني بأسلوب فخم، وله أيضاً: "مناقب هنروان "أو مناقب الفنانين جمع فيه أخبار الصُنَّاع المهرة من خطاطين ومجلدى الكتب وغيرهم، وله كذلك كتاب : " كنه الأخبار ."

وتأثر بعض الأتراك بالرواية العربية القائمة على التراجم حتى أن البعض منهم كتب تراجماً بالعربية مثل : " شقائق النعمان "لقاضى اسلامبول طاشكبرى زاده

(أحمد مصطفى) المتوفى سنة ١٥٦١م ، وكذلك المؤرخ الكبير منجم باشى الذى كتب بالعربية تاريخه الشهير : " جامع الدول "وهو تاريخ للعالم كتبه وهو بالحجاز رتبه على حسب السلالات الإسلامية، وغير الإسلامية.

ومن أغزر المؤلفين الأتراك : حاجى خليفة (مصطفى بن عبد الله) الملقب بكاتب جلبى والمتوفى باسلامبول سنة ١٦٥٧م وله مؤلفات عديدة نذكر منها : ـ

فذلكة وضعها بالعربية ، وتقويم التواريخ ، وجهاننما ، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول ، وكشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، ووصف الولايات العثمانية في أوربا ، وتُحفة الكبار في أسفار البحار.

ومن مؤرخى القرن التاسع عشر العثمانيين "أحمد جودة باشا "الذى كلفه السلطان عبد المجيد بكتابة تاريخ للأتراك منذ سنة ١٧٧٤م إلى ان تم إبادة الانكشارية سنة ١٨٢٦م ، وفى العام التالى قدّم أحمد كتابه للسلطان الذى عينه مؤرخاً للدولة العثمانية .

وله كتاب آخر هو : " قصص الأنبياء وتاريخ الخلفاء "، ولكن كتابه الأول المسمى : "وقائع الدولة العثمانية "هو الذى أكسبه الشهرة حيث جاء في ١٢ مجلداً ، وسلك فيه مؤلفه طريقة الحوليات في ذكر الحوادث التى تناولها.

وبدءاً من سنة ١٩١١م أى بعد الدستور تأسست لجنة التاريخ العثماني برئاسة آخر المؤرخين الرسميين /عبد الرحمن شرف أخذ المؤرخون ينتفعون بالمحفوظات الضخمة التى تزخر بها القصور والمكتبات في اسلامبول ، ونشرت اللجنة مجموعة كبيرة من الأبحاث التاريخية في مجلتها ، وبدأت منذ الأربعينات من القرن العشرين جمعية التاريخ التركي في كتابة التاريخ بصورة موثقة بحسب الأصول الحديثة المنظمة [١] .

(١) د / حاطوم – المدخل – ص ٥٠١ وما بعدها .

التاريخ العربي في العصر العثماني

ظل استخدام لفظة تأريخ عند العرب فى العصر الحديث كسابقه (العصر الوسيط الإسلامي) من اتساعه لغير التاريخ من العلوم، والمقاصد، والفنون ، فلم يفصل المؤرخون العلوم والفنون عن بعضها البعض إذ اشتملت الكتابات التاريخية (كالسابق) على القصص والاجتماع والاقتصاد والأدب والتراجم والوفيات ، والأمور السياسية الخاصة بنظم الحكم، والمدونات اليومية ، وبعض المعاجم إضافة إلى المجال الدينى ...الخ.

ومعنى ذلك أن مؤرخى العصر الحديث قد اتبعوا طريقة الاستطراد في الكتابة والتأليف التاريخي فكان الغالبية منهم يفتتحون كتاباتهم بالبسملة والحمد والثناء على الله بما هو أهله، ثم الصلاة على النبي ﷺ ، وينتقل بعد ذلك إلى تدوين تاريخه بادئاً بالتاريخ الأقدم مختصراً ثم يقل الاختصار ويتسع المجال شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى عصره فتزداد التفاصيل في كتاباته ويطنب فيها إلى حد أن تصبح سجلات يومية أو شبه يومية ، لما يحدث في بلده، وما يحيط بها من بلدان من حوادث كبرى وصغرى.

وتضمن كتاباته التاريخية سير القادة ، وأحوال الناس ، والعلماء ، وطلبة العلم في مختلف الفروع، وربما يسوق لنا جدلاً أدبياً أو حواراً أو مناظرة أو خلافاً بين عالمين ، كما يتعرض المؤرخ أحياناً لما شيّده أهل الخير وبعض الحكام من أعمال خيرية.

أما عن الأسلوب الذى كُتبت به المؤلفات التاريخية فقد غلب عليها الركاكة والتعبير الضعيف، الذى يبعد بنا كثيراً عن العربية الفصحى، ربما كان سبب ذلك يرجع إلى دخول ألفاظ تركية في الاستخدام العربي، وذيوع اللسان التركي عند الخاصة وبين طبقاتهم، وتسربُ ألفاظ عديدة من اليونان واللاتين ، وغيرهما في الدواوين ، والجيش ، والبحرية نتج عن بعض الاختلاط الحادث في العصر العثماني.

وفى هذا الصدد تقول دائرة المعارف الإسلامية [1] :-

"أدى إخضاع الولايات العربية الوسطى للحكم العثماني إلى حرمان التأريخ العربى من البواعث المحلية التى كان وجوده مرتبطاً بها ، فانحطّ انحطاطاً يكون تاماً ، وكان كل ما ألّفه الكتاب من المصنفات التأريخية المحضة في مصر والشام والعراق وبلاد العرب حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادى) مقصوراً على عدد قليل من التواريخ العامة الضعيفة ، وعلى بعض تواريخ محلية أو سير متفاوتة في القيمة.

ووصلت الرواية التأريخية العربية القديمة آنئذ إلى خاتمتها على يد كاتبين كبيرين أحدهما نشأ بمصر وهو عبد الرحمن الجبرتي المتوفى سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م، والآخر نشأ بلبنان وهو حيدر أحمد الشهابى المتوفى سنة ١٢٥١هـ /١٨٣٥م، وبقيت هذه الرواية في أواسط بلاد العرب وشرقيها وجنوبيها إلى نهاية القرن ، وأثمرت في المغرب فقيضت لنا كاتباً حقيقياً بأن ينعت بآخر السلف الصالح ألا وهو الناصرى السلاوى المتوفى سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م ، وكان مجيئه عقب سلسلة مشابهة من المؤرخين الخاملين لم يقطعها سوى تلك الشخصية البارزة شخصية المقرى التلمسانى المتوفى سنى ١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م الذى تعتبر حولياته فى تأريخ الأندلس وسيرته لابن الخطيب خير ممهد لرواية الأندلس الزاهرة."

وفى نظرى أن هذا التغير في مجال الكتابة لم يكن قط وليد العصر العثماني، ولكنها تراكمات تاريخية سابقة، وامتزاج أمم صقلها وخلطها الإسلام فى بوتقته لينتج منها أمة إسلامية واحدة ظلت بقايا الماضى عندها قائمة اختلطت بالعربية، وأفرزت لنا هذه المعطيات والنتائج السابقة.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية - م ٩ - ص ١٤٧ .

ومن بين الأمم التى أثّرت تراكماتها وخصوصياتها الباقية بعد دخولها الإسلام :الفرس ، والبربر، والأكراد ، والأتراك الذين كان من بينهم العثمانيين مروراً بالمماليك البرجية ، والبحرية ...الخ.

ونستطيع ايضاً أن نقدم إضافة لما سبق من أن إعادة توزيع القوى السياسة ابتداءاً من القرن السادس عشر كان يشمل أغلب بلدان العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، فقد مد العثمانيون سلطانهم على غربى آسيا وشمال افريقيا حتى تُخوم مراكش ، وإنشاء الصفويين لدولتهم الشيعية المنفصلة في إيران ، وإقامة الشيبانيين دولا أزبكية في وسط آسيا ، وتأسيس دولة في الهند وإقامة الشيبانيين دولاً أزبكية في وسط آسيا ، وتأسيس دولة المُغَل فى الهند ...الخ كل هذه التغيرات وغيرها قد صاحبتها تكتلات واتجاهات ثقافية أخرى تركت طابعها في شتى العلوم ولا سيما التأريخ [1] .

ونلاحظ أن التاريخ قد انحصر في أغلبه في أشكال معينة لم يتجاوزها إلا قليلاً وهي :السير والتراجم فردية وجماعيه وطبقاتهم وما يتصل بهم ، والنوع الثاني : تواريخ البلدان والدول وما يتصل بها أو بالتاريخ العام.

وفيما يلى نستعرض بعضاً من الكتابات التاريخية ومدارسها الأول حتى بداية القرن التاسع عشر الميلادي واتجاهاتها وخصائصها في البلدان العربية طوال العصر العثماني : ـ

أولاً الشام :

فقد نشطت مدرسة السير والتراجم بشكل ملموس في الشام طوال هذا العصر ، ولكنها اتخذت طابعاً قومياً جامعاً بمعنى أنها شملت الكتابة عن الأقطار العربية بدون تفرقة ومثلت بذلك الوحدة الثقافية العربية، وفي حين أنها اتخذت طابعاً محلياً في أغلب الأقطار العربية الأخرى.

---

(١) هاملتون جب - دراسات فى حضارة الإسلام - ص ١٧٧

وقد لاحظنا أن السير قد شملت نواح عدة فمنها ما رُتّب على طبقات، وغطت الكتابة جميع أهل الفنون والمقاصد والعلوم، وكذلك الفرق وأصحاب المذاهب الذين وُضع لكل أصحاب مقصد منهم تراجم مرتبة في طبقات، كما تصدت بعض السير لتراجم الأعيان بشكل عام دون تميزها على طبقة معينة بل شملت جميع الأعيان.

والبعض الآخر من السير عمد مباشرة إلى مشاهير القرن الذى خصصَ له هذه السير أو تلك .

وظلت مدرسة السير والتراجم طوال العصر العثماني في الشام هي الغالبة في كتابة التاريخ العربي، وشكلت سلسلة طويلة من كتب السير والتراجم محتفظة بقوتها ، على عكس الأخبار التاريخية التى تتقلب مع السياسة فالتراجم والسير للمشاهير قائمة لغنى كل فترة تاريخية برجالها وقادتها وعلمائها، ونخص بالذكر هنا مدرسة دمشق على وجه الخصوص التى كان لها باع كبير في هذا المجال .

وقبل أن نشير إلى مصنفات الشاميين نود أن نؤكد على أن مدرسة التراجم فيها لم تقتصر في تراجمها على بلاد الشام، وإنما تناولت تراجم علماء ومشاهير العرب في شتى بلاد الشرق العربي كله.

ومن أشهر من كتب في السير والتراجم :

١ ـ **النعمي الدمشقي** : الذى توفي سنة ٩٢٧هـ / ١٥٢١م ، وكان له من المؤلفات : "الدارس في تاريخ المدارس ."

٢ ـ **ابن طولون الصالحى الدمشقى** : الذى توفى سنة ٩٥٣هـ/ ١٥٤٥م ، وظهرت له مؤلفات عديدة كان أشهرها وأهمها : "أعلام الورى فيمن ولى نائباً من الأتراك بدمشق الكبرى ."

٣ ـ **البورينى الدمشقى** : الذى توفى سنة ١٠٢٤ هـ/ ١٦١٥م ، واشتهر بمجموعة من التراجم الخاصة بالأعيان رتبها على حسب حروف المعجم بعنوان : "تراجم الأعيان من أبناء الزمان ."

٤ ـ **الحلبى القاهرى** : المتوفى سنة ١٠٤٠هـ / ١٦٣٤ م ، وقد صنف في السيرة النبوية وجاءت كتاباته على هيئة ترجمة للنبي محمد ؟ تسمى بالسيرة الحلبية ، ولها عنوان آخر هو : " إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون" .

٥ - **الغزي** : محمد بن نجم الدين الذى توفى سنة ١٠٦١هـ /١٦٥١م، وقد ذكرت له مؤلفات عديدة كان أشهرها وأهمها على الإطلاق : "الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة "التى عمد المصنف في تصنيفها إلى ترتيب تراجم أعيانه على حروف المعجم رغم أنه استثنى المحمديين (مَن اسمه محمد) حيث وضعهم في مقدمة كل طبقة ، وكان اهتمامه أكثر بترجمة علماء الإفتاء والقضاء والشريعة.

٦ ـ **المحبى الدمشقى** : الذى توفى سنة١١١١هـ/ ١٦٩٩م وهو محمد أمين بن فضل الله الذى كان له بعض المصنفات من بينها : " خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر "عنى فيه الغزى بترجمة حياة كبار العلماء والتجار والقضاة الأئمة ، وهو يُلقى الضوء فى مصنفه على أحوال الشام وكذلك مصر، ولا سيما في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين.

٧ ـ **المرادى الدمشقى** : هو محمد خليل المرادى الذى كان مفتياً للحنفية بدمشق، وكانت أعماله التاريخية مكملة لما بدأه كل من النعرى والمحبى من قبله، وعنى في كتاباته تراجمه بالعلماء ، والصوفية ، والنحاة ، والشعراء ، واللغويين ، والمدرسين ، في المساجد والمدارس، واستشهد في كتاباته بمنظومات الشعر، وكذلك النشر، وشملت تراجمه العالم العربي الإسلامى بشكل عام امتداداً من العراق إلى مراكش ...الخ.

ومن كُتّاب التراجم والسير أيضاً محمد بن جمعه الدمشقى وله كتاب : "الباشات والقضاة في دمشق "منذ سنة ١٥١٦م إلى ١٧٤٣م وكذلك ابن القارئ الذى كان "كتاب الوزراء "قد خصصه لمن حكموا دمشق (١) .

ثانياً: مصر

ازدهرت فى مصر أيضاً عملية العناية بكتابات التراجم والسير، ولكنها في الغالب جاءت على المنوال نفسه الذى تحدثنا عنه من عنايتهم بالأسلوب المنمق المستغلق الذى تبدو عليه الكُلفة ، وقد كتب بطريقة الشعر المنثور -كما يُقال- ، ولكن هناك صلة بين هذا النوع وبين التواريخ المكتوبة بالأسلوب السهل المستقيم والبسيط في الوقت نفسه .

وأشهر من يُمثل هذا النوع هو شهاب الدين الخافجى المصري الذى توفى سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م ، واشتهرت كتاباته التاريخية أيضاً إلى درجة أن مؤرخ آخر هو على خان بن معصوم - يبدو أنه هندى قد ألف ذيلاً له فى الهند سنة ١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م، وروى المحبى - الذى أسلفنا الحديث عنه - عن هذا الذيل ، وألف كذلك ذيلاً آخر (٢) .

وثمة ملاحظة في الكتابة التاريخية بمصر في مجال التواريخ العامة أو تواريخ الدول والبلدان ، وهي كثرة هذه المؤلفات ، وظهور مؤرخين كبار أثروا المكتبة العربية بكتاباتهم .

وفيما يلي نعرض لأهم هؤلاء المؤلفين ومصنفاتهم في مصر : -

١ ـ ابن إياس : هو محمد بن أحمد المولود بالقاهرة في منتصف القرن الخامس عشر الذى عاش الفترة ما بين سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م و سنة ١٥٢٤م أى

(١) هاملتون جب - دراسات في الحضارة الإسلامية - ص ١٧٩ .

وانظر د/ حاطوم وآخرون - المدخل - ص ٥٥١ وما بعدها .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية - م ٩ - ص ١٤٨ .

أنه قد عاصر عصرين المملوكي ، والعثماني ، ولذلك يُعده البعض من مؤرخى العصر المملوكى ، إلا أنه توفى فى العصر العثمانى بعد أن كتب عنه ، وعن التنظيمات العثمانية التى استحدثت في مصر والشام.

وقد ساعدته امكاناته المادية من وجود إقطاع له يدر عليه دخلا كافياً من التوفر للتصنيف والكتابة التاريخية ، وكذلك نظم الشعر في المناسبات المختلفة، كما ساعدته هذه الظروف، وعدم حاجته لأحد إلى كتابة التاريخ بصدق، وذكر المساوئ مع المحاسن دون خوف أو رهبة من السلاطين الذين عاصرهم.

أما عن كتابه : " بدائع الزهور في وقائع الدهور "فقد صنَّفه على طريقة الحوليات التى كانت قد شاعت فى عصره، واشتمل على تاريخ مصر حتى سنة ٩٢٨هـ، ونهج نهجاً خاصاً به حيث دون الحوادث شهراً بعد شهر فى الأجزاء التى لم يعاصرها ، ثم اتجه إلى التدوين اليومي في الأجزاء الأخيرة مع التركيز وتفصيل القول عن الحدث الكبير الذى عاصره وهو :فتح العثمانيين لمصر، كما سبق ذلك الحديث عن الأخبار المحلية وأحوال مصر الداخلية فى أواخر عصر المماليك.

وعن اللغة التى كتب بها ابن إياس فقد عمد إلى البساطة في أسلوبه التى جاءت أقرب إلى العامية منها إلى الفصحى، ومع ما فيها من الاختصار والدقة والأمانة في كتاباته، كما يظهر منها عدم تأييده للعثمانيين فاشتملت على نقد لازع (١) .

٢ ـ الإسحاقي : محمد بن عبد المعطى بن أبى الفتح ... المنوفى الشافعى الذى ينسب إلى قرية منوف بمصر، وجمع بين الأدب والشعر، والقضاء والتأريخ حيث قرأ فروع العلم المختلفة على كَثير من أعلام وعلماء عصره فى بلدته، وفي القاهرة التى تردد عليها كثيرا، وله كتاب تاريخي عُرف بتاريخ الإسحاقي هو :

(١) ابن إياس (محمد بن أحمد) ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور - تحقيق د /محمد مصطفى - القاهرة - ١٩٦٣م .
وانظر : د/ حاطوم ـ المدخل ـ ص ٥٥٥ .

"لطائف أخبار الأوَل فيمن تصرّف في مصر من أرباب الدول "فرغ من تصنيفه سنة ١٠٣٣ هـ .

رتب الإسحاقى كتابه موزعاً على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة ، وهذا الكتاب قد طبع عدة طبعات كان آخرها طبعة المطبعة الشرفية بالقاهرة سنة ١٣٠٣هـ، وعمد فيه الإسحاقى إلى تتبع كل حكام مصر منذ الفتح الإسلامى لها إلى أوائل القرن الحادى عشر الهجرى.

وفى مقدمته يبدأ الإسحاقى بالحديث عن فضائل مصر، وما ورد بشأنها في كتاب الله (القرآن الكريم) ، وتناول بعض الأحاديث النبوية الصحيحة لذكرها ، ثم ينقل إلى التاريخ المصرى ومَن تولى حكمها منذ أيام الخلفاء الراشدين ، وتعاقب الدول ، وكذلك الحكام عليها حيث ذكر كل حاكم ميلاده (إن أمكن)ووفاته وموجز مختصر عنه دون تفاصيل كثيرة عن حياته أو أعماله [١] .

فمن ذلك مثلاً حديثه عن السلطان قايتباى فإنه يشير لمساهمات قايتباى في تعمير الحجاز ببناء مدرسة ملاصقة للحرم المكى، وصرف الأموال الكثيرة عليها، وتعمير الحرم المكى بعد أن شبّت فيه النيران، وأنه أوقف عدة قرى بمصر لتحمل غلالها إلى المجاورين كل عام [٢] .

وفى مصر أيضاً ظهر مجموعة تعاطوا كتابة التاريخ رغم أنهم لم يشتغلوا بالعلم ، ولم يتفرغوا له ، بل كانوا من الأجناد أو الموظفين الحكوميين، فكتبوا ما يشبه اليوميات أو المذكرات ، وعمدوا إلى وصف عصرهم، ولكنهم كتبوا أوراقهم هذه دون ترتيب أو تنظيم فلم تكن لديهم ملكة الكتابة التاريخية أو معرفة بمنهجها وطريقتها فجاءت ركيكة تنقصها الصنعة والحبكة التاريخية ، فهى كتابة شعبية تفتقد إلى الخطة والترابط بين أجزائها ، إلا أننا ندين لهم بنقل

(١) الإسحاقى - (محمد بن عبد المعطى) ـ أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول - المطبعة الشرفية - ١٣٠٣هـ - القاهرة.

(٢) الإسحاقى - أخبار الأول - ص ١٥٠ .

الأخبار والأحداث التى لم يعرف تفاصيلها غيرهم بحكم معاصرتهم ومشاركتهم في الأحداث كذلك واطلاعهم على بعض الوثائق .

ومن هؤلاء المؤرخين نذكر مثالاً لهم :

ابن زنبل الرمال :

وهو موظف في ديوان الجيش العثماني حيث ظل في عمله حتى وفاته سنة ٩٦٠هـ/١٥٥٥٣م واسمه / أحمد بن أبى الحسن على بن أحمد، ويبدو أن لقب الرمال الذى لحق به جاء من تعاطيه ضرب الرمل والتنجيم ، وكان ممن رافقوا السلطان سليم إبان فتحه لمصر، وأمره سليم بحضور جنازة السلطان طومان باى (آخر حكام مصر من المماليك)وتوزيع الصدقات على روحه.

ومن مؤلفات ابن زنبل كتاب عن الفتح العثمانى وحوادثه بعنوان : " تاريخ أخذ مصر من الجراكسة "يُعد مصدراً اساسياً لهذا الفتح وتحركات جيش قانصوه الغوري من جهة والسلطان سليم من جهة أخرى.

وله كتاب آخر باللغة التركية تحدث فيه عن حكام مصر من العثمانيين فى زمنه، ونظراً لأن القرن الثامن عشر الميلادي قد حفل بصراعات بين الأجناد وحروب أهلية متتالية في مصر ، ثم خُتم القرن بالغزو الفرنسى أدى ذلك إلى فقدان العديد من كتابات الجند، وكثير من كتاب المؤرخين التاريخية [١] .

(١) د/ حاطوم وآخرون - المدخل - ص ٥٦٠ - ٥٦١ .

التأريخ في القرنين التاسع عشر والعشرين بمصر والشام

أولاً : في مصر

قامت حركة التأليف التاريخي في القرن التاسع عشر بمصر على يد مجموعتين مختلفتين :

الأولى : من حصروا أنفسهم او أعدوا العدة للكتابة التاريخية، وهؤلاء يمثلهم الجبرتي، ورفاعة الطهطاوي.

الثانية : وهي الأكثر والأغلب من تأثروا بألوان عديدة من العلوم والفنون كالهندسة والأدب والقانون، والعلوم الدينية ، ومجال الحرب ، ثم اتجهوا مع ذلك للكتابة التاريخية.

وفي نهاية الربع الأول من القرن العشرين أرسلت بعثات من خريجي مدرسة المعلمين العليا إلى بعض جامعات أوربا خصيصاً لدراسة التاريخ والتخصص فيه، وفي سنة ١٩٢٥م بدأت الجامعة المصرية تفتح أبوابها ، وأنشأ فيها قسم للتاريخ لدراسة أغلب فروع التاريخ ، وقام بالتدريس فيه مجموعة من أساتذة التاريخ الأوربيين، وشاركهم مجموعة من المعلمين المبعوثين بعد عودتهم، حيث أصبح الأخيرون نواة المدرسة التاريخية فى مصر.

وفيما يلى نستعرض بعض هؤلاء حيث نبدأ بأشهرهم وأعظمهم على الإطلاق فى القرن التاسع عشر: ـ

عبد الرحمن الجبرتي

ولد عبد الرحمن الجبرتي في حوالى سنة ١٧٥٤م، وكان أبوه من كبار علماء الأزهر متبحراً فى علوم عديدة على رأسها : علوم الشرع والهندسة والحساب والجغرافيا ، ولذلك فقد درس مؤرخنا على أبيه ، وغيره من مشايخ وعلماء عصره، وأتاحت له الثروة المالية التى خلفها له أبوه ،

والثروة العلمية فى مكتبته أن تفرغ للدراسة والتحصيل ثم الكتابة التاريخية التي كان لها سبب على ما يبدو .

وقبل أن نذكر السبب تجدر الإشارة إلى أن الجبرتي قد ظهرت له مجموعة من المؤلفات أولها وأشهرها "عجائب الآثار في التراجم والأخبار "الذى سيأتى الحديث عنه، وكتاب " :مظهر التقديس في زوال الفرنسيس "، والكتابان السابقان مطبوعان عدة طبعات ، أما الثالث فهو مازال مخطوطاً بعنوان " : تاريخ مدة الفرنسيس بمصر من سنة ١٢١٣ إلى ١٢١٦هـ "، ولكن أستاذنا الدكتور /مصطفى رمضان قد قام بعمل دراسة على هذا المخطوط قدمها لندوة الجبرتى التى عقدت بالقاهرة سنة ١٩٧٤م (١) .

واتصل الجبرتي بعلماء الحملة الفرنسية فأعجب بعلومهم ومنهجهم ، ونظراً لعلاقته بهم واتصاله بالفرنسيين فقد عيّنه الجنرال)مينو (عضواً في الديوان.

والجبرتي نفسه يذكر أن سبب تصنيفه كتابه " :عجائب الآثار في التراجم والأخبار "يرجع إلى أن المرادى) "المؤرخ الشامى (قد أرسل إلى الشيخ محمد مرتضى الزبيدى (أستاذ الجبرتي) يطلب منه إمداده بتراجم مشاهير وعلماء المصريين الذين عاشوا في القرن الثانى عشر (٢) ، فكلف الزبيدى تلميذه

الجبرتي الذى جمع ما تمكن من جمعه وحمله إلى أستاذه ، فأرسل الزبيدى بعضها ، واحتفظ بالبعض الآخر انتفع به فى وضع معجمه : " معجم المختص"، وبوفاة الزريدى اشترى الجبرتي بعض تراثه العلمي والأدبى عندما بيع بالمزاد .

استفاد الجبرتى بأوراق ومسودات أستاذه في تأليف كتابه " :عجائب الآثار"، على الرغم من جمعه هذه وغيرها لإرسالها إلى المرادى الذى وافاه القدر

(١) د/ مصطفى محمد رمضان – تاريخ الحركة الوطنية وجذور النضال المصرى – القاهرة – ١٩٨٥م – ص ٣٩.

(٢) فقد ذكرنا من قبل أن مؤرخى الشام كانوا يتناولون في تراجمهم أشخاص من أغلب الدول العربية من علماء ومشاهير شملت الشرق العربي كله.

ومات هو الآخر فأهملت الأوراق عند الجبرتي حتى جاءه حافز وباعث نفسى دفعه إلى إعادة ترتيبها وإضافة مستجدات الأحداث إليها حتى كوّن تاريخه العظيم الذى خلد اسمه بين المؤرخين الجادين الثقاه [١] .

فقد عاصر الجبرتي عهوداً ثلاثة :

(١) عهد استئثار البلكوات المماليك بالحياة السياسية في مصر، وصراعهم عليها، مع هامش السيادة العثمانية قبيل الحملة الفرنسية على مصر،

(٢) عهد الحملة الفرنسية التى كان ينظر لها بشئ من الاعتدال وبعض التقدير لأعمالهم العلمية، فترة وجودها،

(٣) فترة حكم وعهد محمد على باشا حتى وفاة الجبرتي سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٥م.

وأصدر الجبرتي رأيه وأحكامه فى العهود الثلاثة حيث حرص فيها على توخى الصدق قدر استطاعته دون نفاق أو مداهنة [٢] .

وقد بدأ الجبرتي كتابه من الخليقة بإشارات سريعة ومثلها لصدر الإسلام فالدولة الأموية فالعباسية فالأيوبية فالترك المماليك والعثمانيين إلى أن يصل

إلى القرن الحادي عشر الهجرى يبدأ في زيادة متابعته للأحداث بشئ من التفصيل.

وتناول فيه :بتوسع أكثر أحداث عصره صغيرها وكبيرها وحياة الناس أفراحهم وأتراحهم بطريقة سهلة مبسطة يفهمها العامة والخاصة مع دخول بعض ألفاظ تركية وفارسية وغيرها، وربما كان ذلك بسبب شيوع هذه الألفاظ في عصره [٣] .

---

(١) د/حاطوم - المدخل - ص ٥٧١ ، ٥٧٢ .

(٢) د/ مصطفى محمد رمضان - تاريخ الحركة الوطنية وجذور النضال المصرى - ص ١٢٥ .

(١) الجبرتي - عجائب الآثار في التراجم والأخبار .

وعمد الجبرتي إلى نقد الحكام الظالمين ، ولاسيما مراد بك، ومحمد على باشا الذى نال منه أشد أشكال المعارضة، ونقداً لازعاً، ووصفه بالظلم، والاستبداد ونهب الأموال والممتلكات التى في أيدي الناس ، فسلط عليه قلمه، وعلى أعوانه وعلى العلماء الذين كانوا يسيرون في فلك محمد على مثل السيد /عمر مكرم وغيره الذين نالوا أيضاً من قلم الجبرتي نقداً شديداً.

وقال أيضاً عن إبراهيم باشا بن محمد على بأنه : " شاب مغرور لم يؤدبه مؤدب "، وكان الجبرتي يصف أحوال الناس ومعاناتهم من الحكام والقادة، ولاسيما من محمد على ، وابنه إبراهيم ، وكذلك سليمان أغا السلحدار الذى كان يستولى على كثير من دور القاهرة وأوقافها لنفسه (١) .

وليس أدل على ذلك من صدق الجبرتي وشجاعته وتحريه الدقة ، ناهيك عن عدم اعتباره لعوامل الترغيب والترهيب التى تجعل الكثيرين يغيرون في شأن التاريخ ، ولا سيما عندما يتعرضون للحاكم الذى يعاصرونه ويخشون بطشه.

كما يُلاحظ على الجبرتي دقة تصويره للمعارك وللحروب ولأشكال المقاومة فعلى سبيل المثال لا الحصر نجده يصور معارك المقاومة المصرية التى أيدها الحجازيون وشاركوا فيها بأعداد كبيرة ضد الحملة الفرنسية في الصعيد المصرى أبلغ تصوير (٢) .

وكذلك الحال فى تصويره التاريخي لمعارك جيوش محمد على في شبه الجزيرة العربية ولاسيما معركة : "ممر الصفراء" التى قُضى فيها على ثلثي الجيش المصري فيقول في تصوير جانب منها على لسان أحد ضباط جيش محمد على :"لقد قال لى بعض أكابرهم من الذين يدّعون الصلاح والتورع أين لنا بالنصر وأكثر عساكرنا على غير الملة ؟ ، وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل

(٢) د/مصطفى محمد رمضان - تاريخ الحركة الوطنية - ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

مذهباً ، وصحبتنا صناديق المسكرات ، ولا يُسمع في عرضتنا آذان ، ولا تقام به فريضة ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين والقوم [1] إذا دخل الوقت أذن المؤذنون وينتظمون صفوفاً خلف إمام واحد بخشوع وخضوع، وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائم أذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف [2] ....الخ).

وأمام كل هذا النقد اللازع لمحمد على وقادته لم يتركه الأخير ، ولكنه جعله يُسدد فاتورة نقده فأوعز إلى رجاله الذين قتلوا ابنه غدراً فى شارع شبرا ليلة السابع والعشرين من رمضان سنة ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م [3] ، ليس هذا فحسب بل عمدوا إلى دار الجبرتي فأحرقوها ، وعلمه فصادروه ، وعمره فأضاعوه حيث مات كمداً على ابنه وداره وعلمه في سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٥م [4] .

والغريب أيضاً ما يُذكر من أن محمد على قد كلّف الشيخ محمد العروسى شيخ الجامع الأزهر أن يُسند إلى أحد العلماء مهمة تصنيف كتاب تاريخي يُعارض به كتاب الجبرتي، فكانت المهمة من نصيب خليل أحمد الرجى الشافعى الذى كتب تاريخاً أفاض فيه كثيراً في مدح محمد على ومنشآته وتعميراته بأسلوب وألفاظ التزم فيها بالسجع الممل، وأفرط في مدحه لمحمد على تزلفاً إليه، ولذلك لم

(١) انظر تفاصيل ذلك عند :
الجبرتي – عجائب الآثار في التراجم والأخبار – ج٣ – ص ٦١ .
وانظر :د/سعد بدير الحلوانى – العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن ١٩ – ط٢– القاهرة – ١٩٩٥م – ص ١٧ ومابعدها .

(٢) يقصد السعوديين السلفيين.

(٣) الجبرتي – عجائب الآثار – جـ٤ – ص ٢٠٠ .
وانظر : د/سعد الحلواني – العلاقات – ص ٥١–٥٢ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية – م ١١ – ص ٦٤ .

(٥) د/سعد الحلواني – العلاقات – ص ٤٩ ، ٥٠ .

يُكتب لهذا التاريخ البقاء أو الذيوع فمازال مخطوطاً في دار الكتب المصرية بالقاهرة [1] .

الشيخ / عبد الله الشرقاوى:

وهو عبد الله بن حجازى المولود في سنة ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م وكانت وفاته بالجامع الأزهر وسط حشد كبير في سنة ١١٥٧هـ /١٨١٢م، وله مصنف تاريخي سماه : "تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين"، وله أيضاً : " التحفة البهية في طبقات الشافعية "، وقد تولى الشيخ عبد الله منصبين كبيرين هما : "مشيخة الأزهر ، ورئيس الديوان الذى شكله نابليون بونابرت في مصر.

ومن مصنفى التاريخ في القرن التاسع عشر أيضاً : ـ

الشيخ / اسماعيل الخشاب:

وله كتاب مخطوط اسمه " :تاريخ حوادث "وقعت بمصر من سنة ١١٢٠هـ/١٧٠٨م .

والشيخ / خليل ابن الرجبي:

الذى وضع كتاباً مخطوطاً بعنوان : "تاريخ محمد على باشا " .

ورفاعة الطهطاوي:

الذى عاش في الفترة من ١٨٠١م ، ١٨٧٣م وانتهى من دراسته بالأزهر سنة ١٨٣٤ ثم أرسل ضمن ثلاثة من الأئمة للبعثة العلمية التى أوفدها محمد على إلى فرنسا فتعلم الفرنسية ، واحتك بالغرب بوعي وفطنة فنقل ووصف ما رآه في باريس وترجم الدستور الفرنسى إلى العربية، كما كتب مؤلفه : " تخليص الإبريز إلى تلخيص باريز " .

---

(١) د/مصطفى رمضان - تاريخ الحركة الوطنية - ص ١٣١ .

وللطهطاوي كتاب آخر سماه : " أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بنى إسماعيل "قدمه للخديوي إسماعيل ، وطبع سنة ١٢٨٥م.

ومن كبار رواد التأليف التاريخى في القرن التاسع عشر : ـ

على باشا مبارك:

وهو على بن مبارك بن سليمان الروجى – الوزير المصرى العالم والمؤرخ والعسكرى ، ويُشهد له بالعصامية والنبوغ.

فقد ولد على مبارك بقرية برنبال التابعة للدقهلية بمصر المحروسة سنة ١٢٣٦هـ أو ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٤م، وأجاد اللغة العربية وحدقها ، وكذلك بعض الفنون والعلوم ، أهلّته للانخراط ضمن بعثة مصرية لدراسة بعض الأعمال العسكرية والتدريب عليها ، فدرس فن الاستحكامات ، وكيفية التعامل مع المفرقعات ، والأمور الحربية الأخرى.

وعندما عاد على مبارك إلى مصر تقلد مناصب عديدة حتى بلغ مرتبة الأميرالاى، وحضر الحرب التركية الروسية سنة ١٢٧٠هـ، ثم تقلد عدة وزارات (نظارات (فعُين ناظراً للأوقاف المصرية مع إضافة نظارة المعارف إليه، فأنشأ العديد من المدارس ، كما أنشأ دار الكتب المصرية) الهيئة المصرية العامة للكتاب) ، كما تولى نظارة الأشغال العامة سنة ١٢٩٧هـ إلى أن شبّت ثورة أحمد عرابى فاستقال مع زملائه ، وتوفى بالقاهرة سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م .

أما عن أعمال على باشا مبارك العلمية والتاريخية فأشهرها وأعظمها كتابه:

"الخطط التوفيقية الجديدة "الذى أخرجه في عشرين جزءاً ، وهو امتداد أو مشابه لخطط المقريزى التى صُنفت في القرن الخامس عشر حيث اتخذ مبارك كتاب المقريزى أساساً لكتابه، ثم انطلق مستعرضاً المدن والقرى والمراكز المصرية، يسجل حالها وما حدث لها من تطور وتغيُر بالطريقة العلمية حيث نهج المنهج التوثيقي بالنقوش ، وإيراده ما اعتمد عليه من حُجج أملاك، والأوقاف.

كما اعتمد على المصادر العربية القديمة ، وبعض الفرنسية، حيث يظهر من كتاباته اطلاعه الواسع على ما كتبه الأوربيون ، ولا سيما المستشرقون عن تاريخ مصر، كما أنه لم يغفل الاكتشافات الأثرية في عصره، وعنى بطبوغرافية المدن والقرى المصرية منذ العصور القديمة ، فوصف خططها

ومرافقها ومبانيها، ومساجدها وكنائسها، ومدارس ومصانعها، وما أصاب كل ذلك من تغير.

كما ترجم لمشاهير كل المدن ومن عاش فيها من علماء وأعيان ...الخ، واعتمد في ذلك على الجبرتي لمن عاشوا قبل عصر مبارك ، أما معاصروه فقد ترجم لهم من خلال جهوده فظهرت لنا ترجماتهم لأول مرة.

ومن أعمال على مبارك العلمية ترجمته لكتاب : "خلاصة تاريخ العرب "للمستشرق الفرنسي " :سيديو "، وله أيضاً كتاب : "حقائق الأخبار في أوصاف البحار "، وكذلك : " نخبة الفكر في نيل مصر "، وغيره من الأعمال والمؤلفات [١] .

وفي القرن العشرين برز مجموعة كبيرة من المؤرخين كان على رأسهم الأستاذ /عبد الرحمن الرافعى الذى خلد اسمه بسلسلة : " تاريخ الحركة القومية في مصر "، والأستاذ /عبد الله عنان الذى عنى كثيراً بتاريخ الأندلس والمغرب العربى ، والأستاذ /محمد رفعت ، والأستاذ أحمد أمين بضحى الإسلام وزعماء الإسلام ، وهؤلاء كانوا من خارج العمل الجامعي الاكاديمي.

كما ازدهرت في مصر المدرسة التاريخية الحديثة والمعاصرة التى برز فيها من جامعة الأزهر أبرز المعدودين في العالم في الدراسات التاريخية التركية والعربية

(١) الزركلى - الأعلام - م ٤ - ص ٣٢٢ .
وانظر: د/حاطوم - المدخل - ص ٥٧٣ وما بعدها .

الدكتور /عبد العزيز الشناوي بسعة علمه واطلاعه ومصنفه الضخم في التاريخ الحديث " :الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها" ، ومؤلفاته وأبحاثه الأخرى ، وعاصره الدكتور /محمد الطيب النجار الذى تولى رئاسة جامعة الأزهر مرتين متتاليتين ، والدكتور شعوط ، وكذلكالدكتو/محمد شتا زيتون – رحمة الله عليهم جميعين : ـ

ومن الجيل الحالي الذين أثرو المكتبة العربية يأتى في المقدمة الدكتور/ مصطفى محمد رمضان رئيس قسم التاريخ الحالى (بنين) بمؤلفات عديدة حيث كتب في تاريخ الحركة الوطنية ، وفي تاريخ العالم الإسلامي وغير ذلك ، والدكتورة /فتحية النبرواى رئيسة قسم التاريخ (بنات) ولها مؤلفات عديدة في التاريخ الإسلامى تزهر بها المكتبات العربية.

وفى مقدمة هذا الجيل أيضاً الدكتور /السيد محمد الدقن الذى أثرى المكتبة العربية والإسلامية بمؤلفاته مثل : " كسوة الكعبة المعظمة "، و "سكةحديد الحجاز الحميدية "، وله دراسات فى تاريخ الدولة العثمانية، ودراسة أخرى عن طومان باى (آخر سلاطين المماليك) ، والدكتور /محمود صالح منسى بمؤلفاته عن قناة السويس وفي التاريخ العربى .

ومن كبار الأساتذة فى التاريخ الإسلامى وكذلك الحديث فى هذا الجيل أيضاً الدكتور/ عبدالشافىعبداللطيف ،والدكتور/ محمدجبرأبوسعده ، والدكتور/عبد العزيز غنيم ، والدكتور/عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، والدكتور/عبد الجواد صابر إسماعيل ، والدكتور /نعمان الطيب ، والدكتور / محمد نيسان عميد كلية لغة عربية أسيوط ، والدكتور /السعيد رزق حجاج ، أستاذ التاريخ الحديث بآداب الدمام والأزهر ، والدكتور /مجاهد الجندى ، والدكتور /محمد أمين ، والدكتور /محمد على حله ، والدكتور /حسين الهنيدى،

والدكتور /محمد أحمد حسب الله ، والدكتور /محمد المنسى عاصى ، والدكتور / حسين يوسف دويدار ، والدكتور /عبد الرازق القرموط بجامعتى الإمام والأزهر، والدكتور /محمد صابر عرب ، والدكتور /شحاته إسماعيل ، والدكتورة /ليلى عبد اللطيف ، والدكتورة /إلهام ذهنى.

وفى الجامعات المصرية ظهرت كوكبة من علماء وأساتذة التاريخ أذكر منهم :ـ

الدكتور/محمد شفيق غربال بتحليلاته ، وعلمه الغزير ، والدكتور/محمد مصطفى زيادة ، وعملاق الكتابة التاريخية في العصور الوسطى الدكتور/سعيد عبد الفتاح عاشور، والدكتور /حسنين ربيع نائب رئيس جامعة القاهرة، والأستاذ/ عبد الحميد العبادي ، والدكتور /إبراهيم نصحى ، والدكتور /محمد فؤاد شكرى ، والدكتور/جمال الدين الشيال ، والدكتور/السيد سالم ، والدكتور/يونان رزق، والدكتور /محمد السروجي ، والدكتور/عبد الحميد البطريق، والدكتور/عبد العزيز نوار، والدكتور/السيد الناصرى ، والدكتور/رؤوف عباس ، والدكتور/فاروق اباظه، والدكتور/عبد المنعم إبراهيم الجميعي ، والدكتور/عبد الحليم عويس، والدكتور/أحمد شلبى ،والدكتور/جلال يحيى ،والدكتور/جمال زكريا ، والدكتور/سعد زغلول ، والدكتور/محمد أنيس ، والدكتور/عبد المنعم ماجد ، والدكتور/أحمد عبد الحميد عيسى ، والدكتور/شوقى عطا الله الجمل ، والدكتور /السيل فليفل ، والدكتور/قاسم عبده قاسم ، والدكتور/عاصم الدسوقى ، والدكتور/جوزيف نسيم ، والدكتور/السيد رجب حراز ، والدكتورة /السيده كاشف، والدكتورة /زينب عصمت راشد ، والدكتور /محمد عبد الرؤوف سليم ، والدكتور/محمد عبد الرحمن برج ،والدكتور/محمد كمال يحيى حامد ، والدكتور/عبد الله عبد الرازق.

مؤرخو الشام ومصنفاتهم:

تميزت منطقة الشام بوجود نخبة أثرت بكتاباتها التاريخية المكتبة العربية وبوجود مجموعة متباينة مسلمين ونصارى فى سوريا ولبنان ، وبعضهم كان يعمل فى خدمة الأمراء والباشوات في الولايات الشامية حيث مثّل التاريخ جانباً من جوانب اهتمامهم الأدبى والثقافى وذلك في القرنين التاسع عشر والعشرين.

نذكر من هؤلاء المؤرخين : ـ

إبراهيم العورة:

الذى ولد في عكا أواخر القرن الثامن عشر، وكان أبوه ممن عملوا في ديوان الجزار ثم ديوان سليمان باشا ، ونظراً لبراعة إبراهيم فى الكتابة فقد ألحق بكتاب الديوان سنة ١٨١٤م ، وتمكن من جمع حوادث بلاد الشام في كتاب سماه " : تاريخ ولاية سليمان باشا العادل ."

حيدر أحمد الشهابي:

الذى عاش في الفترة بين سنة ١٧٦١م، سنة ١٨٣٥م، وهو من أفراد الأسرة الشهابية التى كانت تحكم في بلاد الشام، وكانت له مهام سياسية أهّلية للاطلاع على أسرار الحياة السياسية فى بلاد الشام ، وسجل تاريخاً لجبل لبنان وأسرته في كتاب بعنوان " :العزر الحسان في أخبار أبناء الزمان ."

طنوس الشدياق:

وهو الشيخ طنوس بن يوسف بن منصور المولود سنة ١٧٩١م ، وعمل قاضياً على النصارى في جبل لبنان ، ومن أعماله موسوعة تاريخية عن عائلات جبل لبنان النبيلة سماها " :أخبار الأعيان في جبل لبنان "شمل جوانب جغرافية ، وأنساب العائلات اللبنانية الكبيرة، وتاريخها السياسى ..الخ.

وهناك أيضاً نقولا الترك (١٧٦٣ ـ ١٨٢٨)، وله كتابان هما :تاريخ " أحمد باشا الجزار "، و "تملك جمهور الفرنساوية الأقطار الشامية والمصرية"، وميخائيل الدمشقى الذى كتب من أحداث سوريا في شكل حوليات منذ سنة ١٧٨٢م إلى سنة ١٨٤١م ، نعمان بن عبده القساطلى الدمشقى الذى كتب عن دمشق كتاب " :الروضة الغناء في دمشق الفيحاء " .

وكذلك عيسى اسكندر المعلوف الذى ألف كتاباً بعنوان " :تاريخ مدينة زحلة "، والترمانينى :عبد السلام بن محمد نور الدين مفتى الشافعية بحلب وابن مفتيها ولد بها سنة ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٣م ، وتوفى فيها سنة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م، وأقام بالأزهر في القاهرة ستة عشر عاماً نهل من علومه وتتلمذ على أساتذته فأنتج لنا كتاباً ورسائل منها : " ذخائر الآثار فى تراجم رواة الحديث والآثار"، وله كذلك : "بهجة الجلاس في مذاكرة الأنفاس "، و "تذكرة الحفاظ في الحديث "، وله كذلك مجموعة مراسلات.

ومن مشاهير كتاب التاريخ في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين في الشام جورجى زيدان(١٨٦١ ـ ١٩١٤م)، ومن أهم مصنفاته : " تاريخ التمدن الإسلامي "، و "تاريخ العرب قبل الإسلام "، ولكن الأخير لم يتم.

ومنهم أيضاً :الشيخ كامل العزى الحلبى المولود (١٨٥٢ ـ ١٩٣٣م) صاحب كتاب : "نهرالذهب في تاريخ حلب . "

والشيخ عبد الرازق البيطار (١٨٣٧ ـ ١٩١٤م) الذى ألف كتاب " :حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر " .

والشيخ محمد راغب الطباخ صاحب كتاب " :اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء "، وكذلك الأمير /شكيب أرسلان (١٨٦٩ ـ ١٩٦٤) صاحب المؤلفات العديدة التى أغنت وأثرت المكتبة العربية بها.

ومحمد كرد على (١٨٧٦ ـ ١٩٥٣) الذى ألف كتابه : " خطط الشام "، وهناك أيضاً :رفيق العظم (١٨٦٥ ـ ١٩٢٢) الذى هاجر إلى مصر فراراً من العثمانيين وله كتاب : "أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة "، و "البيان في التمدن والعمران " .

ومن مشاهير مؤرخى القرن العشرين كذلك :أمين الريحاني :والذى نعرف له من مؤلفاته :" الأعمال العربية الكاملة "ملوك العرب "، "نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ملك الحجاز.

وبعد إنشاء قسم التاريخ في جامعة دمشق بكلية الآداب سنة ١٩٤٦م شهد القسم انتاجاً تاريخياً غزيراً حمل العبء في انتاجه أساتذة كبار ، وفي لبنان كذلك، والجامعة الأردنية ، وكذلك مجموعة الجامعات الخاصة التى أنشئت حديثاً في الأردن ونحص بالذكر من الأساتذة في بلاد الشام :

الدكاترة /نور الدين حاطوم ، ونبيه عاقل ، وأحمد طربين ، وصلاح مدني ، ونيقولا زيادة ، وأسد رستم ، وقسطنطين زريق ، وعمر فروخ ، ونبيه فارس، وعادل إسماعيل ، وعبد الكريم غرابية وغيرهم كثيرون أثروا التاريخ العربى والإسلامي بفكرهم وإنتاجهم التأريخي [1] .

مؤرخو الجزيرة العربية ومصنفاتهم :

كان لظهور دعوة بن عبد الوهاب الإصلاحية في شبه الجزيرة العربية أثر عظيم في انتشار العلم والدراسات الإسلامية الصحيحة بعيداً عن الأباطيل والترهّات التى ألحقها البعض بالإسلام ، وبالتاريخ الإسلامي على وجه الخصوص ، وفي

---

(١) د/ حاطوم وآخرون – المدخل – ص [illegible] [illegible] بعدها .
وانظر الزركلى – الأعلام – م ٤ – ص ٨ .

أعقاب ذلك عكف العديد من المؤرخين في القرنين التاسع عشر والعشرين على التأريخ لهذه الحركة الإصلاحية السلفية، ولشبه الجزيرة، وكذلك الكتابة في التاريخ العربي الإسلامي ، ومن هؤلاء نذكر : -

١ - الشيخ حسين بن أبى بكر غنام :

يُعد ابن غنام من أوثق المصادر الأولى التى سجلت التاريخ والحوادث التى أعقبت دعوة ابن عبد الوهاب الإصلاحية (السلفية) فقد استدعاه الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد إلى عاصمته الدرعية في حوالى سنة ١٢١٨هـ لتدريس اللغة العربية فقام بمهمته خير قيام بضع سنوات .

وفي الوقت نفسه أخذ فى تدوين تاريخ الدعوة بداية من وصفه لحالة البلاد الإسلامية من الناحية الدينية إبان دعوة الإمام، وترجمة خاصة به، مع بعض رسائله جمعها فى كتاب أطلق عليه : " روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام "، وبعده صنف كتاباً اشتمل على غزوات آل سعود فى مناصرة الدعوة ونشرها فى شبه الجزيرة وغيرها وعنوانه " :كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية "، وتوفى ابن غنام سنة ١٢٥٥هـ.

٢ـ الشيخ عثمان بن بشر :

هو عثمان بن عبد الله بن عثمان من قبيلة بنى زيد القحطانية التى سكنت بلدة شقراء من بلدان الوشم ، وتوفى في سنة ١٢٨٨هـ ، وكان سبب تدوينه التاريخ النجدى أنه وجد الحوادث السابقة على قيام دعوة ابن عبد الوهاب غير مترابطة فيما بينها، وكانت عبارة عن متفرقات فعكف على وضع كتابه " :عنوان المجد في تاريخ نجد "، عنى فيه بجمع أحداث ووقائع آل سعود ، ورتب الأحداث على حسب السنين.

٣ـ أحمد بن زينى دحلان :

ولد بمكة سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٧م الذى توفى سنة ١٣٠٤هـ /١٨٨٦م بالمدينة المنورة، وقد نال علومه بمصر عندما بعث به أبوه إلى القاهرة حيث

تتلمذ على يد مجموعة من كبار علماء الأزهر، وبعد أن بلغ ما بلغ من العلم تتلمذ عليه بعض طلاب الأزهر وأجازهم حيث لاحظنا في إحدى المخطوطات بدار الكتب المصرية ما يفيد ذلك، وممن أجازهم ابن زيني دحلان :الشيخ عبد الفتاح بن عبد الرحمن الدمياطي، والشيخ عبد الله الشرقاوي ، والشيخ محمد الأمير المالكي وغيرهم.

وابن زيني له من المؤلفات : " خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام " الذي تناول أخباراً خاطفة عن الأمراء والدول التي حكمت الحجاز وبعض أخبار الأشراف وصراعهم على السلطة، كما تناول بعض أحداث الصراع السعودي الهاشمي على الحجاز. ولكنه أخذ جانب الأشراف فيه ، ومن مؤلفاته أيضاً : "الجداول المرضية في تاريخ الدولة الإسلامية "، وله أيضاً : " الفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وأهل البيت الطاهرين ."

٤ - محي الدين العيدروس:

المتوفى سنة ١٠٣٧ وله من المصنفات معجم التراجم سماه "النورالسافر في أخبار القرن العاشر [١] .

---

(١) انظر ما سبق في :

مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم ٢٤٦ مصطلح الحديث - إجازة من الشيخ أحمد بن زيني دحلان الملكي إلى الشيخ عبد الفتاح الدمياطي.

وانظر :عبد الواسع بن يحيى الواسعي - الدر الفريد الجامع لمتفرقات الأسانيد - القاهرة - ١٣٥٧هـ - ص ٧٨ .

و :أحمد بن زيني دحلان - خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - ١٣٩٧هـ.

و :د / حاطوم - المدخل - ص٦٠١ ، ٦٠٢ .

و :خير الدين الزركلي - الأعلام - م ١ - ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

وانظر :د /سعد الحلواني - العلاقات - ص ١٦٩ ، ١٦٦ .

وظهر مجموعة أخرى في أواخر القرن التاسع عشر والعشرين أثروا مجتمع شبه الجزيرة مثل : الشيخ إبراهيم بن صالح النجدى صاحب كتاب:" عقد الدُرر فيما وقع فى نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر."

وكذلك :الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن وله مصنف : " تذكرة أولى النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان."

وكذلك :أحمد السباعى الذى أطلق عليه مؤرخ مكة لكتابه : "تاريخ مكة : ، وحسين بن محمد نصيف صاحب كتاب: " ماضى الحجاز وحاضره "،وعبد القدوس الأنصارى صاحب : "موسوعة تاريخ جدة "وغيرها.

وبإنشاء أقسام التاريخ في الجامعات السعودية برز مجموعة كبيرة من أساتذة علم التاريخ الذين أثروا المكتبة العربية بمؤلفاتهم وكذلك غيرهم ممن كانوا خارج العمل الأكاديمي الجامعي نذكر من هؤلاء وهؤلاء - :

الدكتور/عبد العزيز الخويطر الذى تقلد وزارة التعليم العالي ، والدكتور /عبد الله العثيمين صاحب كتاب " :تاريخ المملكة العربية السعودية "والدكتور/عبد الرحمن الأنصاري عميد آداب سابق والدكتور /الشبل ، والدكتور /غيثان بن جريس رئيس قسم التاريخ بتربية أبها وله مؤلفات عديدة عن تاريخ عسير وغيرها ، والدكتور/محمد سعيد الشعفى ، والدكتور /محمد الزيلعى ، والدكتور/محمد عبد الله آل زلفة ، والدكتور/إسماعيل البشرى ، والدكتور/عبد اللطيف بن دهيش.

مؤرخو العراق في العصر الحديث:

اتسم العراق بحالة من التقلبات والحروب والثورات المتصلة التى لم تهدأ طوال العصر العثماني، الأمر الذى تأثرت به الكتابات التاريخية، وكان الصراع الداخلى بين الشيعة وأهل السنة مكملاً للصراع الدولى على العراق، ومع ذلك فلا نجد فرقاً كبيراً أو اختلافاً بين مصنفات العراق ومصنفات غيره من البلاد العربية من حيث الأسلوب أو تناول الموضوعات أو حتى منهجية كتابة التاريخ.

ولكن الواضح والغالب تناول موضوعات خاصة بوقائع غزو للفرس أو العثمانيين وتولى ولاة هؤلاء وهؤلاء على الحكم ، وكذلك تناول موضوعات خاصة بالأوبئة ، والكوارث، وفرمانات السيادة العثمانية.

ونحاول فيما يلى استعراض أهم المؤرخين بالعراق في العصر الحديث حتى القرن العشرين : ـ

١ - أحمد عبد الله البغدادي :

المتوفي ببغداد سنة ١١٠٢هـ / ١٦٩٠م، والذى تربى في بيت علم وأدب، وقد كتب في تاريخ العراق كتابه " :عيون أخبار الأعيان بمن مضى في سالم العصر والأزمان "حيث خصصه لأحداث العراق إلى سنة ١٦٨٧م ، وتناول فيه كذلك التعريف بالعلماء والأدباء، ولكنه قصر اهتمامه ببغداد دون سواها.

٢ـ محمود بن عثمان الرحبى :

الذى عمل مفتياً لمدينة الحلّة ، وتوفى سنة ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م، وله كتاب : "بهجة الاخوان في ذكر الوزير سليمان "تناول فيه مقدمة عن تاريخ العالم كله، وتاريخ ملوك الفرس ، وتاريخ الدول المختلفة ، كما تحدث فيه عن تاريخ الأنبياء، ثم توسع في حديثه عن الوزير سليمان أمين البصرة إبان ولاية أحمد باشا فى بغداد منذ سنة ١١٣٦هـ / ١٧٢٣م.

٣ـ أبو الخير السويدى :

وهو شاعر وعالم ومؤرخ تعلم على يد والده وغيره وصنف كتابه " :حديقة الزوراء في سيرة الوزراء "، تحدث فيه عن بعض حوادث ووقائع العراق الهامة، مع ذكر بعض النظم والنشر ، ولكنه اهتم بالحديث عن والى بغداد حسن باشا (١٧٠٥ ـ ١٧٢٢م) ، وابنه أحمد باشا (١٧٢٢ ـ ١٧٤٦م) ، والكتاب من المصادر الهامة في التاريخ المحلى العراقي.

٤ـ الشيخ عثمان بن سند البصري الوائلى :

وقد احترتُ في تصنيفه حسب مولده بنجد (قرية فليكه)في سنة ١١٨٠هـ فيكون من مؤرخى شبه الجزيرة ، أو حسب حياته بالبصرة ونسبته إليها ، وأعماله التاريخية العراقية فيكون من مؤرخى العراق، ومع ذلك فأنا ممن يعتبرون العراق امتدادا لشبه الجزيرة العربية ، ولا أجد غضاضة في ذلك.

والذى يهمنا في هذا المقام أن ابن سند هذا قد كتب عن داود باشا في العراق كتابه: " مطالع السعود بطيب أخبار الوالى داود "، رتبه على السنين ، ودوّن فيه أخباراً هامة ووقائع تنم عن معرفته واتصاله بالحاكم لا يعرفها سواه، كما اشتمل الكتاب على وصف لأحوال العراق السياسية والاجتماعية ، وأخبار القبائل العربية من سنة ١١٨٨هـ إلى سنة ١٢٤٢هـ، وترجم لكثير من زعماء القبائل ، والعديد من العلماء ، وتوفى ابن سند في سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٧م.

٥ـ عبد الواحد بن عبد الله بن عبد اللطيف:

ولد بالبصرة سنة ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م ، وتوفي بها في سنة ١٣٣٧هـ /١٩١٩م ، وعلى الرغم من كونه تاجراً ، ومن كبار التجار فيها إلا أنه وضع تاريخاً طويلاً أطلق عليه : "زبدة التواريخ "وهو خاص بتاريخ الإسلام ، مع عناية بتاريخ البصرة الحديث الذى اشتمل على التاريخ التركى ، وبعض تاريخ الحجاز، ويبدو أنه اعتمد كثيراً على كتاب: "مطالع السعود "لابن سند .

ونود الإشارة إلى بعض من كتبوا في التاريخ حديثاً (القرن العشرين)أمثال : يوسف رزق الله غنيمه وله عدة مؤلفات ، وعلى ظريف الأعظمي البغدادي ، وهو الآخر صنّف مجموعة من كتب التاريخ ، ثم عبد الرازق الحسنى ، وعباس العزاوى، أما من الأكاديميين فنذكر منهم : الدكاترة /زكى صالح ، وعبد العزيز الدورى ،

وفاضل حسين، وصالح العلى ، وفيصل وائلى ، وجواد على ، ومحمود على الداود ، وطالب وهيم -رحمة الله عليه-، وغيرهم من كبار اساتذة التاريخ (١) .

مؤرخون المغرب العربي :

شملت الكتابات التاريخية في المغرب العربي جوانب التراجم مع الجوانب الإخبارية الأخرى مثلها مثل شقيقاتها في المشرق العربي.

كما اشتملت هذه الكتابات في المغرب العربى على قصائد شعرية وأراجيز متحيزة إلى حد ما، وعندما يبدأ المؤلف في تصنيف كتابه يشرح أولاً الهدف من تصنيفه في المقدمة، ويحرص على وضع عنوان في قافية رنانة ، ثم يبدأ موضوعه، الذى يتناول فيه أحياناً روايتين فينتهى إلى كتابتهما معاً رغم تضاربهما ، ويترك للقارئ اختيار الصواب منهما.

وتميز المغاربة من ناحية أخرى في أسلوبهم بالوضوح، واختيار الجمل القصيرة والتى تكون أحياناً بها فخامة، وبعض التعقيد القليل، أما اللغة الجميلة والأسلوب الفخم فقد ظهر في كتابات مؤرخى الأسرتين السعدية والعلوية.

وفيما يلى نعرض لبعض المؤرخين المغاربة وبعض كتاباتهم -:

أولاً :المغرب الأقصى :

١ - **محمد بن عبد الله :** وهو ابن السلطان العلوى الذى ألف كتاباً تحدث فيه بجرأة وسجل أخطاء أسرته الحاكمة دون خشية من أحد.

٢ - **محمد ابن عبد السلام الضياف الرياطى :** الذى ألف كتابه : " العلويون منذ بدايتهم حتى حكم مولاى سليمان "أى حتى حوالى سنة ١٨٠٠م.

٣ - **عبد العزيز الفشتالى :** عبد العزيز بن إبراهيم المولود سنة ١٥٤٩م فى منطقة الشمال الغربي لفاس، وعين رئيس كتاب بلاط الأشراف السعدية ، وله من

(١) د/حاطوم - المدخل - ص ٥٨٨ .

المؤلفات : " مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا "تألف من ثماني مجلدات ، وتوفى الفشتالى في سنة ١٦٢١م.

٤ ـ ابن القاضى : أحمد بن محمد بن أحمد المكناس :المولود في سنة ١٥٥٢م، ويرجع نسبه إلى قبيلة زناتة في فاس ومكناس، وترك لنا أكثر من أربعة عشر مؤلفًا من بينها : " المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور "، وله أيضاً أرجوزة تاريخية بعنوان : "درة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك "، وهو خاص بالسلالة المراكشية الحاكمة، وغير ذلك من المؤلفات وكانت وفاته بفاس سنة ١٦١٦م.

٥ ـ محمد بن جعفر الكتانى : المولود بفاس سنة ١٨٥٨م، وكانت له رحلات إلى المشرق فزار المدينة المنورة، ودمشق التى درّس فيها فترة ، ثم عاد إلى مراكش ، وتوفى بفاس سنة ١٩٢٧م.

وهو من أهم من كتبوا في التراجم ، ولا سيما أعلام العلماء والصالحين فى المغرب الأقصى، وكتابه : "سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ."

ثانياً: الجزائر:

٦ ـ المقرى : أحمد بن محمد بن أحمد المقرى التلمسانى الذى توفى فى سنة ١٦٣١م وهو مؤرخ أديب صاحب كتاب : "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب "، وقد ولد في تلمسان ، وجاب بعض أقطار المشرق والمغرب فزار فاس ، والقاهرة، والشام ، والحجاز، وتوفى بمصر ودفن فيها وله أيضاً : " روضة الأنس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من علماء مراكش وفاس ."

٧ ـ محمد بن عبد القادر الجزائري : وهو ابن الأمير /عبد القادر بن محى الدين المجاهد الجزائرى ضد الاحتلال الفرنسى ، وقد سجل محمد مآثر والده وجهوده

فى المقاومة وتزعم الثورة على المستعمرين ، وتوفى بالآستانة سنة ١٩١٣م، كما ألّف أبو القاسم سعد الله كتابيه عن : " الحركة الوطنية الجزائرية "، وكذلك أحمد توفيق المدنى في كتابيه : "هذه هى الجزائر "، "وحرب الثلاثمائة عام "، وألف محمد مبارك بن محمد الهلالى : "تاريخ الجزائر ."

ثالثاً:تونس :

٨ـ **الشيخ /محمد السنوسى** :وله كتاب : "مسامرات الظريف بحسن التعريف"، وله أيضاً : " الرحلة الحجازية ."

٩ ـ **محمد بيرم** : وله كتاب : " صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار.

١٠ـ **أحمد بن أبى الضياف التونسى** :الذى عاش بين سنتى (١٨٠٤ ـ ١٨٧٤م) حيث ولد وتوفى بتونس ، وولى مناصب رفيعة فيها وكتب مصنفه : " اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان."

ومنهم أيضاً من القرن العشرين :حسن حسنى عبد الوهاب وله كتاب " :خلاصة تاريخ تونس"، وعثمان الكعاك المولود بتونس سنة ١٩٠٣م وله مؤلفات عديدة منها : "التاريخ العام للجزائر "، والمجتمع التونسى على عهد الأغالبة، ومصادر ابن خلدون وغيرها.

رابعاً:ليبيا :

١١ ـ **الطيتوري** : عبد السلام بن عثمان الطرابلسى الذى عاش حوالى سنة ١٦٨٣م وله مؤلفات منها : "كتاب الإرشاد لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات " و "فتح العالم في مناقب عبد السلام بن سالم ."

١٢ ـ **ابن غلبون** : محمد بن خليل الطرابلسى الذى نهل العلم من الأزهر فترة

كبيرة، ثم عاد إلى مصراته سنة ١١٣٣هـ وله من المؤلفات: " التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ."

١٣ ـ سلمان البارونى : الذى عاش بين سنتى ١٨٧٠، ١٩٤٠م وهو سليمان بن عبد الله بن يحي الطرابلسى ، وهو أحد الزعماء السياسيين وله من المؤلفات :" الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية ."

ومنهم أيضاً : محمد بن مسعود وله : " تاريخ طرابلس "، ومصطفى بعيو، وله " :دراسات من تاريخ ليبيا "، وكان ممن تخرجو فى جامعة الأسكندرية بمصر، والدكتور /محمد أبو عجيلة الذى تخرج فى جامعة الأزهر ، والدكتور /محمد الجيرارى وغيرهم.

مؤرخو السودان:

تعتبر حركة الكتابة التاريخية في السودان مشابهة إلى حد ما لغيرها من الأقطار العربية الأخرى.

وفيما يلى نستعرض أهم المؤرخين في العصر الحديث بالسودان : ـ

١ ـ أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن محمد التمبكتى : المولود سنة ١٥٥٣م والمتوفى سنة ١٦٢٧م وله من المؤلفات : " تكملة الديباج لابن فرحون " عن تراجم المالكية وله كذلك : "كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ".

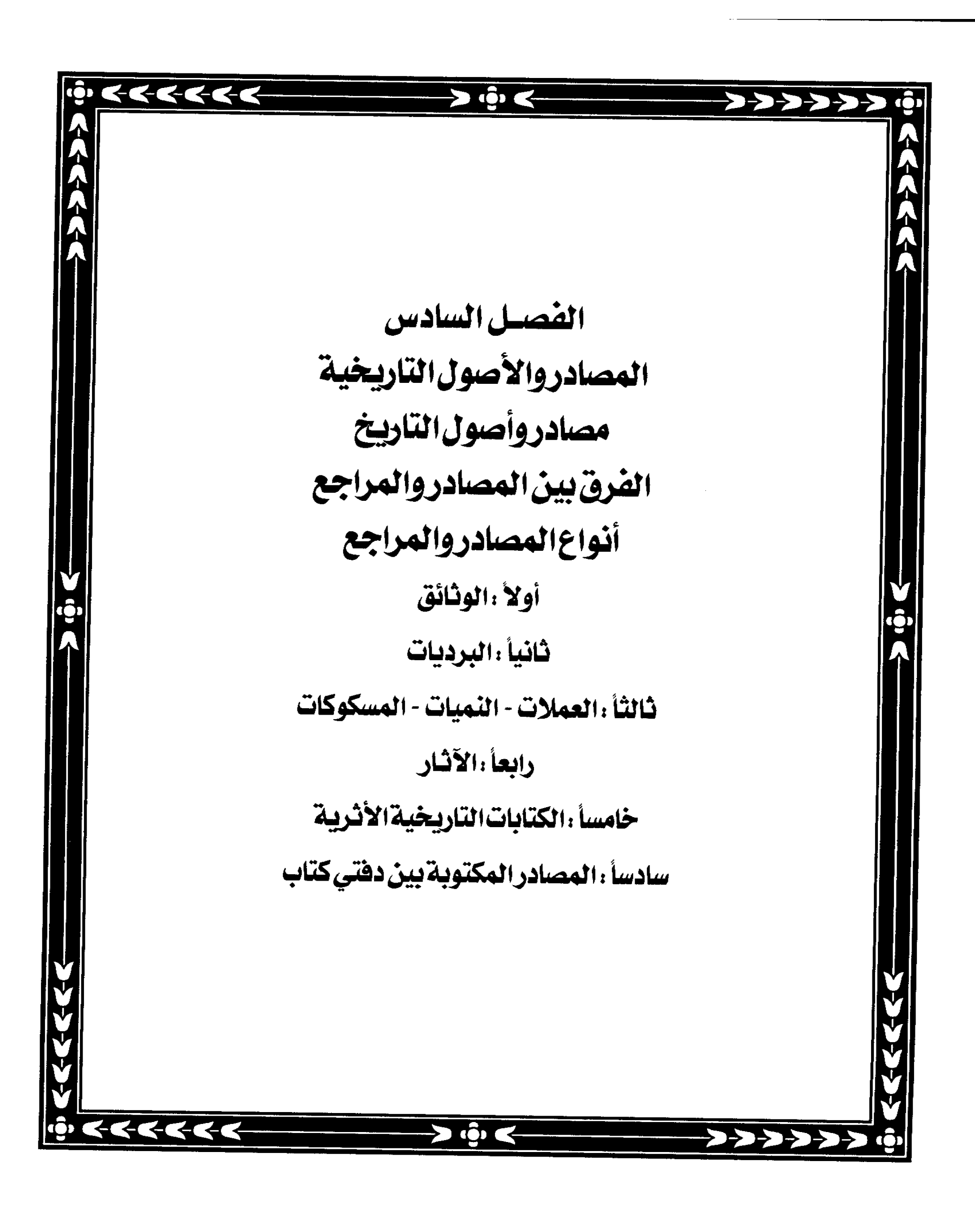
٢ - محمد نور بن ضيف الله الحلفاوي : المتوفى سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م وله كتاب "الطبقات في خصائص الأولياء الصالحين والعطاء في السودان" (١) .

(١) د / حاطوم وآخرون ـ المدخل ـ ص ٦٠٣ وما بعدها .
وانظر : دائرة المعارف الإسلامية - م ٩ - ص ١٤٩ .
و : هاملتون جب - دراسات - ص ١٨٠ .
و : د/صلاح العقاد - المغرب العربي - الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٨٥م- ص ٥٥٥، ٥٥٦ .

٣ ـ **الدكتور/مكى شبيكه** الأستاذ في جامعة الخرطوم ، وله أكثر من مؤلف من بينها " :السودان في قرن ١٨١٩ -١٩١٩ "، و "السودان عبر القرون"، اعتمد فيه على الوثائق المصرية ، ومن المؤرخين أيضاً محمد صالح ضرار، ومحمد السراج، وصلاح الدين الشامي.

وهناك أساتذة كبار أثروا الكتابة التاريخية السودانية والعربية بكتاباتهم من بينهم الدكاترة : سر الختم أحمد العراقي ، ويوسف فضل حسين ، وعثمان سيد أحمد إسماعيل، وعون الشريف قاسم ، وحسن أحمد إبراهيم وغيرهم.





الفصل السادس

المصادر والأصول التاريخية

مصادر وأصول التاريخ

الفرق بين المصادر والمراجع

أنواع المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق

ثانياً: البرديات

ثالثاً: العملات - النميات - المسكوكات

رابعاً: الآثار

خامساً: الكتابات التاريخية الأثرية

سادساً: المصادر المكتوبة بين دفتي كتاب

الفرق بين المصادر والمراجع

نستطيع أن نفرق بين مصطلحين فى التاريخ هما " :المصدر ، والمرجع "

المصدر: Source هو المرجع الأصلى الأولى ، وتعنى كلمة اصلى Original : أقدم مرجع حصل عليه الباحث واعتمد عليه فى كتاباته التاريخية.

ونقصد بكلمة أقدم مرجع هى الكتابات التى سطرها المعاصرون للأحداث أو كتبها مؤلفون عاشوا قريباً من العصر الذى يؤرخون له، أو تكون كتاباتهم هي أقدم ما كتب من العصر موضوع الدراسة بصرف النظر عن الاعتبارات الأخرى.

أما المرجع : Reference فهو المرجع الثانوى الفرعي الحديث الذى كتبه مؤرخون جاءوا بعد العصر الذى تصدوا للكتابة عنه بزمن طويل، ومن هذا النوع الكتابات التاريخية الحديثة عن التاريخ الإسلامي الأول مثلاً أو عصر المماليك ...الخ.

ويُعد كل مصدر مرجعاً ، وليس كل مرجع مصدراً ، وهناك تداخل أحيانا اعتباراً في المرجع الواحد الذى يُعد مصدراً ومرجعاً في آن واحد، فالمقريزي مثلاً وهو يتحدث ويؤرخ عن صدر الإسلام يُعد مرجعاً ، أما عندما يتحدث عن وقائع عصره والعصر القريب منه فإنه يعد مصدراً لا جدال في ذلك.

ونلاحظ أيضاً وجود مصادر أو مراجع عامة وهي التى تعتنى بالتأريخ لعصر أو عدة عصور أو دولة أو عدة دول من جميع الوجوه والأحداث مثل كتب الطبرى - ابن الأثير - ابن خلدون ...الخ.

بينما هناك مراجع خاصة تتناول عصراً محدداً من ناحية واحدة أو موضوعاً خاصاً مثل :كتاب :تاريخ دمشق لابن عساكر ، وعنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر وغيرها.

أنواع المصادر والمراجع :

ويمكن تقسيمها إلى الأقسام الآتية : -

الوثائق - الكتابات التاريخية الأثرية - والبرديات - الآثار - والمصادر المكتوبة مثل :القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، والتفاسير - وكتب الطبقات والأنساب والتواريخ المختلفة ،وكتب الجغرافيا والرحلات - وكتابات المستشرقين.

أولاً :الوثائق Document

الوثيقة هي المصدر الأصلى الذى يعتمد عليه الباحث في التاريخ (المؤرخ) وهى أيضاً :المادة الخام التى يصوغ منها نسيجه التاريخي .وهي عبارة عن مستندات معاصرة للتاريخ الذى نكتب عنه كالرسائل الصادرة من ديوان من العاصمة إلى الولايات والأقاليم التابعة للحكومة المركزية، وكذلك الواردة من هذه الأقاليم إلى العاصمة ، وكذلك المنشورات والسجلات وأحكام المحاكم، والفتاوى ، ونصوص المعاهدات ، وعقود البيع والشراء وبعضها أيضاً يصدر عن الخلفاء والأمراء والسلاطين والملوك والرؤساء ويلزم للاستفادة منها :القدرة على قراءة الوثيقة باللغة واللهجة التى كُتبت بها ، والتحقق من صحتها بعد معرفة الطريقة التى كان يُكتب بها في العصر الذى تشير إليه والأسلوب المستخدم في الكتابة، وكذلك المصطلحات المتداولة حينئذ ، وذلك للتحقق من أن الوثيقة هي الأصلية وليست مزورة ، ويرتبط بذلك دراسة الأختام التى تُمهر بها الأوراق الرسمية ، والشفرة.

ونظراً لأهمية الوثائق ، والحفاظ عليها دون تحريف عمدت بعض الدول الكبرى إلى نشر الوثائق التى مرت عليها فترة زمنية باستثناء ما يتعلق منها بمصلحة أو بأمن الدولة من ذلك :الكتاب الأزرق البريطاني ، والكتاب الأصفر الفرنسى ..الخ.

ومع ذلك فقد لوحظ أن كثيراً من المعاهدات والاتفاقيات الدولية التى تم نشر تفاصيلها لم تكن متكاملة ولم يظهر منها إلا جانب واحد فقط بينما حُجبت الجوانب الأخرى من خلال الملاحق السرية التى تحمل أسراراً وتفاصيلاً أكثر أهمية من التى تم نشرها [1] .

ومن هنا تأتى أهمية كتابات ومؤلفات ومذكرات من شاركوا في صوغ هذه الاتفاقيات ، والموقعين عليها ، رغم ضرورة اتخاذ الحذر والحيطة من كتاباتهم التى يضطرون أحياناً إلى تزييفها للتنصل من المسئولية المتعلقة ببعض ما يُشين منها ، أو مراعاة للمصالح السياسية ومن الأوراق التى تعد مصادر وثائقية أيضاً .

ثانيا :البرديات:

وهي مصدر صادق لدراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية لأنها تتعرض لشتى شئون الحياة في المجتمع الذى كُتبت فيه، وازدادت أهمية البردى منذ أن

نشر المستشرق سلفستردى ساسى مقالاً عن نموذجين لأوراق البردى كُتبا بالعربية نشره في صحيفة العلماء التى كانت تصدر بباريس في سنة ١٩٢٥م، ومنذ هذا التاريخ عُثر على أوراق بردية كُتبت بالعربية واليونانية والقبطية في إقليم الفيوم بمصر، وإخميم ، وسقارة وميت رهينة وإدفو وغيرها .

ولذلك فقد اهتم بها المستشرقون وعرفوا قيمتها في تصوير النظم الإدارية والمالية والاجتماعية للعصر الذى كُتبت فيه [2] .

---

(١) د/شوقى الجمل – علم التاريخ نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى ومناهج البحث فيه – الأنجلو المصرية – ط١– ١٩٨٢م – ص ٩١، ٩٣ .

وانظر د/عبد المنعم ماجد – تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى – القاهرة – ١٩٦٣م – ص ٣٦ .

(٢) السيد سالم – التاريخ – ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

دور الوثائق (المحفوظات) وأرشيف وزارات الخارجية

وهى من الدور الهامة لحفظ الوثائق من التلف وفهرستها وتبويبها حتى يسهل الاطلاع عليها دون مشقة ، وتحرص معظم الدول على إنشاء دور للوثائق بها لحفظ وثائقها القومية الخاصة بها ولكنها تختلف في طريقة الفهرسة وسهولة الاطلاع ، والاجراءات المتبعة في هذا الشأن .

ويقوم كثير من الباحثين بنشر مجموعات من الوثائق في كتب خاصة بها أو كملاحق في نهاية كتبه حتى ينتفع بها الباحثون من بعده ، وللتدليل على توثيق كتاباته بمصادر أصلية.

ومن هذه الدور نضرب أمثلة على دور الوثائق في الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا [١] ، وفرنسا [٢] وغيرها ، كما توجد دار للوثائق القومية بالقاهرة كان مقرها القلعة ثم نُقلت إلى الهيئة العامة للكتاب على الكورنيش، ونظمت كذلك دار الوثائق المركزية بالخرطوم للوثائق السودانية التى يشرف عليها الدكتور/محمد إبراهيم أبو سليم ، وهناك في المملكة العربية السعودية دارة الملك عبد العزيز (التى تعنى بجمع الوثائق وخدمتها) يشرف عليها الآن الأمير /سلمان بن عبد العزيز أمير الرياض.

أما أرشيف وزارات الخارجية فترجع أهميته إلى احتفاظه بكثير من التقارير والوثائق الخاصة بشئون المستعمرات، أو المراسلات بين الخارجية وممثلى الدول فى العواصم الأوربية أو الافريقية مثلاً، واشتمالها على كثير من الأسرار

(١) تسمى دار الوثائق الانجليزية **Public Record office Londen**، وترجع أهميتها إلى سيطرتها الاستعمارية على كثير من دول العالم فترة لا يستهان بها ، وكذلك مكتبة الدراسات الشرقية .

(٢) تتركز الوثائق الفرنسية في وثائق المكتبة الوطنية بباريس **Bibliotheye National. de Paris.**

السياسية والعسكرية، وتقارير القناصل التى كانت تشمل جميع أوجه الحياة المكتوبة عنها [1] .

ثالثاً : العملات - النميات - المسكوكات

يُعد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان هو أول من أمر بسك العملات العربية الإسلامية سنة ٧٧هـ لتدعيم البناء الاقتصادى والسياسى للدولة العربية.

وتعتبر دراسة العملات من الأسس الهامة لدراسة التاريخ السياسى والاقتصادى للدول، لأن الكتابة المنقوشة على السكة (العملة) ، تتضمن معلومات تفيد باحث التاريخ من ناحية الألقاب ، وتبعية هؤلاء وأولاء لجهة من الجهات، وتاريخ الضرب، والمذهب، وتكشف عن الحالة التجارية ، وامتدادها في ذلك العصر، ولذلك اهتم المؤرخون العرب بذكر أوصافها [2] ، وعني المستشرقون كذلك بها حيث يجد المؤرخ فيها مادة خصبة تُعينه على كتابة التاريخ.

الآثار : Archaseology

هي المخلفات المادية للحضارات السابقة ، وتشمل المباني والتحف والأدوات والملابس والأسلحة والنقوش على الجدران فهى ماضى حى نراه ماثلاً أمامنا وفائدة علم الآثار تكمن في : ترتيب مخلفات الحضارات السابقة ، واستنباط الحقائق التاريخية منها .

---

(١) د /شوقى الجمل - علم التاريخ - ص ١٢٧ وما بعدها .

(٢)انظر : على سبيل المثال :

الماوردي - الأحكام السلطانية - طبعة بولاق - ١٣٢٨.

وانظر : المقريزى - إغاثة الأمة بكشف الغمة - تحقيق د /محمد مصطفى زيادة وآخر - القاهرة - ١٩٥٧م .

وهى من المصادر الأصلية الأساسية للتأريخ بل هى من أقوى المصادر لأنها باقية، وشاهده على عصرها الذى صنعت فيه وتسد فراغاً في عملية التأريخ فهى توضح الكثير من جوانب الحضارات مثل الأحوال الاقتصادية ، وتقدم الفنون أو تأخرها ، والأحوال الاجتماعية بل أن هناك الكثير من المناطق والعصور يُعتمد في التأريخ لها على الآثار أكثر من غيرها (فهى كنوز لا تعوضنا عنها مصادر أخرى) مثل-:

حضارات الشرق القديم، وحضارة الأزتك Aztecs في المكسيك ، والأنكا Anca في بيرو ، وحضارة بريطانيا الرومانية.

والبحث عن الآثار (الكنوز) قديم جداً ، إلا أن علم الآثار نفسه يُعد تطوراً حديثاً ربما لا يزيد عن مائة عام إلا قليلاً ، ومع ذلك فقد وصلنا معه إلى نتائج باهرة حيث نلاحظ في مصر أن ما اكتشف فيها وعُرف عن تاريخها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد يفوق ما نعرفه عن انجلترا فى القرن الرابع عشر بعد الميلاد ، كما أن الآثار قد كشفت كثيراً من الحقائق التاريخية عن حضارات قديمة جداً كالسومريين ، والحيثين ، وكذلك البابليين والآشوريين [١] .

ولابد من الحفاظ على الأثر فى مكانه لتسجيله ولدراسة علاقته بهذا المكان، وإلا تضيع فائدة هذا الأثر، لأنه يحدث أحياناً أن يُخرج البعض من العامة أثراً ثم يبيعها كتحفة فتنتقل من يد إلى يد إلى أحد تجار هذه العاديات فينتهى بها الحال إلى متحف أو هاوٍ ، وحينئذ إذا أردنا استنطاق هذه التحفة الأثرية فإنه يصعب معرفة نسبتها إلى مصر أو الشام أو العراق ..الخ ، وإلى أى عصر ، وأى قوم قد أبدعوها ، واستخدموها حينئذ لا تتعدى كونها تحفة مجردة من المنفعة

(١) السير/ليونارد وولى-مدخل إلى علم الآثار- ترجمة د/حسن الباشا-سلسلة الألف كتاب رقم ٩٤-القاهرة-١٩٥٦م-ص٢١،٢٢ .

التاريخية لأنها انفصلت عن أرضها الدالة عليها، وعن غيرها من المتعلقات التى يُمكن أن تكون معها منظومة تاريخية [1] .

ولذلك ينبغي على باحث التاريخ أن يشاهد بنفسه آثار العصر الذى يتصدى للكتابة فيه، وأن يربط بينها وبين غيرها ، ويزور المبانى التى اكتشفت فيها الآثار ليستخرج ويستنبط منها بعض أحكامه التاريخية، وعليه أيضاً أن يبحث عن متعلقات أخرى مكملة للفائدة ، ولاسيما المخلفات الشخصية ، والأزياء، والأدوات، وكذلك القبور والنقود والأوسمة ، والمآثر الفنية والأدبية ، وتساعد المتاحف فى ذلك حيث يُدون على كل أثر بعض الملاحظات التى تُعين وتساعد كُتّاب التاريخ [2] .

وهذه المخلفات التى نحصل عليها غالباً من القبور والمعابد يرجع سبب وجودها إلى أن الكثير من الحضارات القديمة كانت تعتقد بالحياة الآخرة بصورة أو بأخرى تختلف من حضارة الإغريق عن المصريين القدماء عن السومريين ... الخ :فمثلا :الإغريق كانوا يضعون في فم الميت قطعة من النقود ليدفعها إلى " تشارون "أجرة نقله عبر نهر الموت)حسب تخيلهم (أما المصرى القديم فقد كان يأخذ معه أحياناً نسخة من كتاب الموت تلهمه إجابات لأسئلة الآلهة الذين يقفون على بوابات العالم السفلي، وفي العراق ، وجدوا أوانى الطعام والشراب بجوار الميت حتى تقيم أوده عبر الرحلة الطويلة التى عليه أن يقطعها، وأخذت هذه الاستعدادات التى تصاحب الميت عند قبره تختلف من عصر لآخر ومن حضارة إلى أخرى.

كما كانت المرأة يضعون لها أدواتها من مغزل وإبرة ومرآة ومشط ، وأدوات التجميل، والجندى يأخذ معه سلاحه، والملوك يزودون بما يليق بهم في حياتهم

---

(١) ليوناردو والى - مدخل - ص ١٧ ،١٨ .

(٢) د/حسن عثمان - منهج البحث التاريخي - دار المعارف - ط٢ - القاهرة - ١٩٦٤ - ص٨٠ .

وفي مماتهم يزودون بكنوزهم ، بل كان البعض منهم يدفن معه مباشرة عند موته حاشيته طواعية ليقوموا بخدمته في الدار الآخرة وهذا ما كان يفعله عظماء السومريين كل ذلك أيضا حسب تخيل هذه الأمم واعتقادها الدينى (١) .

وقد نبه المستشرقون في العصر الحديث لأهمية الدراسة الأثرية بالنسبة للتاريخ ، فتتابعت بحوثهم التى ألقت الضوء على كثير من الأحداث الغامضة ومن أشهر هؤلاء المستشرقين :جورج ماسين، وهنرى تيراس، وإيلى لامبير ، وتوريس بلباس ، وميجون، وسوفاجيه ، وديماند ، وجروهمان وغيرهم.

ومن أشهر علماء الآثار الإسلامية العرب، والذين عملوا في هذا المجال : الدكتور /أحمد فكرى ، والدكتور /فريد شافعى ، والدكتور /عبد العزيز مرزوق، والدكتور /حسن حسنى عبد الوهاب ، والدكتور /موريس شهاب، والدكتور /عبد الرحمن الأنصارى ، وأعماله وجهوده في المملكة العربية السعودية معروفة خاصة فى منطقة الفاو (٢) .

خامساً :الكتابات التاريخية الأثرية

ومن ناحية أخرى نجد أن الكتابات التاريخية الأثرية ذات شأن كبير في دراسة التاريخ ، ولا سيما الإسلامي حيث أنها كتابات محايدة ، ومعاصرة للأحداث ، كما أنها لم تتغير من ناقل إلى آخر أو من راو إلى آخر ، ونجد هذه الكتابات قد دونت على جدران المساجد، والمعابد ، وعلى التحف الأثرية، وعلى شواهد القبور والأضرحة ، والتكايا والمنازل، والمنسوجات.

وتأتى أهمية هذه الكتابات التاريخية الأثرية في أنها تأتي بالقول الفصل عند اختلاف المؤرخين كما حدث مثلاً في تاريخ الانتهاء من جامع ابن طولون فلما

(١) ليناردو ولى - مدخل - ص ٨٩ وما بعدها .

(١) د/السيد سالم - التاريخ والمؤرخون العرب - ص ١٦٤، ١٦٥ .

عثروا على لوحة من الرخام مسجل عليها تاريخ الفراغ من بناء الجامع سنة ٢٦٥هـ ، فكان ذلك تأييداً لكلام المقريزى ، وضحداً لكلام غيره من المؤرخين [١] .

سادساً : المصادر المكتوبة بين دفتى كتاب :

أ - القرآن الكريم والحديث وكتب التفسير :

فقد اختلف المؤرخون فى قضية اتخاذ القرآن الكريم مصدراً للتاريخ، أو اعتباره فقط للعظة والعبرة، وتعلم تعاليم الدين الحنيف.

وأعتبر نفسى من أنصار الاتجاه الأول [١] الذين يؤكدون على المبدأ الإسلامي : " خذ من القرآن ما شئت لما شئت "، وبالنسبة للقضايا التاريخية فالاعتقاد اليقينى بأن القرآن الكريم قد أتى بمعلومات تاريخية يُعد الأولى عن حياة الأمم السابقة على الإسلام ، وعصر الجاهلية ، وهو أصدق المصادر الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو تنزيل من رب العالمين.

وقد اشتمل القرآن الكريم فى كثير من آياته على مظاهر لحياة العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى ذكره لبعض الأخبار عن الشعوب البائدة (عاد وثمو) ، وأصحاب الفيل)أبرهة والأحباش (، وسيل العرم، وأصحاب الأخدود ، وغير هؤلاء.

---

(١) د/سيدة إسماعيل الكاشف - مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه - مكتبة الخانجى - القاهرة - ١٩٧٦م - ص ٩٣، ٩٥ .

(٢) ويشاركنى الرأي كل من: د/طه حسين - في الأدب الجاهلي - القاهرة -١٩٢٧م - ص ٦٨ .
و :جواد على - تاريخ العرب قبل الإسلام -القسم السياسى-جـ١-بغداد- ١٩٥٠م - ص ٣٥ .
و :عمر فروخ - تاريخ الجاهلية - بيروت - ١٩٦٤م - ص ١٦ .
و: د /السيد سالم - التاريخ - ص ١٦٩ .

ويعتبر الحديث المصدر الثاني للشريعة الإسلامية ، وهو أيضاً أصدق المصادر التاريخية بعد القرآن الكريم، ولكننا لا نعتمد على الحديث إلا ما ورد منه في الكتب الصحاح مثل :صحيح البخاري (ت ٢٥٧هـ) ، وصحيح مسلم (ت ٢٦٢هـ)، وسنن أبى داود (ت ٢٧٥هـ الخ ...).

ويلى القرآن الكريم والحديث النبوي : العفاسير التى شرحت ماورد فى القرآن ، وما أُغلق علينا فهمه ، وكان النبى ?هو أول مفسر للقرآن ، ثم خلفه الصحابة رضي الله عنهم فى هذه المهمة بعد وفاته، ومن أشهر المفسرين منهم :

عبد الله بن عباس، وأخذ التابعون عن الصحابة، ثم أخذ تابعو التابعين عن التابعين ، وهكذا ، ومن أشهر التفاسير :تفسير الطبرى، وتفسير ابن كثير.

ب - كتب الطبقات والأنساب، وأنواع الكتابات التاريخية العديدة:

التى سبق الحديث عنها بتفصيل شامل في الفصول السابقة، ولا سيما المعاصر أصحابها للأحداث أو القريبين منها ما طُبع منها ، وما زال مخطوطاً كذلك فهى من المصادر ككتابات :الطبرى ، وابن الأثير - وابن كثير- والخشنى - وابن الأبار - وابن خلكان - والكتبى - وابن القفطى -والمقريزى - وابن حجر العسقلانى - والشوكانى - والسخاوى - وابن إياس ...الخ .

جـ - كتب الجغرافيا والرحلات :

اهتم العديد من الكُتّاب على مر العصور في بلاد العرب، وبلاد العجم بأمر الجغرافيا والكتابة فيها والرحلات وما شاهدوه وعاصروه من ظواهر المجتمعات سجلوها في كتب جمعت بين التاريخ والجغرافيا ، هذا العلم الأخير الذى أخذ اسماً آخر هو "تقويم البلدان ."

وفيما يلى نستعرض بعض كتب الجغرافيا والرحلات عند العرب ، وغيرهم ممن اهتموا بهذه الأنواع من الكتابات التى اتخذت مصدراً أصيلاً من مصادر التاريخ

:ـ عند العــرب نذكر منهم :

١ـ**المسعودي**: المتوفى سنة ٣٤٦هـ .له من المؤلفات -:

"مروج الذهب ومعادن الجوهر" (مطبوع) .

"أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان " (مخطوط)

٢ـ**ابن حوقل** : المتوفي سنة٣٥٨هـ وله كتاب :ـ

"صورة الأرض " (مطبوع) .

٣ـ**أبو الفداء**: المتوفي سنة ٧٢٢هـ وله كتاب :ـ

"تقويم البلدان" (مطبوع) .

٤ـ**ابن بطوطة**: المتوفي سنة ٧٧١هـ وله كتاب :ـ

" تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " (مطبوع) وهناك أيضاً اليعقوبى ، والأسطخرى ، والدنيورى ، وابن خرذابة، والخوارزمى ، وابن فضلان ، والبلخى ، والهمدانى، وياقوت الحموى ، ومن المغاربة :ابن جبير، وابن سعيد المغربي [1] .

عند الغرب نذكر منهم :ـ

١ـ**سترابو Strabo** الرحالة اليوناني القديم الذى صنف كتاباً سماه :ـ

" الجغرافيا " أورد فيه فصلاً عن العرب وأحوالهم .

٢. **ماركو بولو Marco Polo**، وهو من البندقية، وله رحلة إلى آسيا وصل فيها إلى الصين،واستقر بها ١٤سنة، ونشر رحلته سنة١٢٩٥م بالفرنسية في كتاب سماه" :العجائب" .

---

(١) بتصرف انظر :د /سيدة كاشف - مصادر التاريخ الإسلامى - ص ٣٨ ومابعدها

ومن كُتّب الرحلات الغربيين أيضاً في العصر الحديث : بارث الألماني، والليدي آن بلنت التى نفرد لها السطور التالي :

فهى نبيلة انجليزية ،وحفيدة الشاعر الانجليزي الشهير" :بيرون"، وزوجها الشاعر السياسى الانجليزى ويلفريد سكوين بلنت الذى كان معارضاً لحكومته الاستعمارية ،وكان مناصراً للحركات التحرريه ،وقام هو وزوجته برحلات طويلة في بلاد العرب، وشمال أفريقيا ، والهند ،وأيد حركةأحمد عرابى في مصر ،وكان يريأن المستقبل للإسلام حتيأنه وطدعلاقته بالإمام محمد عبده بمصر.

وزوجته الليدى هذه قد صنفت كتابين عن العرب هما :-

قبائل الفرات - طبع سنة ١٨٧٩م **Bedouin tibes of the Euphrates .**

الحج إلى نجد - طبع سنة ١٨٨١م . **Pilgrimage to Nej**

وفى هذا الكتاب الأخير تصف الليدي أدق الأمور الاجتماعية والعادات في شبه الجزيرة العربية ، كما تصف قصور الحكام ومعاملاتهم في القرن التاسع عشر فهى مصدر هام لذلك (١) .

كما كانت هناك رحالة من أقطار أوربية عديدة زاروا الشرق ولا سيما الفرنسيين الذين توافدوا بأعداد كبيرة منذ القرنين السادس عشر والسابع عشر للتعريف بامبراطوريات الشرق في بلادهم، وكان بعضهم من رجال الدين، والبعض الآخر ساسة وسفراء لبلادهم ، وتجار إلى غير ذلك (٢) .

(١) الليديآن بلنت-رحلة إلى بلاد نجد-ترجمة محمدأنعم غالب-داراليمامة-ط٢-الرياض-١٩٧٨م.

(٢) د/إلهام محمد ذهنى - مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٥م - ص ٦٣ .

د - كتابات المستشرقين :

وهي من الكتابات الهامة عن الشرق العربي والإسلامي ، وهي فرع من فروع المعرفة في الثقافة الغربية موضوعه الشرق ، وكلمة مستشرق تطلق على كل عالم غربى يشتغل بدراسة الشرق ولغاته وآدابه، وحضاراته، وأديانه، فالمستشرق هو من يقوم بتدريس الشرق، أو الكتابة عنه ، أو بحثه.

وأفضل تعريف للاستشراق هو : " علم الشرق في الغرب " .

وقد بدأ الاستشراق المنظم منذ القرن العاشر الميلادي (على أصح الأقوال) على يد الراهب الفرنسى جريردى أورالياك توفى ١١٠٣م، وكان قد تتلمذ على يد أساتذة مسلمين في الأندلس ، وأصبح من أكثر الأوربيين معرفة بثقافة العرب ولغتهم ، وبرع كذلك في الرياضيات والفلك، وتقلد منصب البابوية في روما بعد ذلك.

وفى عام١٣١٢م قررمجمع فيينا الكنيسى إنشاء عدد من كراسى الأستاذية في اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية، ومن حيث محتوى الاستشراق وخصائصه فقد اتسم غالباً بعدائه للإسلام، وهو مظهر من مظاهر الصراع الدينى بين العالم الأوربي والنصراني، والعالم الإسلامي ، ودفعت الحروب الصليبية الأوربية للاشتغال بدراسة التاريخ الإسلامي والتعاليم الإسلامية.

وفى القرون الثلاثة الأخيرة تغير المستشرقون بعض الشئ في دراستهم التى أخذت طابعاً أكثر موضوعية من ذي قبل فى محاولة منهم لفهم الإسلام بشئ من الموضوعية ، وإحقاق الحق نوعاً ما ، حتى ظهرت بعض المؤلفات المنصفة للإسلام ، والمعتدلة في بعض كتاباتها [١] .

(١) د/محمد إبراهيم حسن – الاستشراق وأثره على الثقافة العربية – مجلة رسالة الخليج العربي – العدد ٢٦ – السنة الثامنة – ١٩٨٨م – الرياض – ص ٣٥ وما بعدها .

ورغم العداء والجانب السلبى للاستشراق ، إلا أنه أسدى خدمات جليلة للتراث الإسلامي في عملية إحيائه وتحقيق وطبع العديد من أمهات المصادر دراسة علمية ونشرها فأظهر المستشرقون عظمة وثراء هذا التراث ، ولاسيما أنهم أخرجوا أيضاً دوائر للمعارف عبارة عن موسوعات اشتملت على بحوث عميقة من بينها : دائرة المعارف الإسلامية Encyolopedia of Islam التى صدرت بالفرنسية والإنجليزية والألمانية، كما توجد ترجمة عربية لها ، ولكنها لم تكتمل بسبب موت بعض مترجِميها ، وأسباب أخرى ربما خاصة بالتمويل أو غير ذلك.

ومن المراجع العامة في الدراسات التاريخية أيضاً -:

هـ - الدوريات :

وهى مجلدات علمية ، يكتب فيها أعلام المؤرخين والمستشرقين ، وكذلك الدوريات الكبرى الأخرى التى تنشر الخبر بعد وقوعه مباشرة أو يكاد ، مثل التايمز، والأهرام ، والوقائع المصرية ، وجريدة الشرق الأوسط ..الخ .

و - المراجع الحديثة :

التى كتبها المؤرخون والجغرافيون والرحالة في الوقت الحالى،وهى هامة لأنها تمثل خلاصة التطورالتاريخي في التأليف فيها وخلاصة المصادر الأصلية.

ز - الرواية الشفهية :

من المعاصرين للأحداث ، والمشاركين فيها مثل روايات الساسة ، وأصحاب الوظائف الكبرى المطّلعين على أسرار الأخبار، وكذلك المعمِّرين الذين مازالو يحتفظون بذاكرة قوية.



الفصل السابع

خطوات إعداد البحث (صناعة التاريخ)

تمهيد

أ - طالب المرحلة الجامعية   ب - طالب الدراسات العليا

ثانياً : جمع المادة العلمية

ثالثاً : نقد المصادر التاريخية

رابعاً : الاستقرار على الحقائق التاريخية

خامساً : ترتيب وتبويب المادة العلمية

سادساً : الصياغة التاريخية

تمهيد :

يحتاج الباحث في التاريخ إلى خطوات يجب عليه تتبعها في تسلسل علمي ومنهجي، دون تعجل خطوة قبل السابقة عليها، حتى يكون عمله دقيقاً منظماً، فلا تختلط عليه الأمور، ويحاول في خطواته أن ينهل من خبرة سابقيه سواء كانوا من إخوانه الذين سبقوه بمرحلة أو مرحلتين، أو أساتذته، والعلماء في مجال التخصص الذي ينوي البحث والدراسة.

ويختلف الأمر إذا كان الباحث مازال طالباً مبتدءاً في سلم التعليم الجامعي، ويريد انجاز بحث يتدرب فيه على الطريقة الأولية، أو من تخرج في الجامعة، والتحق بالدراسات العليا حينئذ يُسند إليه صياغة بعض البحوث التي يُطلب منه فيها بعض النضج، وشئ من الابتكار، والتزام المنهج في حدود تناسب فترة الدراسات العليا .حتى إذا انتهى إلى تسجيل الماجستير، والدكتوراه يكون قد مرّ بمراحل تدرب فيها قبلهما، ولذلك يُحاسب، ويُوجه إليه النقد واللوم إن هو قصّر في جانب من جوانب رسالته للماجستير أو الدكتوراه.

والخطوات التي يجب على الباحث المبتدئ تتبعها هي كما يلي -:

أولاً :اختيار موضوع البحث

وهي أول خطوة يتجه إليها الباحث حيث يقوم بعد القراءة والاطلاع والاستزاده من معارف تاريخية عامة أن يُحدد الموضوع العام الذي يُريد أن يكتب في جزئية صغيرة منه، دون أن يحدد عنواناً، وإنما موضوع واسع الأبعاد والجوانب، ينتهي بعد ذلك إلى تحديد موضوع أضيق حتى يستقر على جزئية منه يكتب فيها بحثه.

أ - طالب المرحلة الجامعية :

وفي حالة الطالب المبتدئ في سنوات التعليم الجامعي الأولى لا نطلب منه أن يأتي بجديد في بحثه، ولا حتى ابتكار علمي يستخلص فيه حقائق تاريخية -

مجهولة - مع أنه لو جاء به كما يفعل النوابغ والموهوبون فبها ونعمت - وليس هناك إلزام له.

ولكن الذى نريده منه هو تحصيل بعض المعارف، واتخاذه لوسائل الإعداد والتدريب، التى تؤهله للعمل التاريخي الأكبر بعد ذلك فيكتسب الخبرة العملية من خلال اضطلاعه ببحث صغير سيحمل اسمه، وينبغي عليه أن يحاول بما لديه من معرفة نظرية بسيطة (نالها من محاضرات أساتذته) أن يطبق ذلك على بحث يُجرب فيه ويتدرب ، وينتظر التقويم والتصحيح من أستاذه.

فالطالب في هذه الفترة التدريبية الأولى مثله مثل :طالب إعدادي طب أو علوم الذى يُطلب منه تقليد غيره في تشريح الضفدعة ، ومعرفة أعضائها الداخلية، ومكوناتها الخارجية، وغير ذلك.

ولذلك فالطالب بالدراسات التاريخية فى هذه الفترة يُمكنه القيام باختيار كتاب يطلع عليه، ويقوم بتلخيصه ، وإبراز أهم الجوانب فيه، أو اختيار موضوع من الموضوعات التاريخية مثل : دعوة ابن عبد الوهاب الإسلامية، ويقوم أستاذه بتوجيهه إلى أسماء بعض المراجع السهلة التى يمكنه التعامل معها وفهم ما فيها [1] ، ولذلك فهو هنا يحدد عنواناً تقريبيا لموضوعه.

حينئذ سيقوم الطالب بالاطلاع على ما تيسر من المؤلفات ، وجمع ما حصل عليه من معلومات مُحدداً رقم الصفحة التى نقل منها كل معلومة تاريخية، واسم المؤلف، وعنوان الكتاب، ومَن ترجمه إن كان أجنبياً مترجماً، والجزء الأول أم الثاني ..الخ، ثم الناشر ، ورقم الطبعة الأولى أم الثانية ..الخ، ثم المدينة التى

(١) ففى هذه المرحلة يتجنب الطالب الكتب الكبيرة التى تحتاج إدراكاً وفهماً متقدماً مثل ابن بشر، وابن غنام عن دعوة ابن عبد الوهاب، ويُفضل التعامل مع المراجع السهلة مثل كتابات: د/عبد الله العثيمين ، وصلاح الدين المختار، وأحمد عسه وغيرها .

طبع فيها ، وتاريخ الطبع .كل ذلك يضعه على هامش الورقة التى ينقل فيها الطالب من المرجع مادته التاريخية.

ويبدأ الطالب بعد الانتهاء من جمع المادة التاريخية في فصل المعلومات عن بعضها ، وترتيب كل ما يخص جزئية منها مع بعضها البعض، ويقوم بالكتابة والصياغة حسب الترتيب الزمنى ما أمكن ، على أن لا يقطع الحدث ويبتره، أو تختلط عليه الأحداث فتتداخل فيعرض بإيجاز لأحوال شبه الجزيرة قبل الدعوة، ثم نشأة ابن عبد الوهاب ورحلاته، وسبب دعوته، ثم يكتب عن بدايتها والمعارضة التى لاقاها ، والتأييد الذى قوبل به، ثم لجوئه لآل سعود ومناصرتهم له، والزود عنه وعن الدعوة، ويعرض كذلك لبعض المعارك الرئيسية التى خاضوها لتوحيد شبه الجزيرة ، ومدى نجاحهم فى ذلك حتى انتشرت الدعوة في بقاع عديدة، وعندما ينتهى من بحثه يُمكنه حينئذ ويستطيع الاستقرار على العنوان بشكل نهائى ودقيق [(١)] .

هذا مثال أردت أن أعرضه للقياس عليه في كيفية تناول جزئيات موضوع بحث الطالب الجامعي.

وعليه أيضاً ان يكتب في هامش صفحات بحثه البيانات التى حصل عليها من المرجع ورقم الصفحة، ويُمكن له استخدام الهامش بشكل أوسع للتدريب على التعامل معه مبكراً فإذا صادفه اسم علم من الأعلام أو مدينة من المدن في متن الورقة ، وعنده نبذه عنها أو ترجمة للعَلَم يستطيع أن يكتبها في الهامش فيكون بذلك قد تعلم وتدرب على شئ جديد مفيد في مجال البحث .

(١) حتى طالب الماجستير والدكتوراه يأتى أحياناً بعد قطعه شوطاً كبيراً أو صغيراً في رسالته ويطلب تغيير العنوان كله أو بعضه فإن غيّر ذلك من موضوع بحثه نقول أن التغيير جوهرى ويبدأ من جديد، وإن كان تغييراً بسيطاً في الألفاظ أو زيادة ونقصان في الحدود الزمنية للبحث نقول : أنه تغيير غير جوهرى فيكمل كما هو .

وأجد أيضاً من بين وسائل تطور ونمو الفهم التاريخي عند الطالب الجامعى إكثاره من مطالعة المراجع التاريخية، والوقوف عند القضايا الرئيسية في التاريخ مثل :فترة صدر الإسلام كلها، وموقعة صفين، وفتح مصر ، وفتح الأندلس ، وموقعة بلاط الشهداء الإسلامية في فرنسا ، وموقعة عين جالوت ، وحطين ، وفتح القسطنطينية ، وغزو العثمانيين للشرق الإسلامي ...الخ.

كما أوجه أبنائى الطلاب إلى تطور آخر، وهو البحث دائماً عن الوثائق المحلية والمخطوطات التى تتوارثها الأسر، ويقرأ فيها، ويتعلم كيف يستفيد منها فى عمل شئ تاريخي أو ما يشبهه ، حتى إذا انتقل إلى مرحلة أخرى أكثر تقدماً يكون قد تدرب، وتمرس، واكتسب بعض الخبرة، ولاسيما عندما يبدأ فى التعامل مع الوثائق الدولية السياسية وتعقيداتها، خاصة ما يتعلق منها بالعلاقات بين الشعوب والأمم.

وقبل أن أترك حديثى إلى أبنائي طلاب الجامعة الدارسين للتاريخ أود الإشارة إلى أن من أراد دراسة التاريخ من غير طلاب الجامعة يستطيع أن ينهج النهج نفسه ، وكذلك يفعل دارسو المرحلة الثانوية تدريباً لهم من الصغر ليكون كالنقش على الحجر فيدخلون الجامعة بشئ من المعرفة، وحب البحث، ولا بأس من تشجيعهم بالمكافآت كما يحدث في المسابقات المختلفة.

ب - طالب الدراسات العليا :

وهو الذى حصل على الدرجة الجامعية بعد إتمام مرحلة التعليم والدراسة واجتياز اختباراتها العديدة، فينتقل)إن أراد وأهّلته درجاته ومواهبه (إلى مرحلة، ربما أكثر حرّية، وأكثر تحمل للمسؤولية، وتحرراً من بعض القيود التى فُرضت عليه بالجامعة لتكبح جماح شطحات الشباب فيه، حتى يُطمئن عليه بنضج يؤهله لمواصلة دراسة التاريخ في الدراسات العليا (ماجستير ودكتوراه) .

وتتغير علاقته بأستاذه أيضاً من ناحية الفكر، والاستقلالية، وبروز شخصيته، حتى لا يكون بُوقاً يُردد ما يقوله أستاذه، مع خضوعه الأدبى له [1]، وبقاء علاقة الأبوه والبنوة بينهما من حيث الاحترام والتقديم والتقدير، وإنزال الأستاذ منزلته - كما أمرنا بذلك الشرع الحنيف .وفى هذه المرحلة يتشاور الباحث مع أستاذه الأقرب له، وأساتذته الآخرين، على أن يكون رأيهم إرشادى وتوجيهى دون أن يكون مُلزماً ولاسيما في اختيار موضوع بحثه، وكذلك عنوانه، فالرأى النهائي للباحث نفسه دون ضغط من أحد عليه في النهاية فهو يُقرر بنفسه ما يراه يتوافق مع امكاناته ورغبته في البحث الجانب الذى يرغبه ويتحمل مسؤولية التقصير والإجادة فيه ومع ذلك فهناك محاذير يجب على الباحث أن يتقيها بمساعدة أساتذته حتى لا يقع في أخطارها، فهو لا يستطيع ان يبحث في كل الموضوعات، ولايُمكن أن يكتب في موضوع

سبقه غيره إليه، بل عليه اختيار موضوع بِكر Original لم يسبقه إليه أحد حتى يكون عمله مبتكراً جديداً في بابه، وفي موضوعه، ويُسمح له أحياناً بالكتابة في موضوع كُتب من قبل إذا كان من سبقه لم يوفيه حقه بشرط أن يأتى الباحث بجديد فيه.

---

(١) أذكر أننى عندما قمت بإعداد رسالة الدكتوراه، وكان المشرف عليها أ.د /عبد الجود صابر إسماعيل الذى اختلف معى في جوانب تُعد جوهرية من حيث الفكر وبعض الاعتقادات الرئيسية وحاول استاذى الدكتور /عبد الجواد توجيهى وإرشادى إلى ما يعتقد ويرى وكنتُ متمسكاً بما أرى عنيداً في عدم خضوعى لرأيه، واستغرق الأمر شهوراً عديدة، وربما يجنح البعض إلى مبدأ التُقية لإنجاز هدفه ثم التنصل، ولكنى أبيت أن أتراجع عما أرى لثقتى (من وجهة نظرى) أنه الصحيح بما لدىّ من أدلة وبراهين، وكان الحوار يطول بالساعات، وفي النهاية ترك لى رأى الحر الذى احترمه رغم اختلافه مع رأيه وفكره، واحترمتُه وأكبرت فيه قبوله للرأى الآخر.

وفى الفترة الأولى من دراساته العليا يجب عليه بذل الجهد في معايشة العلوم المساعدة، ومحاولة الإحاطة بأكبر قدر منها من لغات تتعلق بتخصصه وبحثه، سواء في ذلك لغته التى سيكتب بها بحثه من نحو وصرف وغيره، أو لغة المصادر والوثائق التى سيعتمد عليها، وكذلك إلمام بالجغرافيا ، وعلم النميات والمسكوكات ، وفن كتب المراجع (الببليوجرافيا) .. وغيرها مما أسهبنا في شرحه في الفصول السابقة.

وحينئذ يستطيع الباحث أن يستقر هنا على عنوان مبدئى بمشورة أستاذه المشرف على بحثه ، على أن تكون الكلمة والرأى في النهاية للباحث.

ويتبع ذلك تسجيل موضوعه وأخذ الموافقة عليه من أستاذه المشرف، والجهات التى ينبغى لها الموافقة قبل انتقاله للمرحلة التالية من خطوات إعداد البحث.

ثانياً : جمع المادة العلمية :

ينبغى على الباحث أن يتفرغ لجمع مادته العلمية الخاصة بالموضوع الذى وقع عليه اختياره وأن يطلع على فهارس المؤلفات، وفهارس المكتبات العامة والخاصة، وما تحويه من مخطوطات ، ووثائق ، ودوريات، وما يناسب منها بحثه فيقوم بتدوينه في أجندته حتى يقوم بالبحث عنه، ومحاولة الحصول عليه إما بالنقل منه في مكانه (عند تعذر استعارته) أو استعارته لإمكان النقل منه بحرية أكثر، أو شرائه إن كان ذلك متيسراً ، أو تصوير الجزء الذى يخدمموضوع بحثه .هذا في الوقت الذى يجب عليه فيه أن يقرأ كل أو أغلب ما كتب قريباً من موضوع بحثه، ويستفيد مما كتبه الآخرون فيكون مُكملاً لهم أو مصححاً لأخطائهم في أدب جم، وربما يستفيد منهم في مراجعة المصادر والمراجع التى اعتمدوا عليها، فيحصل على شئ لم يفطنوا إليه، أو يفتح له ذلك آفاقاً أرحب ، مع ضرورة

التدقيق في جوانب القوة والضعف في كتاباتهم حتى يتجنب الثانية، ويهتدى بالأولى فى أعماله، ولا ريب في الاقتباس من محاسن الآخرين دون أن يركن إلى تقليدهم في كل أعمالهم.

كما أنه يجب عليه الاطلاع على بعض المجلات التاريخية التى تصدر بصفة دورية سواء ما كان منها في الغرب [1] أم في الشرق [2] .

ولابد للباحث أن يجمع من كل مظان المحافل العلمية التى تحوى مادة علمية تخصه، ويسجلها في فهارس يتم ترتيبها أبجدياً تشمل مراجعة وأصوله التاريخية على قطع من (الفيش) الكرتون، أو صفحات من الورق أو حتى في أجندة ثابتة.

ومع حرصه على الاطلاع على ما كتبه الآخرون، إنما يكون اعتماده الأساسى فى كتابة موضوع بحثه على الوثائق الأصلية، والمصادر الموثوق في صحتها من دور الأرشيف، وسجلات الشهر العقارى، ودور المخطوطات وسجلات وزارات الخارجية .... الخ.

ويستطيع الباحث بحسن سلوكه وتعامله مع دولاب العمل من موظفى هذه

الدور أن يحصل على احتياجاته، وارقامها ، وأماكن وجودها بسهولة لأن هؤلاء يعرفون خبايا الدفاتر والمحافظ التى تحوى وثائق لا يستطيع الوصول إليها إلا بمساعدة هؤلاء.

---

(١) من هذه المجلات التاريخية ما يصدر منها في نيويورك ، ولندن، وباريس، وتورينو وهي : -

American Historical Review. New York, 1879.
English Historical Review. London. 1886.
La Revue des Question Historiques . Paris , 1889.
Rivista Storica Italiana. Torino 1884.

(٢) مثل المجلة المصرية للدراسات التاريخية، ومجلة المؤرخ العربي ..الخ.

فمثلاً : من أراد البحث فى تاريخ السودان الحديث فلا غنى له عن الاطلاع على وثائق دار الوثائق المصرية بالقاهرة، ويعمد فيها إلى /محافظ أبحاث السودان التى تقع في أربع وأربعين محفظة تبدأ من عام ١٢٣٥هـ ، وتنتهى فى عام ١٣٠٠هـ ، وكل محفظة منها مقسمة إلى عدة دفاتر مرتبة حسب الشهور الهجرية فيسهل الاطلاع عليها والاستفادة منها.

كما ينبغى عليه الاطلاع على محافظ الوثائق الافريقية وعددها حوالى ١٢ محفظة ، وكذلك محافظ المعية ودفاتر عابدين، ودفاتر صادر، ووارد المحافظات السودانية العديدة [١] .

ومن أراد مثلاً أن يبحث في موضوع يتعلق بشبه الجزيرة العربية ، ولاسيما الحجاز فعليه الاطلاع على محافظ أبحاث الحجاز، ومحافظ قرارات مجلس إدارة القومبانية العزيزية (التى كانت تتولى النقل من وإلى الحجاز) ، وكذلك عليه أن يبحث في دارة الملك عبد العزيز بالرياض (السعودية) إضافة إلى إطلاعه على ما في دار الوثائق المصرية - كما وضحنا.

وهناك كثير من الباحثين يجدون لزاماً عليهم السفر والترحال في جمع المادة العلمية، ومشاهدة مواقع الأحداث عن قرب، ومخالطة المجتمعات التى ينوى الكتابة عنها حتى يكون مؤهلاً بمشاهداته، وانطباعاته للكتابة عنهم فالقراءة والسمع لا يغنيان عن المشاهدة قط،وأرى أنها ضرورية لكاتب وباحث التاريخ.

وأضرب مثلاً حياً على ذلك وهو أننى عندما أردت الكتابة عن العلاقات بين مصر والحجاز قمت بجمع المادة العلمية من دار الوثائق المصرية وبعض الدوريات، والمصادر المصرية المختلفة، ثم كان إصرارى على جمع المادة العلمية

---

(١) د / سعد الحلوانى - الحكم المصرى في سواكن وملحقاتها (١٨٦٥ - ١٨٨٥) - رسالة ماجستير - كلية اللغة العربية بالقاهرة- ١٩٨٧م - ص ٢٣١، ٢٣٢.

من الطرف الآخر (السعودية)، والوقوف على بعض مواقع الأحداث فيها، وبالفعل سافرت إلى محافلها العلمية في جامعة الملك سعود، ومكتبة الملك عبد العزيز، ومكتبة الأمير /عبد الله بالرياض، وبحثت في دارة الملك عبد العزيز (دار الوثائق السعودية)، وزرت في خلال ١٠٠ يوم (هى مدة الرحلة العلمية) الرياض، ومكة المكرمة والمدينة المنورة وغيرها، وعُدت من المملكة العربية السعودية أحمل عدة (كراتين) من المصادر والمراجع التى أفادتنى كثيراً فى إتمام بحثى للدكتوراه، وكذلك أعانتنى في إنتاج بحوث أخرى عديدة في مراحل تالية عن تجارة الحجاز، وتعمير مكة، وتعمير المدينة، وغيرها من البحوث.

كما أنصح الباحث أيضاً، وهو في فترة التكوين الفكرى والعلمى هذه أن يحضر كل مناقشات رسائل الماجستير والدكتوراه التى تخص بحثه، والتى لاتخصه بالمرة (فى المجال التاريخي) على قد المستطاع حتى يتعلم من ملاحظات ومناقشات الأساتذة ومواطن القوة والضعف التى يُعلق عليها المناقشين.

وفى هذا المجال أيضاً يجب على الباحث أن يحضر المؤتمرات والندوات العلمية التى يشارك فيها أساطين التاريخ بأبحاثهم، ومناقشاتهم العلمية المتخصصة، فيتعلم منهم كيف يكتبون بحوثهم، وكيف يتحاورون بأدب الحوار وسخونته، وهدوئه، وعنفوانه، وما يأتون به من جديد، ليلتقط أفكار يسجلها جميعها، ويلخص ما يدور فيها، ليلتقط أفكاراً صحيحة لتساعده على إنجاز عمله العلمى على أكمل وجه.

---

(١) انظر أمثلة على ذلك في كتابنا:

العلاقات بين مصر والحجاز ونجد في القرن ١٩ - ص ٣١١، ٣١٢.

ومن خلال هذه المؤتمرات والندوات يستطيع أن يوسع دائرة معارفه من الأساتذة والباحثين الذين يمكن له سؤالهم عما يعنٌّ له في موضوع بحثه، ويحصل منهم أحياناً على بعض مؤلفاتهم التى تُعينه على موضوعه.

ثالثاً: نقد المصادر التاريخية:

تلى مرحلة جمع المادة العلمية (وربما في أثنائها أيضاً بذكر بعض الملاحظات على الكروت) نقد المصادر التى اعتمد عليها، والتى اطلع عليها سواء في ذلك انتفع بها أو لم ينتفع ، لأن الباحث ربما يجد مصدراً أو مرجعاً قد تضاربت فيها الأحداث، والتواريخ فيضرب الصفح عنها، ويهمل الاستعانة بها .ويتعلق بعملية النقد محاولة معرفة الظروف والملابسات التى أحاطت بكتابة المؤلف لكتابه ، منذ أن جمع معلوماته، حتى أتم تدوينها في الأصل المكتوب الذى سيعتمد عليه الباحث (المؤرخ) ، لأن معرفة هذه الظروف ربما تؤدى بالباحث إلى التمسك بهذا المصدر، واعتباره أصيل، أو تجعله يُهمل النقل منه والتعامل معه، وقد ذكرنا في الفصل الماضى - في حديثنا عن الجبرتي شجاعته فى الحديث عن القادة الذين عاصرهم ولاسيما محمد على باشا، وابنه إبراهيم ، وإظهار عيوبهم ومثالبهم دون التأثر بعاملى الترغيب والترهيب ، فمثل هذا المؤرخ نطمئن إلى أغلب ما جاء به من وصف، وتحليل، وأخبار للوقائع ...الخ ، ولكن من جاء به محمد على [1] . ليؤرخ لسلطانه، ويُعارض الجبرتي بتاريخ لمحمد على نفسه يتزلف إليه فيه وينافقه فمثل هذا المصدر بعد معرفة ظروفه والملابسات التى أحاطت بكتابته تجعل الباحث يترك التعامل معه، وفي الضرورة يتعامل معه بحذر - فيما هو مضطر إليه.

(١) هو الشيخ خليل أحمد الرجى الشافعى

وربما يسبق عملية النقد لظروف المؤلف (أو يتبعه) نقد آخر يُسمى النقد الظاهرى للمصدر نفسه، وهو يخص إثبات صحة هذا المصدر التاريخي، وصحة نسبته إلى صاحبه ، وهل هو أصل أو منسوخ من الأصل على يد تلامذة المؤلف الأصلى، وهل اضافوا إليه أم اختصروا منه أو تركوه على حاله، ويستتبع ذلك ملاحظة ودراسة نوع الخط والورق ، وهل هو مطابق للمستخدم في ذلك العصر الذى يُنسب إليه المؤلف أم لا .

وهناك أسباب عديدة تدفع البعض إلى تزييف المصادر، ودسِّها من بينها: الأهواء ، والمطامع الشخصية في كسب يعود على المزيف، وطلب الشهرة من التزييف والانتحال .هذه السلوكيات التي وُدت في العديد من المصادر والمراجع لاسيما المذكرات الشخصية تجعلنا نأخذ حذرنا من أمثالها.

وهناك مصادر عديدة تصل إلي يد الباحثين لم يُثبت عليها اسم صاحبها ربما لظروف ألمّت بالمؤلف، أو بالمصدر نفسه مثل الحروب والكوارث، والموت المفاجئ لصاحب المصدر فإذا تلفت الصفحة الأولي أو تمزقت، وعليها اسم المؤلف وعنوان كتابه حينئذ يكون لزامًا علي الباحث محاولة تلمس الخطي، وقراءة ما بين السطور لتحديد من هو الكاتب ، وما اسم الكتاب، والعصر الذي صنف فيه، وربما يرغب المؤلف نفسه في عدم ذكر اسمه خوفًا من بطش الحاكم أو الوزير الظالم أو لخلاف بينه وبين من يُخشي منه .

وكثير من المصادر لا يصل أحد إلي معرفة اسم صاحبها حينئذ تكتب، ويستعان بها باسم مستعار هو " مؤلف مجهول" ، أما إن فقد اسم الكتاب حينئذ يضطر الباحثون، وربما دور النشر إلي وضع عنوان له يطابق الموضوعات التي اشتمل عليها المصدر .

كما أجد لزامًا علي الباحث في التاريخ أن يراعي في المصدر الواحد، ويُفرق بين ما يكتبه صاحبه في فترة بعيدة عنه بردح من الزمن، وما يكتبه عن أحداث

عاصرها ، فربما يكون قد نقل شيئًا من مصدر خاطئ، فلا يُعد مصدراً أصيلًا في النوع الأول، أما في النوع الثاني، وهي الوقائع التي عاصرها وشاهدها بنفسه أو كان قريبا سوف نلاحظ دقته أكثر فيها .

ولذلك نقول دائمًا أن تحليل المصادر وأخبار وسيرة أصحابها والظروف المحيطة بهم، والمصادر التي اعتمدوا عليها ... الخ في غاية الأهمية لباحث التاريخ حتي يطمئن إلي صحة مصادره وجدواها لبحثه لأن الباحث في النهاية مسئول عما ينقل ويكتب، ولا يستطيع أن يعود باللائمة علي المصدر الذي نقل عنه مما لا ينطبق علي الواقع التاريخي .

وهناك بعض المؤلفين (المؤرخين) يضطرون إلي استخدام الرموز والإشارات دون ذكر اسم القادة والأمراء خوفًا من بطشهم عند التعرض لنقد جبروتهم وغلظتهم وسيرتهم المعيبة، ولذلك فعلي الباحث أن يفك طلاسم هذه الرموز بفهمه لظروف العصر الذي يعيش فيه المؤلف، والملابسات التي أحاطت بتصنيفه كتابه، والأساليب المستخدمة حينئذ، والألفاظ كذلك، ومن يطلع علي تاريخ الجبرتي يجد كثيراً من هذه الرموز، وكلها سهلة الملاحظة، ويمكن الوصول إلي معرفة ما ترمي إليه سريعًا .

رابعًا : الاستقرار علي الحقائق التاريخية :

بعد عملية نقد المصادر وما تحويه من معلومات تاريخية، يبدأ الباحث في تجنيب المعلومات التي ثبت عدم جدواها ، أو دخول التحريف والتزييف عليها أو جهل مصدرها ، ثم يجمع ما تثبت من صحته (علي قدر اجتهاده) وعلي حسب مظانه العلمي المنهجي إلي حد ما ، ويبدأ في إثبات الحقائق التي أمامه، ولاسيما إذا كانت هناك روايتان متضاربتان فتكون مهمته محاولة المقارنة بينهما ، وترجيح إحداهما علي الأخري ببعض الشواهد العلمية والمنهجية، ومقابلة الأصول

بعضها ببعض حتي يصل في النهاية إلي ما يشبه الحقائق التي ستظل أيضًا تقبل الصدق والكذب، حيث أن التاريخ ليس فيه قول قاطع نهائي، ولكنها اجتهادات لمحاولة الوصول إلي أفضل النتائج دون تقصير في اتباع المنهج التحليلي والنقدي.

خامسًا: ترتيب وتبويب المادة التاريخية:

بعد الاستقرار علي المادة التاريخية التي ينكن الاستعانة بها يقوم الباحث بجمع المعلومات العديدة التي تخص جزئية معينة من فصل وليكن الفصل الأول، ثم تُجمع الجزئيات كلها مع بعضها البعض لاستخدامها في كتابة الفصل الأول، وهكذا الثاني، والثالث والرابع ... الخ، ويجب فصل الحياة السياسية عن الاقتصادية، عن الاجتماعية وإبراز كل جانب منها في فصل مستقل عن الآخر ليكتمل في النهاية بناء المصنف .

سادسًا: الصياغة التاريخية:

وهي خلاصة الجهد السابق الذي يقضي فيه الباحث ربما سنوات طويلة فتكون المحصلة النهائية ما يدونه في تاريخه الذي سيحمل اسمه بعد أن جمع مادته العلمية، وقام بنقدها، وإثبات صحتها، وترتيبها، والاجتهاد فيها، وتعليلها، ويكون مسئولاً عن كل كلمة يكتبها فيه، وعليه أن يراعي عدة قضايا هامة أري إثباتها هنا لتعم الفائدة :-

١ - أن يراعي الترتيب الزمني في إيراد القضايا التاريخية، فلا يجوز للباحث وهو يتحدث عن "مصر في القرن التاسع عشر" مثلاً أن يبدأ الحديث عن عهد الخديوي إسماعيل قبل تناول / محمد سعيد باشا، أو تاريخهما قبل الانتهاء من فترة وعهد محمد علي باشا، فالترتيب الزمني الصحيح هو تناول عهد محمد علي فعباس الأول، فمحمد سعيد، فالخديوي إسماعيل، فالخديوي توفيق، فعباس حلمي الثاني .

٢ ـ أن يراعي توثيق معلوماته بكتابة مصادره وبياناتها في الهامش بالترتيب وبالطريقة التي قدمناها، اسم المؤلف ـ اسم الكتاب ـ المترجم أو المحقق ـ دار النشر ـ رقم الطبعة ـ رقم الجزء أو المجلد ـ بلد الطبع ـ تاريخ الطبع ـ وأخيراً رقم الصفحة .

وإن كان المصدر وثيقة فينبغي عليه كتابة بياناتها في الهامش كما يلي : ـ

اسم الدار المحفوظة بها الوثيقة أو اسم المكان الذي حصل منه عليها، ثم رقم الوثيقة، فرقم الدفتر أو المحفظة واسمها، وممن أرسلت، وإلي من أرسلت، ثم تاريخ الوثيقة، وعلي الباحث أن يكون دقيقًا جدا في معلوماته هذه، وإلا أفقدت البحث أهميته، وله أن يدون في الهامش ملاحظاته علي الوثيقة فقد يكون فيها سهو أو خطأ في التاريخ اكتشفه، أو ما يشبه ذلك .

٣ ـ أن تكون كتابته علي قدر الإمكان بأسلوب وألفاظ سهلة فصيحة ما أمكن، ولا يعتمد إلي السجع المفتعل المنمق الذي يفقد السياق التاريخي عذوبته وانسيابه، وربما يفقده بعض معانيه .

٤ ـ اختيار الألفاظ التي لا تحمل معنيين حتي لا يتبادر إلي ذهن القارئ معني غيرمقصود فتضيع المعلومة التاريخية .

٥ ـ محاولة تكملة الحادثة الواحدة دون أن يمزقها بموضوعات أو حوادث أخري .

٦ ـ أن يراعي الإيجاز في الموضوعات التي تكون معروفة، وتلك التي لا تتعلق بموضوعه بشكل مباشر، وأن يعمد إلي التفصيل والتوضيح في المعلومات الغير معروفة، والتي يسوقها لأول مرة، ولم يصل إليها أحد قبله، ويفصل الحديث كذلك في الأحداث التي تستحق ذلك .

٧ ـ بخصوص الهوامش يجب علي الباحث أن يثريها بالتوضيحات الجانبية، والنبذات والتراجم، وتحديد المواقع التاريخية جغرافيا، ومعاني الألفاظ

الغامضة، وبعض التعريفات، وتحديد المقاييس ، والأوزان المختلفة التي قد لا يعرفها القارئ، وكذلك يستوعب الهامش بعض الأمثلة والتشبيهات والدلائل، والبراهين، وقد يورد الباحث في الهامش أسماء من خالفوه، واتفقوا معه في الرأي، وحجته في الترجيح والاختلاف .

٨ ـ وبعد أن ينتهي الباحث من كتابه يأتي دور الملاحق التي ينشر فيها بعض الوثائق التي تنشر لأول مرة، ومختارات من الأصول التاريخية التي استعان بها في متن بحثه، ويستطيع أيضا إيراد بعض نصوص المعاهدات، والاتفاقيات في ملاحق بحثه المتعلقة به، علي أن يورد الوثيقة بلغتها مع ترجمة لها في الملاحق نفسها ، ويفضل إضافة مجموعة من الخرائط والرسوم التوضيحية التي تعين القارئ علي معرفة المواقع وغير ذلك .

٩ ـ ثم يعتني الباحث بعد الملاحق بمكتبة البحث ومصادره، وهي قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في بحثه، ولابد أن تكون بالترتيب التالي : ـ الوثائق الغير منشورة العربية والتركية، فالوثائق الأجنبية الغير منشورة، فالمحفوظات، فالوثائق المنشورة، فالزيارات العلمية لمواقع الأحداث، فالمصادر الأصلية الأخري، ويمكن جمعها مع المراجع العربية، في ترتيب أبجدي حتي يسهل الوصول إلي المصدر والمرجع بسهولة مع تتبع ترتيبه الأبجدي، ثم دوائر المعارف، فالتقاويم، فالأطلس، فالرسائل الجامعية، فالمصادر والمراجع الأجنبية، فالدوريات مرتب جميعها أيضا ترتيبا أبجديا .

١٠ ـ وتأتي في النهاية الفهارس التي تشير إلي مواقع الموضوعات ورقم صفحاتها في ترتيب سهل وواضح لتسهيل عملية الاطلاع علي الموضوعات التي يحتاجها القارئ .

١١ ـ بعد أن ينتهي الباحث من كتابة كل كتابه إلي نهايته يعود إلي أول الكتاب فيصدره بمقدمة تشتمل علي ملخص لما في الكتاب وسبب كتابته له، وبعض الصعوبات التي صادفته، ومن ساعده ولابد من شكره علي مساعدته، ورأيه في المصادر التي تناولها، ونقدها أو نقد بعضها، وتحديد الفائدة التي حصل عليها الباحث منها ويستطيع الباحث أن يسجل قبل مقدمته، إهداء الكتاب لعزيز أو أستاذ له ، أو هيئة من الهيئات، أو مجموعة من الأفراد، أو قائد من القادة العظام ... الخ .

تم بحمد الله

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المؤلـــف


مكتبة البحث
المصــادر والمراجــــع

أمـــــين

١- أحمد أميـن - ضحى الإسلام - القاهرة - ١٩٣٨م.

دحـــلان

٢- أحمد بن زيني دحلان - خلاصة الكلام في بيـان أمراء البلد الحرام - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - ١٣٩٧م.

المقريزى

٣-أحمد بن علي - المواعظ والاعـتبار بذكر الخطط والآثار)خطط المقريزى- (مكتبة الثقافة الدينية - ط٢ - القاهرة.

٤ ـــ إغاثة الأمة بكشف الغمة - تحقيق د /محمد مصطفى زيادة وآخر - القاهرة - ١٩٥٧م.

ابن خلـكان

٥- أحـمـد بـن مـحـمـد بن أبى بكر - وفـيـات الأعـيـان وابناء أبنا ء الزمـان - دار صادر- بيروت .

ذهـــنى

٦- د/إلهام محمد ذهني - مصر في كتابات الرحالة الفرنسيـين في القرن التاسع عشر - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٥م.

مـــدني

٧- أمـين مدني - التاريخ العربي وبدايته - دار تهامة - ط٢- جدة - ١٩٨١م.

ابن واصــل

٨- جمال الدين محمد بن سالم - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٢م.

علــي

٩ - على جواد علي - تاريخ العرب قبل الإسلام (القسم السياسى) جـ١ - بغداد - ١٨٥٠م.

ســارتون

١٠- جورج سارتون - تاريخ العلم - ترجمة/ محمد خلف الله وآخرون - دار المعارف - ط٤ - القاهرة - ١٩٧٩م.

شـايلد

١١- جوردون شايلد - التاريخ - ترجمة /عدلى برسوم عبد الملك - القاهرة - ١٩٥٨م.

١٢ ـ ابن حزم - جمهرة أنساب العرب - تحقيق /ليفى بروفنسال - القاهرة - ١٩٤٨م.

عثمــان

١٣- د /حسن عثمان - منهج البحث التاريخى - دار المعارف - ط٦ - القاهرة - ١٩٨٧م.

البغـــدادي

١٤- الخطيب البغدادى - تاريخ بغداد - القاهرة - ١٩٣١م.

الزركلـــــي

١٥- خيـر الديـن الزركلى - الأعـلام - دار العلم للمـلاييـن - بيـروت لبنان - ط٥ - ١٩٨٠م.

دائرة المعارف الإسلامية

١٦- دائرة المعارف الإسلامية - طبعة الشعب - مجلد ٩ - مادة تأريخ .

الحلـواني

١٧- د / سعد بدير الحلواني - الحكم المصرى في سواكن وملحقاتها (١٨٦٥ - ١٨٨٥) - رسالة مـاجستـيـر - كليـة اللغـة العربيـة بالقـاهرة - ١٩٨٧م.

١٨ ـ العـلاقـات بين مـصـر والحـجـاز ونجـد في القـرن ١٩ - ط - القـاهرة - ١٩٩٥م.

كاشــف

١٩- د /سيده إسماعيل كاشف - مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه - مكتبة الخانجى - القاهرة - ١٩٧٦م.

ســالم

٢٠ - د /السيـد عبد العـزيز سالم - التـاريخ والمؤرخـون العرب - دار النهضة العربية - بيروت - ١٨٨١م.

الجمـل

٢١- د / شوقى عطا الله الجمل - علم التاريخ بشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخـرى ومناهج البـحث فـيــه - الأنجلو المـصـرية - ط١ - ١٩٨٢م.

حسين

٢٢- د /طه حسين - في الأدب الجاهلي - القاهرة - ١٩٢٧م.

الجبرتي

٢٣- عبد الرحمن حسن الجبرتي - عجائب الآثار في التراجم والأخبار - المطبعة العامرة الشرفه - ، ١٣٢٢هـ.

ابن خلدون

٢٤- عبد الرحمن ابن خلدون - المقدمة - تحقيق د /على عبد الواحد وافى - القاهرة - ١٩٥٧م.

الدوري

٢٥- د / عبد العزيز الدوري - نشأة علم التاريخ عند العرب - بيروت - ١٩٦٠م.

صالح

٢٦- د /عبد العزيز صالح - الشرق الأدنى القديم)مصر والعراق - (ط٢ - القاهرة - ١٩٧٩م.

ماجد

٢٧- د /عبد المنعم ماجد - تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى - القاهرة - ١٩٦٣م.

الواسعى

٢٨- عبد الواسع بن يحى الواسعى - الدر الفريد الجامع لمتفرقات الأسانيد - القاهرة - ١٣٥٧هـ - .

ابن بشر

٢٩- عثمان بن بشر - عنوان المجد في تاريخ نجد - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض .

الحداد

٣٠- علوى بن طاهر الحداد - المدخل إلى تاريخ الإسلام فى الشرق الأقصى - تحقيق /السيد محمد ضياء - عالم المعرفة - ط١- جدة - ١٩٨٥م.

المسعودي

٣١- على بن الحسين المسعودى - مروج الذهب ومعادن الجوهر - القاهرة - ١٩٥٨م.

ابن الأثير

٣٢- على بن محمد بن الأثير - الكامل في التاريخ - دار صادر - بيروت - ١٩٨٢م.

فروخ

٣٣- عمر فروخ - تاريخ الداهلية - بيرون - ١٩٦٤م.

روزنثال

٣٤- فرانز روزنثال - علم التاريخ عند المسلمين - ترجمة ك /صالح أحمد العليى - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٨٣م.

السير / ليوناردوولى

٣٥ - مدخل إلى علم الآثار - ترجمة د / حسن الباشا - سلسلة الألف كتاب رقم ٩٤ - القاهرة - ١٩٥٦م.

بلنت

٣٦- الليدى آن بلنت - رحلة إلى بلاد نجد - ترجمة /محمد أنعم عالم - دار اليمامة -ط٢- الرياض - ١٩٧٨م.

الماوردي

٣٧ ـ الأحكام السلطانية - طبعة بولاق - ١٣٢٨م .

حسن

٣٨- د /محمد إبراهيم حسن - الاتشراق واثره على الثقافة العربية - مجلة رسالة الخليج العربي - العدد ٢٦ - السنة الثامنة - ١٩٨٨م - الرياض.

ابن إياس

٣٩- محمد بن أحمد ابن إياس - بدائع الزهور في وقائع الدهور - تحقيق د/ محمد مصطفى - القاهرة - ١٩٦٣م.

البيروني

٤٠- محمد ابن أحمد الخوارزمى - الآثار الباقية عن القرون الخالية - تحقيق / إدوارد شاو - ليبزج - ١٩٢٣م.

الطبري

٤١- محمد بن جرير - تاريخ الأمم والملوك - تحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم - دار سويدان - بيروت - ١٩٦٧م.

ابن سعد (كاتب الواقدى)

٤٢ ـ محمد بن سعد - الطبقات الكبرى - تحقيق د /سترستين - طبعة ليدن - ١٩٠٥م.

الكافيجي

٤٣- محمد بن سليمان الحنفى - المختصر في علم التاريخ - مكتبة المثنى - بغداد - ١٩٦٣م.

السخاوي

٤٤- محمد بن عبد الرحمن - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ - دار الكتاب العربي.

الإسحاقي

٤٥- محمد بن عبد المعطي - أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول - المطقعة الشرفية - القاهرة - ١٣٠٣هـ .

وجدي

٤٦- محمد فريد وجدى - دائرة معارف القرن العشرين - المجلد الرابع - دار الفكر - بيروت.

عنان

٤٧- محمد عبد الله عنان - مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصرى - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٦٩م.

رمضان

٤٨- محمد مصطفى رمضان - تاريخ الحركة الوطنية وجذور النضال المصرى - القاهرة - ١٩٨٥م.

مهران

٤٩- د / محمد مهران - دراسات في تاريخ العرب القديم - المملكة العربية السعودية - منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود - ط٢ - ١٩٨٠م.

الصـولى

٥٠- محمد بن يحي الصولى - أدب الكتاب - تحقيق /محمد الأثرى - القاهرة - ١٣٤١هـ.

الألوسي

٥١- محمد شكرى الألوسى - بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب - القاهرة - ١٩٢٥م.

حاطوم

٥٢- د /نور الدين حاطوم وآخرون - المدخل إلى علم التاريخ - دمشق - ١٤٠١هـ / ١٤٠٢هـ .

رجب

٥٣- هاملتون جب - دراسات في حضارة الإسلام - دار العلم للملايين - ط٢ - بيروت - ١٩٧٤م.

٥٤ ـ **هرنشو** - علم التاريخ - ترجمة /عبد الحميد العبادى- لجنة التأليف والترجمة - القاهرة - ١٩٣٧م.

٥٥ ـ **ويدجرى** - التاريخ وكيف يفسرونه - ترجمة /عبد العزيز جاويد - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٢م.

* * *



الفهرست

تـابـــــع الفهـــــرست

تـــابـــــــع الفهـــــرست

تابع الفهرست

تابع الفهرست

تابع الفهرست